

مركز دراسات الوحدة العربية

سلسلة أطروحات الدكتوراه (١٢)

الدبلوماسية المصرية في عقد السبعينات

دراسة في موضوع الزعامة

الدكتورة سلوى شعراوي جمعة

الدبلوماسية المصرية
في عقد السبعينات



مركز دراسات الوحدة العربية

سلسلة اطروحات الدكتوراه (١٢)

الدبلوماسية المصرية في عقد السبعينات

دراسة في موضوع الزعامة

الدكتورة سلوى شعراوي جمعة

ترجمة : عطا عبد الوهاب

«الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة
عن اتجاهات يتبنّاها «مركز دراسات الوحدة العربية»

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور» ـ شارع ليون ـ ص. ب: ٦٠٠١ ـ ١١٣ ـ بيروت ـ لبنان
تلفون: ٨٠١٥٨٢ ـ ٨٠١٥٨٧ ـ ٨٠٢٢٣٤ ـ برقياً: «مرعربي»
تلكس: ٢٣١١٤ مارابي. فاكسيميلي: ٨٠٢٢٣٣

الطبعة الأولى
بيروت: شباط/ فبراير ١٩٨٨

إهــداء

إلى والديّ،

لما أولياه لي من حب وتشجيع.

المُحتويَات

قائمة الجداول

تصدير

في البداية، أود أن أسجل شكري وامتناني لرئيس اللجنة المشرفة على الأطروحة الـدكتور ريتشـارد كاتـام (Richard Cattam)، ولأعضاء اللجنـة الدكـاترة: مـوريس أوجـل (Morris Ogul) ودانيـال تشيفـر (Danial Cheever) وإروين شولـان (Irwin Schulman).

كما أود أيضاً بأن أعبر عن امتناني العميق لوالـدي العزيـز الذي قـدمني إلى كثير من أعمدة النخبة السياسية في مصر؛ وبفضل هذه المساعدة تمكنت من إجراء كثير من المقابلات الشخصية معهم لأستوفي بذلك جزءاً هاماً من مادة البحث. وبهذه المناسبة، أسجـل عظيم التقـدير للمسؤولـين المصريين والأمـريكيين الـذين خصصوا من وقتهم الكثير ليجيبوا عن أسئلتي. ومن هؤلاء الدكتور بـطرس غالي والسادة: حافظ إسـماعيل ومحمـد ابراهيم كـامل ولـطفي متولي ومحمـود رياض ومـايكـل سـترنـر وعـلي صـبري وعبدالسلام الزيات.

كما أشكر أعضاء مجموعة «مايو» الذين تفضلوا بـالإجابـة عن استمارة استقصـاء الرأي، وهـم السـادة: الفريق محمد فوزي وضياءالدين داود ومحمد فـائق وعبدالمحسن أبو النور وسعد زايد. ولا يفوتني هنا تسجيل شكري للدكتور أحمد يوسف الذي أتـاح لي مقابلة الدكتور بطرس غالي.

وأخيـراً أسجـل، بعميق الحب والامتنـان، مـا قــدمتـه لي أسرتي من عـون وتشجيع: فوالدتي العزيزة شجعتني منذ البـداية عـلى دراسة العلوم السيـاسية وزوجي العـزيز، محمـود، لم يكن فقط الزوج الصبـور، أثناء كتـابتي للأطـروحـة، بـل زودني كذلك بتعليقاته عليها، كما أولاني كل التشجيع والدعم المعنوي.

ولا يفوتني طبعاً أن أشكر ابنتيَّ مروة وسميرة اللتين لولاهما لكنت أنجزت الأطروحة في وقت أقصر. . !!

الفَصْـــلُ الأوّل

المُـقَـدّمَـة

من القضايا التي كانت ولا تزال موضوع جدال، قضية التركيز على دراسة دور الزعيم الفرد (Individual Leader). وجوهر هذا الجدال، في حقيقة الأمر، يدور حول مدى أهمية الدور الذي يقوم به الزعماء ومدى قدرتهم على التأثير في الأحداث من حولهم. وقد لخص سيدني هوك (Sidney Hook) لب هذا الجدال عندما تساءل «هل يصنع الزعماء الأحداث أم إن هذه الأحداث هي التي تصنعهم؟»[1].

والسؤال، بعبارة أخرى هو: هل يقوم الزعماء بتوجيه الأحداث أم انهم مجرد معبرين عنها؟[2]. أو على حد تعبير دونالد سيرنج (Donald Searing) الذي أجاد فيه «هل ان الزعماء يقودون أم يقادون؟»[3].

يمكننا، في تناولنا لهذا الموضوع، أن نتحرى مدخلين متضاربين:

المدخل الأول: وهو مدخل التحليل الكلي (Macro -Oriented Approach) ويتجه الى التقليل من أهمية الدور الذي يقوم به الزعيم، ويركز على المجتمع بأسره، وبخاصة على القوى الاجتماعية والاقتصادية. فالزعيم، بموجب هذا المدخل، لا يحتل المكانة الرئيسية عند تحليل الموقف، فأحداث التاريخ لا تحدد أو تخلق بتصرفات وتحركات الزعيم، بل على العكس من ذلك، فالزعيم تصنعه الأحداث، أو كما يقول هوك (Hook) «ان العظماء لا يصنعون التاريخ، إنما تظهرهم الأزمات الكبرى»[4].

---

(١) Sidney Hook, *The Hero in History* (New York: John Day, 1943).

(٢) Bert Rockman, *The Question of Leadership* (Pittsburgh: University of Pittsburgh Press, 1984).

(٣) Donald Searing, «Models and Images of Man and Society in Leadership,» *Journal of Politics*, vol. 31 (1969), p. 10.

(٤) Hook, *The Hero in History*, p. 62.

ويمكن إرجاع الأصول الفكرية لهذا المدخل الى فلاسفة مذهب الحتمية الاجتماعية، مثل هيغل (Hegel) وسبنسر (Spencer) وماركس (Marx)(٥). فالزعيم في نظر أصحاب هذا المدخل ليس أكثر من حافز أو عامل مساعد للأحداث التي كانت ستحدث بوجود هؤلاء الزعماء، أو عدم وجودهم.

ويقول أتباع هذا المدخل، مثل سنجر (Singer)(٦) وفيربا (Verba)(٧) وروزنو (Rosenau)(٨)، فيما كتبوه عن السياسة الخارجية، إن شخصيات الزعماء لا تلعب دوراً مهماً في سياسات الدول. فالسياسة الخارجية بالنسبة لهم هي التعبير الواضح عن المصالح القومية، ومن ثم فإن الإطار الذي يمكن للزعيم أن يتحرك من خلاله يكون قد تحدد إلى حد كبير بطريقة لا تتيح لشخصيات الزعماء أن تؤثر في الموقف أو تتحكم في بلورته(٩). وقرارات السياسة الخارجية، كما يراها أصحاب هذا الاتجاه، تتخذ داخل منظمات ومؤسسات بيروقراطية معقدة تضع قيوداً شديدة على صانع القرار. بناءً على ذلك، يشكك أصحاب هذا المدخل في شرعية تفسير الأحداث الدولية على أساس التركيز على شخصيات وسلوك المشاركين فيها من الزعماء.

والواقع ان أدبيات السياسة الخارجية حافلة بالدراسات التي ترى في هذه السياسة نتاجاً مجسداً لتأثير مؤسسات المجتمع وثقافته وغير ذلك من العوامل الداخلية الأخرى. وبالتالي، لكي يفهم المرء مثلاً السياسة الخارجية السوفياتية أو الأمريكية، عليه أن يدرس الماركسية واللينينية والرأسمالية. فصانعو القرار، طبقاً لهذه الرؤية، ليس لشخصياتهم تأثير يذكر في السياسة الخارجية، وتصرفاتهم إنما تعكس خصائص النظام أكثر من تأثيرها فيه. وبمعنى آخر: «ان الأسماء والوجوه قد تتبدل، أما المصالح والسياسات فلا تتغير لأنها متأصلة في السمات الهيكلية السياسية الدائمة»(١٠). ولننظر مثلاً إلى النماذج النظرية التي قدمها أليسون عن المنظمات البيروقراطية وكيف تحد إجراءات العمل والمصالح المكتسبة الضيقة والجمود البيروقراطي، من أي أثر قد يكون

---

(٥) المصدر نفسه، ص ٥٩ ـ ١٠١.

(٦) J. D. Singer, «The Level of Analysis Problem in International Relation ,» in : James N. Rosenau, ed., *International Politics and Foreign Policy* (New York: Free Press, 1969), pp. 20 - 30.

(٧) Sidney Verba, «Assumptions of Rationality and Non - Rationality in Models of the International System,» in: Rosenau, ed., Ibid., pp. 217 - 231.

(٨) James N. Rosenau, «Private Preferences and Political Responsibilities: The Relative Potency of Individual and Role Variables in the Behavior of U.S. Senators,» in: J. D. Singer, ed., *Quantitative International Politics* (New York: Free Press, 1968).

(٩) Singer, «The Level of Analysis Problem in International Relation,» pp. 20 - 30.

(١٠) Ole Holsti, «Foreign Policy Formation Viewed Cognitively,» in: Robert Axelrod, ed., *Structure of Decision* (Princeton, N. J.: Princeton University Press, 1976).

لشخصية الزعيم في المخرجات السياسية[11].

حجة اتباع هذا الاتجاه، باختصار، هي: «أنه عندما نأخذ بعين الاعتبار القيود التي يفرضها النظام والمجتمع بمؤسساته البيروقراطية على صانعي القرار، نكون قد فسرنا؛ الى حد كبير، التفاوت الذي قد يوجد في صنع السياسة الخارجية (بين دولة وأخرى)، ولذا فخصائص شخصية صانع القرار، يمكن أن تعتبر العامل المتبقي الذي قد يفسر ما لم يُفَسَّر من تفاوت (من طريق العوامل الأخرى)»[12].

المدخل الثاني: هو مدخل التحليل الجزئي (Micro Oriented Approach)، ويؤكد هذا الاتجاه على شخصية الزعيم الفرد باعتبار ان لها تأثيراً أكبر في ناتج العملية السياسية من الأثر الذي يمكن أن تحدثه القوى الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع. وبالتالي، يرى هذا الاتجاه أن للزعماء أهمية خاصة مصدرها طريقة عملهم وأسلوبه أو عدم عملهم[13]. وسلوك الزعيم، من ناحية أخرى، يتشكل ويتحدد الى حد كبير طبقاً لتصوره وتشخيصه وتقديره للموقف. وبالتالي، لكي يفهم المرء أحداث العالم عليه أن يركز على الزعيم وتركيب شخصيته النفسي (الدوافع والإدراك) وثقافته ومعتقداته.

بدايات هذا المدخل يمكن إرجاعها، تاريخياً، إلى كتابات كارلايل (Carlyle) في القرن التاسع عشر، ففي كتابه (Heroes and Hero worship) يؤكد أن: «التاريخ عموماً... تاريخ ما أنجزه الانسان في هذا العالم، هو في حقيقته تاريخ العظماء وما قاموا به»[14]. ومن ثم يرى أتباع هذا الاتجاه أن ما يحدث أو ما سيحدث من مواقف معينة، إنما يقرره من يشارك في تلك المواقف[15].

وعلى الرغم من الدراسات العديدة التي قدمها أتباع هذا المدخل، كدراسات مارجريت هرمان (M. Hermann)[16] وفولكوفسكي (Falkowski)[17] وأولي هولستي

---

(11) Graham T. Allison, *Essence of Decision: Explaining the Cuban Missile Crisis* (Boston: Little, Brown, 1971).

(12) Holsti, Ibid., p. 29.

(13) Robert Tucker, *Politics as Leadership* (Columbia: University of Missouri Press, 1981), p. 27.

(14) نقلاً عن: Hook, *The Hero in History*, p. 14.

(15) Patrick Morgan, *Theories and Approaches to International Politics* (New Brunswick, N.J.: Transaction Books, 1981), p. 42.

(16) Margaret Hermann, ed., *A Psychological Examination of Political Leaders* (New York: Free Press, 1979).

(17) L. Falkowski, ed., *Psychological Models in International Politics* (Boulder, Colo.: Westview Press, 1979).

(Ole Holsti)[١٨] وجيمس باربر (James Barber)[١٩]، والكسندر جورج وجوليت جورج[٢٠] وكذلك ايثرج (Etheredge)[٢١] فإن الانتقادات الرئيسية الموجهة لـه ما زالت تتركز في قلة البحوث التنظيرية وإيجاد ربطٍ كافٍ بين علم النفس ودراسة السياسة الخارجية.

وغني عن القول، طبعاً، إن موقفَي هذين المدخلين يمثلان جانبين متطرفين في مسألة أهمية دراسة دور الزعيم في السياسة الخارجية.. كما انه يمكن القول إن أحد المدخلين لا يمكنه تقديم إجابات قاطعة وكافية بمفرده. بل إن دراسة سيرنج (Searing)[٢٢] أشارت الى أن أكثرية الحالات تقع في ما بين المدخلين المذكورين.

وقد ذهب فريد غرينستاين (F. Greenstein)[٢٣] الى أبعد من ذلك في محاولته أن يقرر متى، أو في أي موقف، تلعب شخصية الزعيم دوراً مهماً أو تؤثر في قراره. واستناداً الى هذا الكاتب وغيره مثل هيرمان (Hermann)[٢٤] وڤيربا (Verba)[٢٥] أصبح شبه متفق عليه أنه في مواقف الأزمات (Crisis Situation) حيث يشارك الزعيم في عملية اتخاذ القرار، ويكون عليه أن يحدد الموقف ويفسر الأحداث، متمتعاً بحرية واسعة في اتخاذ القرار، فإنه عادة ما يكون لشخصيته أثر نسبي في طريقة عمله.

أولاً: سبب التركيز على الزعامة

إن النقاش الدائر حول وجوب التركيز على دور الزعيم أو عدمه هو في رأيي

---

(١٨) Ole Holsti, «The Belief System and National Images: A Case Study,» *Journal of Conflict Resolution:* vol. 6 (1962), pp. 244 - 252.

(١٩) James Barber, *The Presidential Character: Predicting Performance in the White House* (Englewood Cliffs, N. J.: Prentice Hall, 1972).

(٢٠) Alexander George and Juliette George, *Woodrow Wilson and Colonel House: A Personality Study* (New York: John Day, 1956).

(٢١) Lloyd Etheredge, «Personality Effects on American Foreign Policy, 1898 - 1968: A Test of Interpersonal Generalization Theory,» *American Political Science Review,* vol. 72, no. 3 (September 1978), pp. 434 - 451.

(٢٢) Searing, «Models and Images of Man and Society in Leadership Theory,» pp. 3 - 31.

(٢٣) Fred I. Greenstein, *Personality and Politics* (Chicago, Ill.: Markham, 1969).

(٢٤) Margaret Hermann, «Effects of Personal Characteristics of Political Leaders on Foreign Policy,» in: Maurice A. East, Stephen A. Salmor and Charles Hermann, *Why Nations Act* (Beverly Hills, Calif.: Sage Publications, 1978), pp. 49 - 68, and Margaret Hermann, «Explaining Foreign Policy Behavior Using the Personal Characteristics of Political Leaders,» *International Studies Quarterly,* vol. 24 (March 1980), pp. 7 - 46.

(٢٥) Verba, «Assumptions of Rationality and Non - Rationality in Models of the International System».

نقاش سطحي، لأن دور الزعيم، سواءً ركزنا عليه أم لم نركز، هو مسألة منهجية أساساً، وتعكس مستوى التحليل الذي يسعى إليه الباحث.

ومع هذا يمكن القول إن التركيز على دور الزعيم قد غدا مسألة نظرية وعملية معاً.

إن نفوذ الزعامة لا يمكن إنكاره في هذه الأيام. فقد توسع دور الحكومة ووظيفتها، فتزايدت قوة السلطات التنفيذية وترسخ بذلك دور الزعامة[٢٦]. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن تركيز وسائل الإعلام على زعماء العالم السياسيين ومعاملتهم كنجوم سينمائية قد جعل من الصعب تفادي التركيز على أعمالهم ودراستها. يقول سدني هوك: «إن القرار الأساسي في السياسة والاقتصاد والعلاقات الخارجية والشؤون العسكرية والبحرية والتعليم والاسكان والسياسات العامة، في الفن والأدب والموسيقى والعمارة والعلم، إنما تتخذه، على كل حال، حفنة من الزعماء الوطنيين، وغالباً ما يتخذه فرد واحد، يصبح حكمه على الأمور وتذوقه للأشياء من قوانين البلاد المطلقة»[٢٧].

أما من الناحية النظرية، فهناك اتجاه متنام يسعى للرسوخ والانتشار، وهو اتجاه يحاول أن يتخذ من مفهوم الزعامة أساساً لتحليل الظاهرة السياسية[٢٨]. يمكن إرجاع هذا المدخل الى ماكس ويبر الذي عرّف السياسة في مقاله (Politics as Vocation) «السياسة كحرفة» قائلاً بأنها: «زعامة جماعة سياسية، أو نفوذ هذه الزعامة، ومن هنا فإنه يقصد بها اليوم زعامة دولة»[٢٩].

وعلى أساس هذا النهج، عرض مؤخراً روبرت تكر (Robert Tucker)، في كتابه السياسة كزعامة، الى موضوع الزعامة باعتبارها جوهر السياسة[٣٠]. كذلك قال جيمس مكريكر بيرنز (James MacGregor Burns) «إن النظر الى السياسة كسلطة قد أعمى عيوننا عن الدور المهم جداً للسلطة في السياسة ومن ثم عن الدور الأساسي للزعامة»[٣١].

على أن القضية تبقى، كما قلنا سابقاً، مسألة منهجية يقررها الباحث في ضوء

---

(٢٦) Rockman, *The Question of Leadership.*

(٢٧) Hook, *The Hero in History*, p. 4.

(٢٨) Tucker, *Politics as Leadership*, p. 9.

(٢٩) «Politics as Vocation,» in: Max Weber, *From Max Weber: Essays in Sociology*, translated, edited and with introduction by H. H. Gerth and C. Wright Mills (New York: Oxford University Press, 1958), pp. 77 - 78.

(٣٠) Tucker, Ibid., pp. 9 - 30.

(٣١) James MacGregor Burns, *Leadership* (New York: Harper and Row, 1978), p. 11.

لمزيد من التفاصيل عن الذين يتبنون هذا الاتجاه ومشاكله، انظر: Tucker, Ibid., pp. 1 - 15.

الوضع الذي يدرسه. إن دور الزعيم في بعض الحالات هو دور جليّ جداً للمراقب، لذا تتركز مهمته في ايجاد وسيلة منظمة للكشف عن الأثر الذي يحدثه دور الزعيم في تلك الحالات. ولكن دور الزعيم في حالات أخرى لا يكون بهذا الجلاء، عندئذٍ يتعين على الباحث أن يتحرّى عن وجوده.

إن الخواص التي يتميّز بها المجتمع المصري تضع مصر في صنف الحالات الأولى حيث يكون للزعماء أثر كبير في السياسة.

ثانياً: الزعامة في الإطار المصري

يتفق أكثر الباحثين الذين يدرسون النظام السياسي والاجتماعي المصري على مركزية دور الزعيم في الاطار المصري[٣٢]. إن مركزية السلطة بالنسبة لهم، والتي حبت السلطة التنفيذية بهيمنة فعلية على السلطة التشريعية في الدولة، ما هي إلا نمط واضح يمتد في التاريخ المصري. وقد انعكست حصيلة هذا النمط انعكاساً واضحاً في ضعف المؤسسات السياسية التي ينبغي أن تحتفظ نظرياً بصفة الرقابة وإحداث التوازن إزاء سلطة الحكومة الواسعة. إن تجربة مصر الدستورية قبل ١٩٥٢ وبعدها لم تساعد على التخفيف من احتكار السلطة من قبل الجهاز التنفيذي. لذا تركزت جميع السلطات، على حد تعبير طارق البشري، بيد رئيس الجمهورية[٣٣].

كما تميل الثقافة السياسية المصرية، على المستوى الاجتماعي، الى تعزيز الاعتقاد بالمركز المتميز والسلطة المطلقة للحاكم. إن قيماً مثل الخضوع والتسليم لمن هم أعلى مرتبة، وتقمص الأشخاص للسلطة، هي قيم متأصلة في الثقافة السياسية المصرية ويجري التصرف بموجبها. ويعزز هذه القيم المؤسسات الاجتماعية مثل الأسرة ونظام التعليم والمعاهد الدينية. إن البنية السلطوية للأسرة، حيث يتمتع الأب بالقول الفصل في جميع شؤونها؛ ونظام التعليم المتعسف حيث يمارس المعلمون سلطة مطلقة في الصفوف فعلياً، وحيث يتجه جوهر التعليم الى تمجيد الحاكم وحكمه؛ وقيم الخضوع والتسليم التي يعظ بها رجال الدين الناس على أساس أن القرآن قد أمر بالطاعة: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾[٣٤]؛ كل هذه ما هي إلا

---

(٣٢) Morroe Berger, *Bureaucracy and Society in Modern Egypt: A Study of the Higher Civil Service* (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1957), p. 16, and Saad Eddin Ibrahim, «The Socio - Economic Requisities of Democracy,» in: Ali E. Hillal Dessouki, ed., *Democracy in Egypt*, Cairo Papers in Social Sciences, Monograph 2 (Cairo: American University in Cairo, 1978), pp. 56 - 66.

(٣٣) Tarik El - Bishry, «The 1952 Revolution and Democracy,» in: Dessouki, ed., Ibid., pp. 34 - 36.

(٣٤) القرآن الكريم، «سورة النساء،» الآية ٥٩.

أمثلة بسيطة على الدور الذي تلعبه المؤسسات الاجتماعية في المجتمع المصري. بالتالي ينشأ عن هذه الاتجاهات السياسية والاجتماعية محيط من شأنه إعطاء حرية تصرف واسعة للزعيم في اتخاذ القرارات.

ويمكن القول ان مثل هذا المحيط. وكما يشهد تاريخ مصر السياسي، لم يعظّم دور الزعماء فحسب، بل جعل هذا الدور مهماً جداً كذلك. لذا، فإن دراسة هذا الدور أمر مشروع، بل لا غنى عنه في أي بحث يجري عن سياسة مصر الخارجية. إن الدور الذي لعبه الرئيس السادات قبل حرب ١٩٧٣ وبعدها هو مثَل واضح على ما نقول. ففي خلال هذه الفترة انتقل السادات من موقف تفاوضي ضعيف الى موقف تفاوضي قوي نتيجة لحرب تشرين الأول/اكتوبر. مع ذلك استبدل السادات عن طريق دبلوماسية ما بعد الحرب الموقف التفاوضي القوي بموقف تفاوضي ضعيف.

ثالثاً: الهدف من الدراسة

رأى عدد من المراقبين في حرب تشرين الأول/أكتوبر نصراً استراتيجياً للعرب، وفرصة ذهبية للسادات لتحقيق تسوية شاملة في الشرق الأوسط. مع هذا، يقول البعض في تحليله لدبلوماسية مصر بعد الحرب، إن السادات أضاع دبلوماسياً ما كان قد كسبه في ساحة القتال. مثلاً، يقول هنري كيسنجر إن السادات قد سنحت له فرصة فرض شروطه لو أنه كان استخدم عناصر الموقف التفاوضي الذي تحقق خلال الحرب. ولكن السادات كان ضحية للضعف الإنساني حين اختار بدلاً من ذلك أن يقف في سيارته الفارهة محاطاً بالجماهير وهو يحيي الناس كمنتصر(٣٥).

والافتراض الأساسي لكيسنجر وبعض المراقبين الآخرين(٣٦)، هو وجود عناصر قوية في الموقف التفاوضي المصري كان يمكن للسادات أن يستخدمها بصورة فعّالة لتحقيق تسوية شاملة حسب شروطه. على أن هذه العناصر لم تستخدم قط، بل تقوضت بسبب دبلوماسية السادات وتوقيعه لاتفاقية سيناء الثانية (وهي اتفاقية فك الارتباط الثانية بين مصر واسرائيل). وتهدف هذه الدراسة الى التحقق من مدى صحة هذه الفرضية، وذلك بتحليل الموقف التفاوضي المصري بعد حرب تشرين الأول/اكتوبر ومحاولة تحديد التغيرات التي طرأت على عناصره، بعد توقيع اتفاقية فك الاشتباك الثاني عام ١٩٧٥ سلباً أو إيجاباً.

---

(٣٥) Matti Golan, *The Secret Conversations of Henry Kissinger: Step by Step Diplomacy in the Middle East,* translated by Ruth Geyra Stern and Sol Stern (New York: Quadrangle, 1976).

(٣٦) مقابلة محمد حسنين هيكل في جريدة الأهالي (نيسان/ابريل ١٩٨٣).

كذلك تهدف الدراسة الى استكشاف مدى استخدام عناصر الموقف التفاوضي من قبل القيادة السياسية أو عدم استخدامها. لذا فالتركيز على دراسة السلوك السياسي للرئيس السادات (باعتباره في قمة القيادة السياسية المصرية) منذ حرب تشرين الأول/اكتوبر، وحتى توقيع اتفاقيات فض الاشتباك الأول والثاني، تصبح غاية في الأهمية.

رابعاً: المنهج

١ ـ تحديد الزعامة

هناك ثلاثة اتجاهات رئيسة لتعريف الزعامة وتحديدها. فهناك اتجاه يعتمد على المركز أو المكانة (Position) كأساس للتحديد، وآخر يعتمد على سمعة الشخص أو شهرته (Reputation) وثالث يتخذ من دور الشخص في صنع القرارات واتخاذها وسيلة لتحديد مفهوم الزعيم. أي ان هذه الاتجاهات تعتمد في تعريفاتها على كون الشخص يشغل منصباً أو مركزاً رسمياً، أو كونه ذا نفوذ في المجتمع، أو مدى مشاركته في عملية اتخاذ القرارات[٣٧]. والاختلاف بين الاتجاهات الثلاثة لا يمثل أية مشكلة في هذه الدراسة، نظراً لأنها جميعها تشكل كلاً مكملاً لبعضه البعض عند دراسة حالة السادات كزعيم. فحقيقة الأمر أن استعمال أي من الاتجاهات منفرداً أو استعمالها كلها سيؤدي بنا، لا محالة، الى اكتشاف الأهمية البالغة للتركيز على شخصية الرئيس السادات كمستوى للتحليل في هذه الدراسة. وذلك لا يعني بأي حال إغفال وجود أشخاص آخرين كان لهم دورهم في الدبلوماسية المصرية، في الفترة التي تتناولها الدراسة، إلاّ أن التركيز على هؤلاء جميعاً يخرج عن نطاق هذه الدراسة ومجالها. فالتركيز على دور الرئيس في هذه الدراسة هو اختيار مقصود مبعثه إعطاء الفرصة للمعالجة الوافية لهذا الدور، وما يمكن أن يسهم به في مجال نظرية الزعامة.

٢ ـ دور الزعيم

طبقاً لما يراه روبرت تكر (Robert Tucker)، فإن وظيفة الرئيس الجوهرية تكمن في «تحديد الموقف، أو المواقف، للجماعة، وتطوير سياسات رد الفعل الهادفة إلى حل المشكلة بما يحقق مصلحة الجماعة كما يراها الزعيم»[٣٨]. ومن نفس المنطلق، فإن كلا من سنايدر

---

(٣٧) Robert Putnam, *The Comparative Study of Political Elites* (Englewood Cliffs, N. J.: Prentice Hall, 1976), pp. 15 - 19.

(٣٨) Robert Tucker, «Personality and Political Leadership,» *Political Science Quarterly,* no. 92 (Fall 1977), p. 384.

(Snyder)، وبروك (Bruck) وسبين (Spain) يشير إلى أن الدول في سياساتها وتحركاتها إنما تسير وفقاً لتشخيص صانع القرار للموقف[٣٩].

وفي هـذه الدراسـة، فإن مـوقفنا النـظري من هذه المسـألة يتفق تمـاماً مـع هذه الرؤية، فدور السادات كان ينحصر حقيقة في تشخيص الموقف وتحديده وترجمـة ذلك التحديد في تحركات تفاوضية هدفها تحقيق أهداف معينة.

أ ـ تحديد الموقف (تشخيصه)

ويقصـد بذلـك ، عمومـاً، طبيعة المشكلة أو تشخيص المـوقف. واستعـراض أدبيات السياسة الخارجيـة في هذا المجـال يكشف عن وجود أسلوبـين لتحليل مـوقف ما:

الأول، يركز على مدى الدقة في تعريف صانع القرار للموقف. وفي هذا الصـدد فإن كلاً من سبراوت (H. and M. Sprout)[٤٠]، وبريكـر (M. Brecher) (بتصرف) ـ في أبحـاثهـم التي دارت حـول مـقـارنـة العـوامـل الـشخـصيـة (Subjective) والموضوعية (Objective) في الموقف ـ قد خلصوا إلى أهمية التركيز على الأهميـة النسبية للعوامل الشخصية (الخصائص الشخصية لصانع القرار وأثرها في تعـريفه للمـوقف). المشكلة الأساسية بالنسبة لهذا النوع من المقارنات هي كيفية تحديد ما هو موضوعي في الموقف، الأمر الذي عادة ما ينتهي الى مقارنـة بين رؤيـة الزعيم للمـوقف وبين رؤيـة المحلل (وهي التي عادة يصفها بالموضوعية). إضافة الى هذه المشكلة فإن نقاداً كثيرين يـرون أن فـائـدة هـذا النـوع من التحليـل تنحصر فقط في أهميتـه للمهتمـين بنقـل المعلومات.

أما الأسلوب الثاني، فـيركز فقط عـلى كيفية تحـديد الـزعيم للموقف، أي عـلى مضمون صفات المشكلة. فعلى سبيل المثـال، يقدم لنـا بريـدي (L. Brady)[٤١] خمسة عناصر يرى وجوب أخذها في الاعتبار عند تحليل أي موقف، والعناصر الخمسة هي: مدى تداخل العوامل النفسية مع طريقـة تحديـد الموقف (Psychological Distance)،

---

(٣٩) R. Snyder, H. Bruck and B. Spain, «Decision - Making as an Approach to the Study of International Politics,» in: R. Snyder, H. Bruck and B. Spain, eds., *Foreign Policy Decision - Making* (New York: Free Press, 1962).

(٤٠) Michael Brecher, Blema Steinberg and Janice Stein, «A Framework for Research on Foreign Policy Behavior,» *Journal of Conflict Resolution,* vol. 13, no. 1 (March 1960), pp. 75 - 101.

(٤١) L. Brady, «The Definition of the Situation,» in: East, Salmore and Hermann, eds., *Why Nations Act.*

تأثير تحديد الموقف على الأهداف (Impact on Goals)، تعقيدات المشكلة (Problem Complexity)، المهارة المطلوبة للتعامل مع المشكلة (Skill Required)، وأخيراً ضغوط عامل الوقت (Time Pressures).

ويرى دين برورويت (Dean Pruit) من جهته أهمية قصوى لتأثير ثلاثة أنواع من الصور النفسية في تحديد الموقف: إدراك التهديد وعدم الثقة والتجاوب[٤٢]. أما ريتشارد كاتام، في محاولته للخروج بتحليل منتظم للموقف (Systematic Situational Analysis)، فيقدم لنا إطاراً من المؤشرات العامة التي يعتقد بأهميتها في تحليل أي موقف[٤٣]: يشتمل اطاره هذا على مؤشرات أو اتجاهات عامة مثل التقدير المحتمل للدولة في ميزان القوى (Power Potential Rating) والعلاقات التي تربط أعضاء النخبة ونظم القيم الخاصة بالنخبة والجماهير وإدراك النخبة واتجاهاتها.

وعلى الرغم من اختلاف المصطلحات التي يستخدمها كل من كاتام وبرورويت وبريدي، فالافتراض الأساسي في تحليلاتهم انه رغم امكانية اختلاف تشخيص الموقف من صانع قرار إلى آخر، إلاّ أن الأسئلة الجوهرية التي يجب أن نبحث عن اجابات لها في تحليل أي موقف، تظل واحدة: من هم المشاركون الرئيسون في الموقف؟ ما هو تأثيرهم أو نفوذهم النسبي فيما يتعلق بتحقيق الأهداف؟ ما هي أنسب الطرق للتعامل مع المشكلة محل البحث؟

والموقف الذي تتبناه هذه الدراسة، بخصوص هذه المسألة، هو أقرب الى الأسلوب الثاني منه الى الأول. ولذلك فدراسة تشخيص السادات للموقف ستكون عبارة عن وصف لتصوراته التي تمثل رؤيته للمشاركين والمؤثرين في الموقف، تأثيرهم النسبي على الموقف كما يراه السادات، وخصائصهم وصفاتهم الأساسية وعلاقة كل ذلك بالأهداف التي ارتآها السادات لنفسه، وما هي أنسب الوسائل التي رأى السادات انها تحقق أهدافه.

ب ـ الاستراتيجية

أما الجزء الثاني من دراسة دور الزعيم، فيعكس استراتيجيته. والاستراتيجية ستعرف في هذه الدراسة على أنها تحركات الزعيم التي يهدف من ورائها تحقيق أهداف

---

(٤٢) Dean Pruitt, «Definition of the Situation as a Determinant of International Action,» in: Herbert Kelman, ed., *International Behavior: A Social Psychological Analysis* (New York: Holt, Rinehart and Winston, 1965), pp. 393 - 432.

(٤٣) Richard W. Cottam, *Competitive Interference and Twentieth Century Diplomacy* (Pittsburgh: University of Pittsburgh Press, 1967), p. 136.

معينة. ولذلك فاستراتيجية السادات سيتم دراستها في شكل عناصر موقفه التفاوضي.
ودارسو التفاوض، كعملية يحاول خلالها اثنان أو أكثر من الأطراف التأثير في بعضهما البعض بمعنى محاولة تغيير سلوك وتصرفات بعضهما البعض فيما يتعلق بأهداف معينة[٤٤]، يتفقون، بصفة عامة، على نوعين من التحركات أو التكتيكات التفاوضية: نوع «ضمني»، ونوع «صريح»[٤٥] ويحاول بواسطتهما صانع القرار أو حكومته أن تكون رسائلهم المرسلة للأطراف المشاركة في الموقف واضحة لا لبس فيها.

وعلى الرغم من اتفاق دارسي التفاوض على أن وسائل التفاوض وأدواته أربع أساسية هي: الحجة أو الاقناع والوعود والتهديد والقوة، فإن الدراسات التي حاولت تقديم تحليل مؤطر منتظم (Systematic) لهذه الأدوات، ما زالت قليلة. من هذه الدراسات القليلة، محاولة ريتشارد كاتام تقديم منظومة لعناصر الموقف التفاوضي. فهو يعرّف عناصر الموقف التفاوضي (Leverage) لطرف ما على أنها «الوسائل التي لا تنطوي على عمل أو تحرك مباشر، وتستطيع بواسطتها حكومة ما أن تمارس بعض التأثير في سياسات حكومة اخرى في وقت معين»[٤٦]. وقد نجح كاتام في تطوير وتقديم إطار للمفاهيم الخاصة بعناصر الموقف التفاوضي تضمن مجموعتين رئيسيتين من المفاهيم:

- عناصر فاعلة

«وبواسطتها تحاول حكومة ما أن ترغم أخرى على اتباع نهج معين ومحدد من السلوك وذلك من طريق وعدها بمكافأة... أو تهديدها باتخاذ خطوات ضارة بمصالحها»[٤٧]... وهذه العناصر الفاعلة هي:

أ - القدرة على منح معونة اقتصادية وفنية و/أو عسكرية، أو منعها.
ب - القدرة على التأثير في سياسات طرف ثالث.
ج - امكانية الاستعداد للجوء الى الحرب، وهذا يشمل: ١ - حرباً نووية. ٢ - حرباً نووية محدودة. ٣ - حرباً تقليدية شاملة. ٤ - حرباً تقليدية محدودة.
د - فرص تجارية سانحة مع قطر آخر.
هـ - قابلية عدم الرضاء السياسي الداخلي للاستغلال والتوظيف.
و - الجاذبية الدولية لايديولوجية ما.
ز - الاستعداد لتغيير نمط العلاقات بين البلدين.

---

(٤٤) William D. Coplin, *Introduction to International Politics: A Theoretical Overview* (Chicago, Ill.: Markham Publishing Company, 1971), p. 258.
(٤٥) T. Schelling, *The Strategy of Conflict* (New York: Galaxy Books, 1963).
(٤٦) Cottam, *Competitive Interference and Twentieth Century Diplomacy*, p. 83.
(٤٧) المصدر نفسه، ص ٨٤.

ـ العناصر الكامنة

وبواسطتها «تحاول حكومة ما إقناع حكومة ما أخرى باتباع سلوك معين ومحدد، وذلك بالتلميح إلى أن اتباعها هذا السلوك سوف يحدث تطورات لصالحها وإن لم تفعل فستحدث تطورات ضارة بها»[٤٨]. وهذه العناصر الكامنة هي:

أ ـ الاتجاهات العامة.
ب ـ احتمالات تدخّل دولة عظمى في النزاع.
ج ـ وعي وجود علاقات اعتماد متبادل فيما يتعلق بالدفاع والرفاهية الاقتصادية أو فيما يتعلق بإنجاز بعض الأهداف الاستراتيجية.
د ـ ادراك امكانية حدوث تغييرات محتملة في توازن القوى.
هـ ـ ادراك عدم استقرار اقتصادي و/أو سياسي.
و ـ ادراك احتمال حدوث نتائج ضارة تؤثر في الصداقات الشخصية التي تربط كبار المفاوضين أو تربط بين بعض الشخصيات العامة.
ز ـ ادراك عدم رشد ومسؤولية واستقرار القيادة السياسية.
ح ـ ادراك امكانية وقوع حرب بطريق الخطأ.

يرى كاتام أن هناك عنصرين يشكلان الجوهر بالنسبة لعناصر منظومة الموقف التفاوضي، وهذان العنصران هما أولاً تصور المفاوض لنفسه أو ذاته، ثانياً تصوره للطرف المضاد له. وفي هذه الدراسة، ستستخدم عناصر منظومة الموقف التفاوضي، كما طورها كاتام، كإطار مرجعي أقوم من خلاله بتحليل استراتيجية السادات.

٣ ـ العوامل المؤثرة في قيام الزعيم بدوره

هناك عاملان أساسيان يؤثران في الطريقة التي يؤدي فيها الزعيم مهام دوره:

أ ـ الموقف أو المضمون الواقعي الذي يتعامل معه الزعيم، فالزعماء لا يتحركون من فراغ بل هناك تفاعل قائم ودائم بين الزعيم والموقف.

وفي هذه الدراسة سنحاول تقديم صورة وصفية للواقع المصري قبل حرب ١٩٧٣ وبعدها، مستعملين في ذلك مستويات التحليل الثلاثة: القطري والاقليمي والدولي.

ب ـ صفات الزعيم الشخصية: وفي هذه الدراسة، سنتعامل مع صفات

(٤٨) المصدر نفسه، ص ٨٣.

السادات الشخصية من واقع دراسة تصور السادات لـذاته، ودراسـة اسلوبه في اتخاذ القرارات. والسبب الأساسي للتركيز على هذين البعدين، هو افتراضي لتأثيرهما المتوقع في تشخيص السادات للموقف.

أ ـ تصور السادات لذاته

كما يستجيب الزعماء للأشياء، وللناس الآخرين، فإنهم يستجيبون كذلك لأفكارهم ومشاعرهم. إنهم بذلك يطوّرون أفكاراً وآراء عن أنفسهم باعتبارها الشيء المركزي والعزيز. وبالتالي تتبلور حاجاتهم وتصرفاتهم حول كيفية الاعلاء من شأن تصورهم لذاتهم والدفاع عن ذلك التصور. وتصبح هذه الصورة الذاتية مركزاً لنواة ينتظم حولها أهداف وسلوك وتصرفات مختلفة(٤٩). كيف اذن رأى السادات نفسه؟ وما هي الصور الذاتية التي أثرت على أهدافه وسلوكه؟ سأعرّف تصور السادات لذاته بأنه الطريقة التي رأى بها نفسه، وسأقسّم مناقشتي الى ثلاثة أقسام: إحساسه بالهوية، ودوره في صياغة التاريخ، والتفاعل بينه كزعيم وبين أتباعه.

(١) الهوية

هل كان السادات يرى نفسه عربياً أم مصرياً؟ أعتقد أن مسألة الهوية مسألة مهمة جداً، فإن كان السادات يرى نفسه أساساً كعربي، فإن تحديده وتشخيصه لأي موقف بعينه، ولأهدافه واستراتيجيته لا بد وأن يرتبط بمطامح العرب وقبولهم وتأييدهم. أما إذا كان يرى نفسه كمصري في المقام الأول، فسيكون تحديده وتشخيصه للموقف أكثر مرونة.

(٢) الدور الخاص بصياغة التاريخ

هل كان السادات يظن أن العالم يمكنه أو لا يمكنه الاستمرار من دونه؟ إلى أي مدى، مثلاً، كان يرى في نفسه صاحب رسالة تاريخية أو يرى أنه ذو تأثير في الأحداث العالمية؟ فإذا كان السادات يتصور نفسه كصاحب «رسالة تاريخية» فإنه سيميل الى تبرير تحديده وتشخيصه لأي موقف في ضوء ذلك التصور.

(٣) التفاعل بين الزعيم والأتباع

كيف كان السادات يرى دوره كرئيس للجمهورية؟ وكيف كان يرى علاقته بمواطنيه؟ هل كان يراهم متساوين معه، أم كان يرى نفسه أباً راعياً لمواطنين أطفال

---

(٤٩) Albert Eldridge, *Images of Conflict* (New York: St. Martin's Press, 1979), p. 153.

غير ناضجين؟ إذا كان ينظر الى مواطنيه كشعب ناضج، والى نفسه كرئيس مسؤول أمامهم، فإنه سيأخذ رأيهم بعين الاعتبار، حين يحدد ويشخص الموقف ويختار الحل من بين البدائل المطروحة. أما إذا كان يرى نفسه أكبر من مواطنيه، مقللاً من أهميتهم، فإنه لن يلتزم برأيهم، وستكون له حرية أوسع في التخطيط واختيار البدائل.

ب ـ أسلوب السادات في اتخاذ القرارات

وهذا يعني طريقته في اتخاذ القرارات. وتتضمن الطريقة نمط المعلومات (التقارير) المستخدمة في اتخاذ القرارات، من حيث درجة تعقدها أو بساطتها، وهيكل هذه المعلومات، ودرجة انفتاح الزعيم وتقبله للمعلومات الجديدة، ومدى استعداده لتقبل نصيحة تختلف عن وجهة نظره، وأخيراً مدى الاتساق الاستراتيجي في اتخاذ السادات لقراراته، بمعنى هل هناك اطار مرجعي واحد لهذه القرارات أم لا؟

إن أسلوب السادات في اتخاذ القرارات سيؤثر ـ في رأيي ـ في تحديده وتشخيصه للموقف، كما هو الحال بالنسبة لتأثير تصوره لذاته في ذلك. وأفترض أن الزعيم المنفتح والمتقبل للمعلومات الجديدة، والمستعد للإصغاء الى مستشاريه والذي يتبع منهاجاً في تقويم الاستراتيجيات المختلفة، سيتمكن من تشخيص الموقف بشكل فعال. كما أعتقد أن هناك تفاعلاً بين تصور الزعيم لذاته وبين أسلوبه في اتخاذ القرارات. وبالتالي، من المتوقع أن تختلف أساليب الزعماء في اتخاذ القرارات تبعاً لاختلاف تصوراتهم لذواتهم.

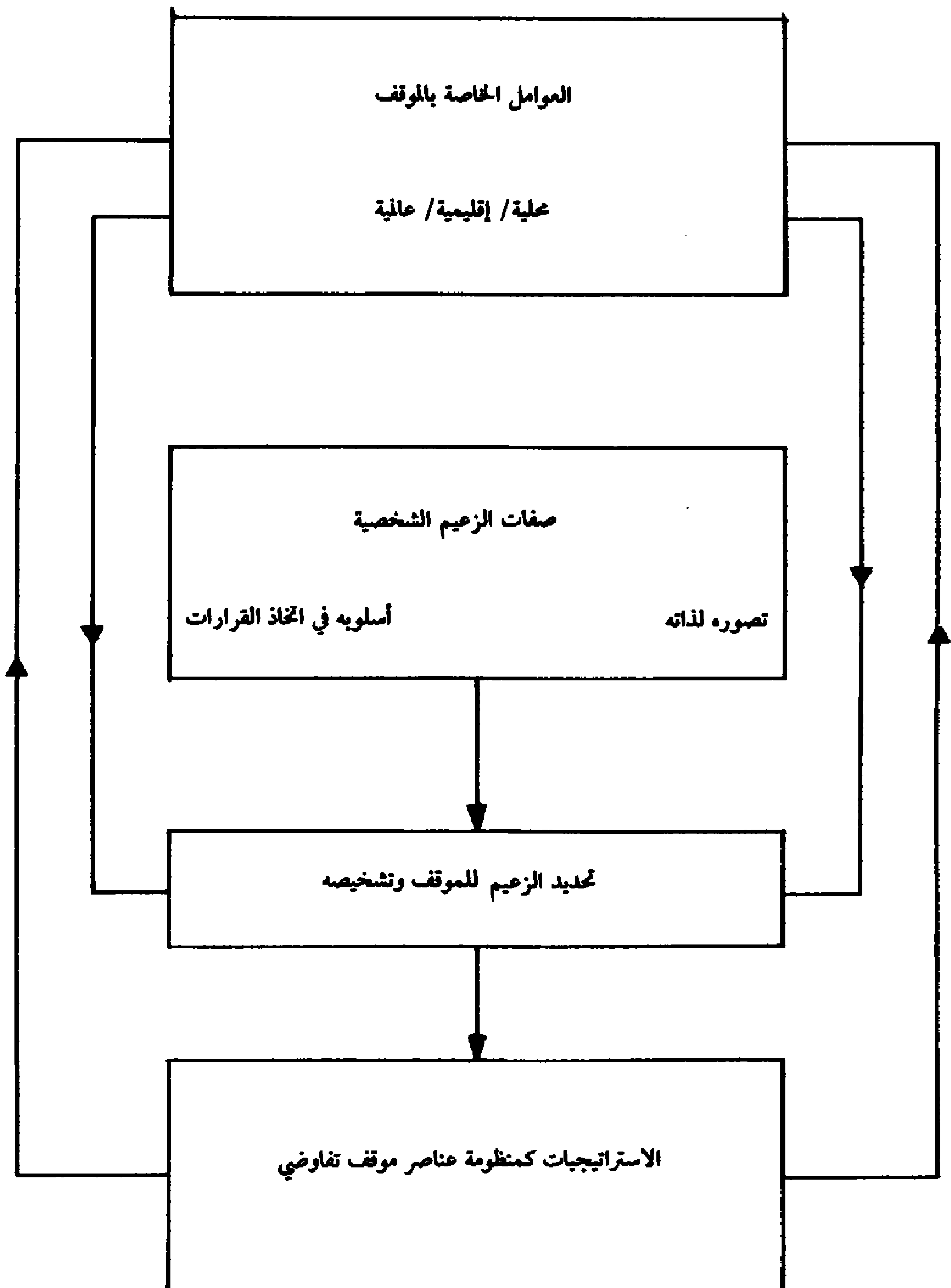
ج ـ البيانات

إن البيانات المستعملة في هذه الدراسة ومادتها مستمدة من مصدرين رئيسيين: الأول أقوال السادات، خطبه ومقالاته ومذكراته. . .، كما وردت في الوثائق المتاحة المنشورة. والثاني مقابلات متعددة أجريتها شخصياً مع أحد عشر مسؤولاً مصرياً كانوا في السلطة خلال فترة البحث. وقد تضمن عملي الميداني مقابلة أجريتها مع مايكل ستيرنر الذي كان رئيس القسم المصري في وزارة الخارجية الأمريكية في الفترة المذكورة، وسيكون مضمون هذه المقابلة مصدراً آخر للبيانات.

وللوفاء بأغراض البحث، سيتم تقسيم هذه الدراسة على النحو التالي: أولاً، سأصف الوضع السياسي المصري من ١٩٦٧ الى ١٩٧٣. وغرض هذا الفصل هو إلقاء الضوء على عناصر الموقف التي رسمت للسادات حدود تحركه. ثانياً، سأتناول صفات السادات الشخصية، وسأحاول بذلك أن أبيّن التفاعل بين تصور السادات لذاته وأسلوبه في اتخاذ القرارات. ثالثاً، وبعد عرض كل من عناصر الموقف،

والعوامل الشخصية، سأحلل طريقة السادات في تحديد الموقف وتشخيصه وترجمته هذا التحديد الى تحركات تفاوضية لتحقيق أهدافه. سأحلل بذلك تأثير المتغيرات الشخصية وكذلك المتعلقة بالموقف في عمل السادات. وفي القسم الثاني من هذه الدراسة، سأحدد الاتجاهات الرئيسة في الموقف السياسي المصري بعد حرب تشرين الأول/اكتوبر (١٩٧٣ ـ ١٩٧٥). ثم أحلّل طريقة السادات في تحديد الموقف وتشخيصه وترجمة ذلك الى تحركات تفاوضية. وسواءً استخدم السادات عناصر منظومة الموقف التفاوضي المصري أم لم يستخدمها، فسيتم تقدير أثر المتغيرات الشخصية وكذلك المتعلقة بالموقف في سلوكه وتحركاته. وأخيراً، سأحاول في القسم الختامي أن أفسر لماذا فعل السادات ما فعله، وعلاقة ذلك بدوره كزعيم.

شكل رقم (١ ـ ١)
التفاعل بين الزعيم والموقف



الفَصْلُ الثَانِي

المَوقِفُ السِيَاسِيُ ١٩٧٠-١٩٧٣

إن الـزعـماء لا يعملون في فـراغ ، بـل يتفـاعلون مـع الـظروف والمـواقف من حولهم. فأعـمال الزعـماء هي في جوهـرها انعكـاس لتصوراتهم أو لـرؤاهم وتحليلاتهم للموقف من حولهم. والموقف هو بمثابة الاطـار الذي يـدرك من خلالـه صانـع القرار الفرص المتاحـة أمامـه أو محدوديـة حركتـه، ومن ثم القيود التي قـد تحدّ من حـركته. لـذلك، سيكـرس محتوى هـذا الفصل لـدراسة المـوقف السيـاسي المصري في بـدايـة السبعينات، بهدف التعرف على مجموعة الفرص والقيود التي أحاطت بتجميد الـرئيس السـادات للموقف المصري في هـذه الفترة. ولانجـاز هذه المهمـة سأتنـاول بالتحليـل المـوقف السياسي المصري من خـلال ثلاثـة مستويـات للتحليل(Levels of Analysis) تتفاعل فيما بينها، هي: المستوى القطري (National) والاقليمي (Regional) والعالمي (Global).

مع هذا، فقـد كان رد الفعـل على مستـوى النخبة مختلفـاً تمامـاً. فقد نُـظر الى نموذج عبدالناصر التقدمي بارتياب من قبـل البلدان العربية التي كـانت تفضل التغيـير الاجتماعي البطيء والتدريجي على تغيير عبدالنـاصر الثوري. كـما أن القوميـة العربيـة التي نادى بها عبـدالناصر، ودعـواته المتكـررة من أجل الـوحدة العـربية، عـلى أساس الإطاحة بتلك الأنظمة المحافظة وإقامة أنـظمة ثـورية بـديلة، قد عمّقت شعـور تلك الأنظمة المحافظة بالتهديد الذي رأته مجسداً في النموذج الثوري المصري(١).

---

(١) للاطلاع على مزيد من التفاصيل عن الخلافات بين البلدان العربية، انظر:

Malcolm H. Kerr, *The Arab Cold War: Gamal Abd al - Nasir and His Rivals, 1958 - 1970* (London: Oxford University Press for the Royal Institute of International Affairs, 1971).

وبينما كانت الأنظمة العربية التقدمية ترى في الوحدة العربية وسيلة لتدمير دولة إسرائيل وحل المشكلة الفلسطينية، فإن الأنظمة المحافظة، مكتفية بالشعارات في مواقفها من القضية الفلسطينية، كانت ترى التهديد الحقيقي ممثلاً في الأنظمة العربية التقدمية أكثر من تجسده في الوجود الاسرائيلي. بل يمكن القول ان تلك الأنظمة المحافظة رأت في اسرائيل حليفاً غير مباشر يشاركها في الهدف ذاته، وهو زعزعة الأنظمة التقدمية، ان لم نقل الاطاحة بها. وكانت الأنظمة المحافظة تأمل في أن يصبح النزاع العربي ـ الاسرائيلي الشاغل الأول للبلدان التقدمية، بحيث تقصر جهودها على قتال اسرائيل، ومن ثم لا يعود لديها وقت للتدخل في الشؤون الداخلية للبلدان المحافظة.

فعلى سبيل المثال، كانت الحرب الدعائية التي توجهها هذه الأنظمة المحافظة قبل عام ١٩٦٧ تتهم عبدالناصر بأنه غير قادر على محاربة اسرائيل، وانه يختبىء خلف قوات الأمم المتحدة. وكان هدف هذه الدعاية هو ابقاء عبدالناصر مشغولاً باسرائيل، ان لم يكن دفعه الى حرب لم يكن مهيأً لها.

أما بالنسبة لاسرائيل، فقد كانت ترى في الأنظمة العربية الثورية العدو الرئيسي الذي يهدد وجود دولة اسرائيل ذاته. ليس فقط لأن هذه الأنظمة نظرت الى تأسيس دولة اسرائيل كجزء من مخطط امبريالي موجه ضد الأمة العربية[٢]، بهدف تقسيمها واضعافها ولذا لا بد من تدميرها، بل لأن هذه الأنظمة الثورية كانت تعمل كذلك بدأب على بناء قدراتها الذاتية لتحقيق هدفها النهائي، فتهدد بذلك أمن دولة اسرائيل.

ولقد فتح النزاع العربي ـ الاسرائيلي ضمن عوامل أخرى، باباً لتغلغل الدول الكبرى في المنطقة. فمن جهة، كانت الولايات المتحدة تهدف الى الحفاظ على أمن ورضاء دولة اسرائيل، فضلاً عن تقليل النفوذ السوفياتي في المنطقة، كما تهدف الى ضمان تدفق النفط والبترودولارات الى الغرب[٣]. ولتحقيق هذه الأهداف، تحالفت الولايات المتحدة مع اسرائيل ومع الأنظمة العربية المحبذة للتغيير الاجتماعي البطيء، وهي في الغالب ملكيات محافظة منتجة للنفط. كذلك تميل الولايات المتحدة الى الابتعاد عن الأنظمة المحبذة للتغيير الثوري، لأن أهداف هذه الأنظمة تتعارض من

---

(٢) Yair Evron, «Two Periods in the Arab - Israeli Strategic Relations: 1957 - 1967, 1967 - 1973,» in: Itamar Rabinovich and Haim Shaked, eds., *From June to October: The Middle East between 1967 and 1973* (New Brunswick, N. J.: Transaction Books, 1978), pp. 92 - 126.

(٣) William Baur Quandt, «The Arab - Israeli Conflict in American Foreign Policy,» in: Rabinovich and Shaked, eds., Ibid., pp. 3 - 24.

جانب مع الهدف الأمريكي في المحافظة على أمن ورخاء اسرائيل، ومن جانب آخر كانت الولايات المتحدة ترى في علاقات هذه الأنظمة بالاتحاد السوفياتي تكريساً للنفوذ السوفياتي في المنطقة، الأمر الذي كانت تعمل على الحيلولة دون وقوعه.

من جهة أخرى، يميل الاتحاد السوفياتي الى تأييد العناصر المحبذة للتغيير الاجتماعي السريع في المنطقة، وبخاصة النظم الجمهورية في مصر وسوريا والعراق والجزائر. واذا كان هناك اجماع، في أدبيات السياسة الخارجية، حول أهداف السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط، فالأمر مختلف تماماً بالنسبة للأهداف السوفياتية، حيث تتباين الآراء حول طبيعة هذه الأهداف أو ماهيتها الا انه يمكن القول، بصفة عامة، ان السوفيات يميلون الى اقتناص الفرص الضائعة من الغرب، فيقدمون أنفسهم لتلك الأنظمة الثورية، باعتبارهم البديل المتاح الوحيد للتكنولوجيا والأسلحة الغربية التي تحتاجها تلك الأنظمة، كل الحاجة، ولكنها لا تستطيع الحصول عليها.

نذكر في هذا الصدد، على سبيل المثال فقط، صفقة الأسلحة مع مصر في عام ١٩٥٥، والعرض السوفياتي لمساعدة مصر في بناء السد العالي، وكلاهما رفضته الولايات المتحدة.

وبحلول الستينات، تزايد تأثير نموذج عبدالناصر في التغيير الاجتماعي السريع، تزايداً كبيراً نتيجة لعوامل عدة، منها تعاظم قدرات النظام المصري وامتلاكه قدرة عسكرية كبيرة، اضافة الى قيام الحكومة المصرية بتقديم العديد من المساعدات الاقتصادية والثقافية لمعظم الأقطار العربية. وكذلك كان لمحاربة عبدالناصر للنفوذ الغربي في المنطقة، ومواقفه المتمثلة في وقوفه ضد حلف بغداد، وتأميمه لقناة السويس وقيادته لحركة عدم الانحياز، أبلغ الأثر في تزايد النفوذ المصري في المنطقة[٤].

وبالتالي غدا نموذج التغيير المصري عنصراً من عناصر التهديد. فهو بالنسبة للأنظمة المحافظة يهدد استقرارها الداخلي بتقديمه لبديل ناجح قد تطمح اليه جماهيرها أو تأمل فيه.

أما بالنسبة لاسرائيل فإن القدرة المصرية المتزايدة، الى جانب شعارات عبدالناصر المناهضة لاسرائيل، قد هددت وجود دولة اسرائيل ذاتها.

أما بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، فقد رأت في سياسات عبدالناصر

---

(٤) Malcolm H. Kerr, «Regional Arab Politics and the Conflict with Israel,» in: Paul Y. Hammond and Sidney S. Alexander, eds., *Political Dynamics in the Middle East* (New York: American Elsevier, 1972), p. 36.

واعتماده على السوفيات في مشروعات التنمية، مصدراً أساسياً للتوسع السوفياتي في المنطقة، الأمر الذي كانت تحاول أن تتحاشاه.

وبالتالي كانت حرب حزيران/يونيو (١٩٦٧) فرصة ذهبية لتقويض النموذج، ومن ثم عكس الاتجاهات المذكورة آنفاً. كانت هزيمة حرب الأيام الستة نكسة عظمى لمصر، من الناحيتين العسكرية والاقتصادية معاً. فقد دمّر الجيش المصري تدميراً كاملاً، وقتل في الحرب (٩٨٠٠) جندي[٥]. ودمرت تجهيزات القوة الجوية بنسبة ٨٥ بالمائة تقريباً[٦]. وتحطم عملياً القسم الأعظم من المؤسسة العسكرية. وأدى حجم الهزيمة العسكرية الكبير الى شعور باليأس والمرارة، وليس هذا فقط بل أدى ذلك إلى تبديد صورة الجيش المصري كمدافع عن الوطن العربي ضد إسرائيل[٧]. أما من الناحية الاقتصادية، فقد خسرت مصر قسماً كبيراً من مواردها الاقتصادية نتيجة لاغلاق قناة السويس، وخسارة حقول النفط في سيناء، وتدهور السياحة.

وقد يبدو لأول وهلة ان اسرائيل قد حققت أهدافها من الحرب، فانتصارها على ثلاثة أقطار عربية (مصر وسوريا والأردن) واحتلالها لجزء كبير من اراضيها، قد زاد من احساس اسرائيل بالأمن، وأورثها شعوراً بالتفوق. ومن جانب آخر، فإن هزيمة دولتين من حلفاء الاتحاد السوفياتي في المنطقة (مصر وسوريا) قد جرى تصويرها على انها هزيمة للنفوذ السوفياتي في المنطقة.

كذلك غدت الأنظمة العربية المحافظة آمنة بدرجة أكبر، فلدى عبدالناصر من المشاكل ما يشغله عن تهديد الاستقرار السياسي لهذه البلدان. كما ان اعتماد عبدالناصر المتزايد على معونتها المالية هو بمثابة عامل ردع آخر يمنعه من التدخل في شؤون تلك الأنظمة الداخلية.

إلا ان مظاهرات ٩ ـ ١٠ حزيران/يونيو ١٩٦٧ التي عمّت الوطن العربي كانت بمثابة نقطة التحول في الموقف. فقد رفضت الجماهير العربية استقالة عبدالناصر، وأصرت على «مواصلة الكفاح» تحت زعامته «لإزالة آثار العدوان» واسترجاع الأراضي المحتلة. ولقد اعتبرت هذه المظاهرات بمثابة تخويل من الشعب لعبدالناصر ليقوده ويخرجه من هوّة الهزيمة. وأصبح هدف عبدالناصر العملي إعادة بناء الجيش المصري

---

(٥) محمد فوزي، حرب الثلاث سنوات، ١٩٦٧ ـ ١٩٧٠ (القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٤)، ص ١٦٠.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٦١.

(٧) Eliezer Sheffer, «The Egyptian Economy between the Two Wars,» in: Rabinovich and Shaked, eds., *From June to October: The Middle East between 1967 and 1973*, pp. 139 - 144.

حتى يكون قادراً على تحرير الأراضي المحتلة خلال ثلاث سنين[8]. جمعت استراتيجية عبدالناصر بين الجوانب العسكرية والسياسية معاً. فهو من الناحية السياسية كان يميل الى قبول أية تسوية سلمية تدعو الى انسحاب الاسرائيليين الى حدود ما قبل ١٩٦٧ والى الاعتراف بحقوق الفلسطينيين. ومع أن عبدالناصر أقر بأن «ما أخذ بالقوة لا يمكن أن يسترجع بدونها»، فإنه كان مستعداً لاستكشاف الحلول السياسية لكي يكسب من الوقت ما يكفي لإعادة بناء الجيش، وتعبئة الرأي العام العالمي لتأييد قضية مصر. كان ذلك واضحاً في قبوله لعدد من المبادرات الدبلوماسية، كقرار الأمم المتحدة (رقم ٢٤٢) ومشروع روجرز. أما من الناحية العسكرية، فقد كان همه منصباً على إعادة بناء الجيش وتزويده بأحدث الأسلحة المتقدمة التي من شأنها أن تعيد التوازن مع أسلحة القوات الاسرائيلية. ويتطبيق خطة تتألف من ثلاث مراحل: (الصمود، الردع، وعبور قناة السويس وتحرير الأراضي المحتلة) أصبح الجيش المصري قادراً، بحلول نهاية ١٩٧٠، على استعادة الأراضي المحتلة. وبما أن الاتحاد السوفياتي كان المصدر الوحيد المتاح للسلاح، فقد هدفت سياسة عبدالناصر الى زيادة إشراك السوفيات في النزاع. وعبر هيكل عن ذلك بقوله: «إنه (عبدالناصر) أراد أن يضمن أن يكون شعورهم (السوفيات) بأن هزيمة مصر هي هزيمتهم؛ وأن سمعتهم مرتبطة بسمعة مصر»[9].

والسوفيات، من جانبهم، لم يترددوا في مدّ يد المساعدة الى حليفتهم. (انظر الجدول رقم ٢ ـ ١). فقام السوفيات مثلاً، خلال الشهر الأول من الهزيمة، بتزويد مصر بمقدار ٤٨ ألف طن من السلاح لتعويض الخسائر العسكرية المصرية[10]. وبحلول ١٩٧٠ كان حجم المساعدة العسكرية السوفياتية لمصر ونوعيتها شيئاً لم يسبق له مثيل[11]. وأدت حرب الاستنزاف التي شنها عبدالناصر وتأييد السوفيات لمصر، مع دعم الولايات المتحدة لاسرائيل وتزويدها بأحدث التقنية العسكرية، أدى كل هذا الى زيادة التوتر في المنطقة. وليس هذا فقط بل أدى كذلك الى مواجهة وشيكة بين الدولتين العظميين[12]. (انظر الجدول رقم ٢ ـ ٢).

---

(٨) فوزي، المصدر نفسه، ص ١٩٠.

(٩) Mohammed Hasanayn Heikal, *Sphinx and Commissar: The Rise and Fall of Soviet Influence in the Arab Word* (London: Collins; New York: Harper and Row, 1978), p. 191.

(١٠) فوزي، المصدر نفسه، ص ١٩٤.

(١١) Walter Zéev Laqueur, *Confrontation: The Middle East and World Politics* (New York: New York Times Book Co., 1979), p. 6.

(١٢) قام السوفيات بدور فعّال في الدفاع عن عمق مصر وذلك بتشغيل منظومة الصواريخ بواسطة رجالهم.

جدول رقم (٢ ـ ١)

المساعدات العسكرية السوفياتية للبلدان العربية والمبيعات للفترة، ١٩٥٠ ـ ١٩٧٢
(بملايين الدولارات الأمريكية)

البلد المستلم	المساعدات العسكرية السوفياتية والمبيعات
الجزائر	٤٠٠
السودان	٦٥
سوريا	٧١٥
العراق	١,٠٠٠
مصر	٢,٧٠٠

المصدر: United States, Department of State, *Communist States and Developing Countries Aid and Trade in 1972* (Washington, D. C.: U. S. Govt. Print. Off. 1972).

جدول رقم (٢ ـ ٢)

المساعدات الاقتصادية والعسكرية الأمريكية للشرق الأوسط
والمبيعات للفترة، ١٩٤٦ ـ ١٩٧٢
(بملايين الدولارات الأمريكية)

البلد المستلم	المساعدات الاقتصادية الأمريكية	المساعدات العسكرية الأمريكية والمبيعات
ايران	٩٧١	٣,٤٥١,٥٠
اسرائيل	١,٤٣٨	١٩٩,٥
الأردن	٤٢١	٦٠٠,٥٠
الكويت	٥٠	١,٢٠
لبنان	١٢٦	٣٢,١٠
السعودية	٧٢	٩٩٥,٥٠

المصدر: «U. S. Aid, U. S. Overseas Loans and Grants, and Military Assistance and Foreign Military Sales Facts,» (April 1973).

ولغرض تحاشي المواجهة بين الدولتين العظميين، وتقليل النفوذ السوفياتي المتزايد في المنطقة، والمحافظة على أمن إسرائيل، ومساعدة أنصار التغيير السلمي البطيء في الأنظمة العربية التي شعرت بالتهديد من جراء الموجات المناهضة لأمريكا في الوطن العربي، قامت إدارة الرئيس نيكسون بتقديم مبادرة روجرز عام ١٩٧٠.

جاءت هذه المبادرة لتمثل تحولاً في موقف الولايات المتحدة من النزاع. فبينما كانت إدارة الرئيس جونسون تميل الى تبني الموقف الإسرائيلي القائل بعدم وجود بديل أمام البلدان العربية سوى التفاوض مباشرة مع إسرائيل في عملية تؤدي الى معاهدة سلام رسمية تضمن أمن اسرائيل، جاءت إدارة نيكسون تحدوها رغبة في تحقيق توجّه أكثر توازناً نحو النزاع، وذلك بدعوتها الى وقف إطلاق النار، والى مفاوضات غير مباشرة على أساس قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢[١٣]. وكان قبول عبدالناصر بمبادرة روجرز منسجماً مع أساس استراتيجيته في قبول أي مقترح دبلوماسي يمكن أن يستخدم لخدمة مصالح مصر، دون أن يلزم نفسه بانهاء النزاع أو بفصل مطالب مصر الاقليمية عن مطالب الفلسطينيين والبلدان العربية. لقد كان لمبادرة روجرز فائدتها فعلاً بالنسبة للجانب العسكري من استراتيجية عبدالناصر: فسيكون بوسع مصر أن تستغل وقف إطلاق النار لنقل صواريخها المضادة للطائرات قريباً من قناة السويس، لتحسين مركزها العسكري، ولحرمان اسرائيل من تفوقها الجوي. من جهة أخرى، كانت إسرائيل متخوفة جداً من أن كلاً من الدولتين الأعظم كانت «تخطب ود عبدالناصر». فواشنطن تعرض عليه انسحاباً إسرائيلياً من خلال ضغط أمريكي سياسي واقتصادي، وموسكو تقترح معونة عسكرية له[١٤]. وعبدالناصر، من وجهة نظر إسرائيل، لم يقدم أي تنازل يشجعها على قبول المبادرة. مع هذا، فإن وعود إدارة نكسون لاسرائيل ووعيدها من جهة، وتزايد الإصابات الاسرائيلية في حرب الاستنزاف من جهة أخرى، أجبر اسرائيل على قبول مبادرة روجرز.

أما على المستوى الاقليمي فقد نظر الفلسطينيون الى المبادرة على أنها بمثابة التخلي عن قضيتهم. وأدى قبول الأردن بمبادرة روجرز، ضمن عوامل أخرى، الى الحرب الأهلية في الأردن في أيلول/سبتمبر ١٩٧٠. ومع أن قبول عبدالناصر بمبادرة روجرز قد عرّضه لهجوم شديد من الفلسطينيين، وقد تزايد نفوذهم سريعاً بعد هزيمة ١٩٦٧، فإنه لعب دوراً رئيسياً في التوصل الى وقف إطلاق النار بين الفلسطينيين

---

(١٣) لمزيد من التفاصيل، انظر:
Quandt, «The Arab - Israeli Conflict in American Foreign Policy,» pp. 3 - 24.

(١٤) Shlomo Aronson, *Conflict and Bargaining in the Middle East: An Israeli Perspective* (Baltimore, Maryland: Johns Hopkins University Press, 1978), p. 123.

والملك حسين عاهل الأردن الذي قرر أن ينهي نفوذهم المتزايد في بلاده.

أولاً: وفاة عبدالناصر

كانت وفاة عبدالناصر، في الثامن والعشرين من أيلول/سبتمبر ١٩٧٠، صدمة قوية للشعب العربي في مختلف أقطاره. وعلى الرغم من فداحة الخسارة التي أحست بها الملايين، الا انه يمكن القول إن عبدالناصر قد ترك قبل رحيله أساساً لمركز تفاوضي قوي يمكن بواسطته المساومة من أجل حل عادل ومشرف.

فقد بلغ الاستعداد العسكري المصري للمعركة مرحلته النهائية، وذلك بدفع الصواريخ المضادة للطائرات الى منطقة القناة. كما ان الدعم العسكري السوفياتي لمصر كان في نظر عبدالناصر عاملاً مهماً لخلق توازن مع قوة الولايات المتحدة في المنطقة، اضافة الى ما يسهم به ذلك الدعم في زيادة قدرة مصر على المقاومة في مواجهة اسرائيل. يضاف الى كل ذلك تعاظم التأييد العربي لسياسة عبدالناصر، وخاصة بعد ثورتي السودان وليبيا ١٩٦٩، وقد كان لنجاح عبدالناصر في جمع الزعماء العرب، في آخر اجتماع قمة عربي له قبل وفاته، وتمكنه من وقف اطلاق النار بين الفلسطينيين والملك حسين، أبلغ الأثر في زيادة مصداقية زعامته واكسابه دعماً عربياً عظيماً. وأخيراً فإن استراتيجية عبدالناصر الهادفة الى زيادة حدّة التوتر في المنطقة قد نجحت في جذب انتباه الدولتين الأعظم الى الأزمة، فبلغ اهتمامهما بها ذروته. وبالتالي بذلتا أقصى الجهود الدبلوماسية لتخفيف حدة التوتر، وتحاشي الصدام بينهما.

لذا يمكنني أن أقول إنه حين تولّى الرئيس السادات السلطة بعد وفاة عبدالناصر، كان أمامه أن يختار بين بديلين: فإما أن يواصل استراتيجية عبدالناصر ويلجأ الى الحرب، وإما أن ينهج نهجاً سلمياً. ولذا فقد كانت الفترة من أيلول/سبتمبر ١٩٧٠ وحتى أيار/مايو ١٩٧١، والتي سعى خلالها السادات الى توطيد أركان حكمه، فترة مليئة بالصراعات المتولدة عن التناقض بين هذين الخيارين. ومن هنا كان من المهم جداً القاء بعض الضوء على هذه الفترة الحرجة من تاريخ مصر.

ثانياً: تسلم السادات للسلطة

خلقت وفاة عبدالناصر إضطراباً خطيراً في النظام السياسي المصري. فقد كان موته يعني ان على البلاد أن تختار خلفاً له، وبعض أراضيها تحت الاحتلال، في حين ان الاستعداد العسكري لاستعادة تلك الأراضي وتحريرها كان قد اكتمل تقريباً، وما على رئيس الجمهورية الا التوقيع على قرار الحرب. وفي خضم هذه الأحداث تولّى

أنور السادات، وكان نائباً لرئيس الجمهورية، مهام الرئاسة مؤقتاً كما يقضي الدستور. وفي الخامس من تشرين الأول/اكتوبر وافقت اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي المؤلفة من مئة وخمسين عضواً، على قرار اللجنة التنفيذية العليا، المؤلفة من ثمانية أعضاء، ترشيح السادات لرئاسة الجمهورية. وفي السابع من الشهر ذاته، صدق مجلس الأمة على قرار الترشيح، وفي السادس عشر منه تم الاستفتاء الشعبي العام(١٥)، وفي اليوم التالي أقسم السادات اليمين أمام مجلس الأمة كرئيس جديد لمصر لمدة ست سنوات. وقد تمّ كل ذلك ظاهرياً وفق عملية انتقال للسلطة، بدت هادئة لا تعتورها العقبات، ولكن هل كانت فعلاً كذلك؟

ثالثاً: مشكلة الخلافة

حين تولى أنور السادات رئاسة الجمهورية بعد وفاة عبدالناصر المفاجئة، لم يكن شخصاً غير معروف للمصريين كلياً(١٦). بل على العكس فقد كان عضواً في جماعة الضباط الأحرار التي أطاحت بالملكية في ٢٣ تموز /يوليو ١٩٥٢. وكان قبل الثورة معروفاً سياسياً بسبب اشتراكه ببعض الأحداث المشهورة في تلك الحقبة. ومن الأمثلة على أنشطة السادات السياسية قبل الثورة، اشتراكه في اغتيال أمين عثمان، وكان وزيراً للمالية، وفي محاولة اغتيال النحاس باشا الزعيم السياسي ورئيس الوزراء الأسبق، وتعاونه مع ألمانيا النازية خلال الحرب العالمية الثانية...(١٧). ولكن عندما استولى عبدالناصر والضباط الأحرار على السلطة، تولى السادات مراكز مختلفة كانت شكلية أكثر مما هي ذات فحوى. فالسادات لم يشغل مثلاً، خلافاً لباقي أعضاء مجلس قيادة الثورة، منصباً وزارياً(١٨). وحتى عندما أصبح رئيساً لمجلس الأمة، في عام ١٩٦٤، لم يكن يتمتع بوزن سياسي كبير. والواقع ان العمل داخل المجلس كانت تقرره في العادة السلطة التنفيذية المتمثلة بالوزارة وبرئيس الوزراء، وكذلك التنظيم السياسي متمثلاً في الاتحاد الاشتراكي العربي.

ويمكن، من ناحية، النظر الى هذا كانعكاس لإحدى صفات النظام السياسي المصري، وفيه تهيمن السلطة التنفيذية على السلطات الأخرى(١٩). لذا فرئيس الوزراء

---

(١٥) *Keesing's Contemporary Archives* (October 1970).

(١٦) يميل الباحثون الغربيون الى الاعتقاد بأن السادات تولّى السلطة من العدم.

(١٧) Anwar el - Sadat, *In Search of Identity: An Autobiography* (New York: Harper and Row, 1978), p. 14.

(١٨) Mohammed Hasanayn Heikal, *Autumn of Fury: The Assassination of Sadat* (New York: Random House, 1983), p. 30.

(١٩) Tarik El - Bishry, «The 1952 Revolution and Democracy,» in: Ali E. Hillal De- =

هو أكثر نفوذاً من رئيس المجلس. ويعكس هذا، من ناحية أخرى، شيئاً من شخصية السادات في تلك الفترة، بصفته مسايراً يوافق على كل شيء[20]، فهو لكي يتجنب أية مواجهة أو اختلاف مع عبدالناصر، كان ميالاً لتحاشي أية مواجهة مع السلطة التنفيذية[21].

وعندما عُين السادات نائباً لرئيس الجمهورية في كانون الأول/ديسمبر ١٩٦٩، كان منصبه ذا طبيعة شكلية أكثر مما هو ذا مضمون. فعلى الرغم من أن الدستور لا يحدد بالتفصيل دور نائب الرئيس، ولا يعرّف واجباته، كان الرئيس عبدالناصر يخول نوابه صلاحية أداء وظائف بعينها. كان هذا واضحاً مثلاً في حالة عبدالحكيم عامر (مسؤولاً عن الجيش ولجنة تصفية الاقطاع) وزكريا محيي الدين (رئيساً للوزراء بالإضافة الى كونه نائباً للرئيس) وعلي صبري(مسؤولاً عن الاتحاد الاشتراكي العربي).

وخلافاً لهذا النمط من الترتيب، لم يعهد للسادات بأية واجبات محددة، مما حدا بعدد من المطّلعين في السياسة المصرية الى التساؤل عن السبب في ترشيح السادات نائباً لرئيس الجمهورية[22]. ومهما يكن تفسير ذلك أو أسبابه، فثمة إجماع على أن نيابته للرئاسة لم تكن «تكريساً له لولاية العهد»[23]. لهذا عندما مات عبدالناصر، كان السادات، بصفته الدستورية كنائب للرئيس، على قمة هيكل السلطة السياسية دستورياً، دون أن يكون شاغلاً لها فعلياً. بل ويمكن القول إن عدم وجود ترتيب للأسبقية في النظام السياسي المصري، جعل من الصعب اختيار خليفة للرئيس الراحل. ومع أن الاتحاد الاشتراكي العربي هو بموجب الدستور أعلى سلطة سياسية في البلاد، الا ان الدستور لم يحدد أساس الأسبقية السياسية داخل التنظيم السياسي. ومن ثم يمكن القول إن عدم وجود نظام للأسبقية (Seniority System) خلق نوعاً من الحساسية بين أولئك الذين يتمتعون بأسبقية رسمية أو أسبقية مركز من جراء القدم أو طول مدة الخدمة (مما قد لا يعني نفوذاً حقيقياً أو سلطة سياسية) وبين أولئك الذين هم ذوو نفوذ (Influentials) أو أصحاب السلطة في حقيقة الأمر.

---

ssouki, ed., *Democracy in Egypt,* Cairo Papers in Social Sciences, Monograph 2 (Cairo: = American University in Cairo, 1978).

(٢٠) Jean Lacouture, *Nasser* (Paris: Seuil, 1971), p. 321.

(٢١) مقابلة مع علي صبري، نائب رئيس الجمهورية الأسبق، بتاريخ ١٠ تموز/يوليو١٩٨٣.

(٢٢) لمزيد من التفاصيل، انظر: Heikal, *Autumn of Fury: The Assassination of Sadat,* and عبدالله امام، انقلاب ١٥ مايو (القاهرة: دار الموقف العربي، ١٩٨٣)، ص ٥٥ ـ ٧٠.

(٢٣) David Hirst and Irene Beeson, *Sadat* (London: Faber and Faber, 1981), p. 100, and Robert Michael Burrell and Abbas R. Kelidar, *Egypt: The Dilemmas of a Nation, 1870 - 1977,* Washington Papers; vol. 5, 48 (Washington, D. C.: Georgetown University, Center for Strategic and International Studies; Beverly Hills, Calif.: Sage Publications, 1977), p. 13.

ولقد كان الرأي السائد بين كبار المسؤولين أن يتولى نائب الرئيس، تعاونه المؤسسات السياسية، مهام الرئيس بالوكالة، وذلك الى أن يتم «ازالة آثار العدوان» وانتهاء المدة الباقية لرئاسة عبدالناصر، على أن تجري بعد ذلك انتخابات جديدة لشغل منصب الرئيس[٢٤]. إلا أن هناك عوامل عديدة تدخّلت لتغيير هذه الخطة والاسراع في عملية انتخاب السادات للرئاسة. فمن جانب، كانت القوات المسلحة وهي مقبلة على معركة عسكرية، في حاجة الى وجود قائد أعلى مسؤول، الأمر الذي يحتم وجود رئيس فعلي للجمهورية. ومن جانب آخر، اجتمع الأعضاء السابقون لمجلس قيادة الثورة، وكانوا قد شاركوا عبدالناصر في السلطة ولكنهم اختلفوا معه فاختفوا تدريجياً عن المسرح السياسي، وبعثوا برسالة الى السادات يطلبون فيها حل المؤسسات السياسية وتشكيل مجلس رئاسة يضمهم والسادات لفترة مؤقتة، ولحين إجراء الانتخابات. وطالبوا كذلك بتشكيل جبهة وطنية تتولى وضع مسودة دستور جديد.

كان هذا يعني بالنسبة لأعمدة النظام الناصري تقويضاً لنظامهم؛ ويعني كذلك أن الذين اختلفوا مع عبدالناصر في حياته، وانسحبوا من السياسة المصرية، سيتقدمون لقيادة البلاد بعد وفاته. ولم يكن هذان الأمران مقبولين بالنسبة لهم[٢٥]. وكان الحل بنظرهم ترشيح السادات لرئاسة الجمهورية لتجنب المواجهة مع المنشقين من أعضاء مجلس قيادة الثورة.

كذلك لم يقبل السادات نفسه بالعرض الذي قدمه له مجلس قيادة الثورة السابق، وكانت حجته أن الجماهير اختارت خيارها بوضوح حين تظاهرت في ٩ و١٠ حزيران/يونيو لتطلب من عبدالناصر ألا يستقيل، وكذلك خلال جنازة عبدالناصر حين كانت تهتف مطالبة باستمرار النظام[٢٦].

ويمكن القول ان كلاً من أعمدة النظام الناصري والسادات كانت له مصلحة مكتسبة في رفض عرض مجلس قيادة الثورة. فقد كان من مصلحة السادات المثلى أن يقف في صفّ المسيطرين على الوضع من الناصريين، لا في صف الذين لا قاعدة لهم في السلطة آنئذٍ من أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين. أما بالنسبة للمجموعة الناصرية، فإنهم لم يكونوا على صلات طيبة مع أولئك الأعضاء، وهذه حقيقة لا يمكن تجاهلها، فضلاً عن الاختلاف في الوجهة السياسية بين بعض أولئك الأعضاء

(٢٤) el - Sadat, *In Search of Identity: An Autobiography*, p. 283.

(٢٥) امام، انقلاب ١٥ مايو، ص ١٠٨ ـ ١١٢.

(٢٦) المصدر نفسه، ص ١٠٨.

والناصريين. وهكذا كان من الأسهل عليهم العمل مع السادات، الذي كان في ذلك الحين يسير في مجرى النظام الناصري، من العمل مع أولئك الأعضاء السابقين.

ومن الناحية النظرية، يمكن القول إن صعوبة اختيار خليفة لعبدالناصر تعكس في جوهرها ما يمكن وصفه بأزمة الخلافة (Problem of Succesion) التي تقع في الدول التي يحكمها زعماء كاريزماتيين، فالزعيم في هذه الأنظمة يتمتع بجاذبية خاصة وبشعبية وثقة كبيرة من جانب مواطنيه، وعادة ينظر اليه من جانب مواطنيه ومعاونيه على حد سواء على انه «المعلم الكبير»، صاحب الرسالة والقادر على الإحساس بمطالب الجماهير والقيام بتغيير المجتمع تغييراً جذرياً. وهو لذلك عادة يتمتع باحتكار فعلي للسلطة، وهذا بدوره يجعل من الصعب على شخصيات سياسية أخرى في النظام أن تنافسه. لذا فثمة نوع من الفجوة في السلطة (Power Gap) تكون موجودة دائماً بين الزعيم واتباعه، ولذلك فإن اختفاء الزعيم من على المسرح السياسي يؤدي الى «أزمة خلافة» لسبب بسيط هو ان أحداً من اتباعه لم يكن له في يوم من الأيام النوع ذاته من الوزن السياسي ولم يتمتع بقدر متساو من الشعبية.

وبالرجوع الى الوضع في مصر، يمكن القول ان هناك ثمة عوامل ساعدت على التخفيف في هذه الأزمة بالنسبة الى السادات. **أولاً**، بما ان المجموعة الناصرية التي كان ينظر اليها كفئة ذات نفوذ أو متحكمة في الأوضاع السياسية، لم تكن قادرة أو مستعدة على ترشيح أي عضو من أعضائها لرئاسة الجمهورية، فقد ضيق هذا من الخيار المطروح بدرجة جوهرية.

ثانياً، إن إشغال السادات لمنصب نائب الرئيس عند وفاة عبدالناصر وموافقة المجموعة الناصرية عليه قد أزالتا أكثر المشاكل التي كان من الممكن أن تؤدي الى صراع على السلطة.

ثالثاً، وجود إجماع بين المسؤولين المصريين على أن تلعب المؤسسات السياسية التي تركها عبدالناصر، مثل مجلس الأمة والاتحاد الاشتراكي العربي والتنظيم الطليعي، الدور الأساسي في الحكم.

رابعاً: الصراع بين النخبة وتعزيز السادات لسلطته

تولى السادات السلطة على أساس أن السياسات التي اتبعها الرئيس عبدالناصر ستبقى المنهاج للزعامة الجديدة[٢٧]. فخطب السادات في مجلس الأمة متبعاً هذا النهج،

---

(٢٧) *Keesing's Contemporary Archives* (31 October - 7 November 1970).

ووعد أن يتبع سياسات الرئيس عبدالناصر وأهدافه (أي أن يعطي للمعركة ضد إسرائيل الأسبقية الأولى). كذلك وعد أن يعطي دوراً أكبر للمؤسسات السياسية.

وعلى أساس هذه الوعود والعهود، أيّد الناصريون السادات لكي يكون رئيساً لمصر. ولكن سرعان ما اتضح أن السادات لم يف بوعوده ولم يلتزم بعهوده، الأمر الذي يمثل صلب نزاعه مع المجموعة الناصرية والتي وصفها فيما بعد «بمراكز القوة». وجاءت ضربته لهذه المجموعة في ١٥ أيار/مايو ١٩٧١، لتمثل، ليس فقط، تعزيزاً واضحاً لسلطته، بل لتحدد كذلك أهم نقطة تحول حاسمة في سياسة مصر الخارجية والداخلية في عهد ما بعد عبدالناصر. لذلك من المهم جداً أن نتناول هذا النزاع بالتحليل: أسبابه.. كيف تغلب السادات على مجموعة مايو... تأثير ذلك على سياستي مصر الداخلية والخارجية. ولانجاز ذلك، من المناسب الآن أن نتعرض بتفصيل أكثر لمجموعة مايو.

١ ـ التركيب الهيكلي لمجموعة «مايو»

تألفت المجموعة الناصرية من نائب رئيس الجمهورية وستة وزراء وأربعة من كبار المسؤولين في الاتحاد الاشتراكي العربي ورئيس مجلس الأمة ونائبه. ولقد ضمت المجموعة رجالاً مثل علي صبري، نائب رئيس الجمهورية وعضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي العربي، وشعراوي جمعة، نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية وأمين التنظيم الطليعي، والفريق محمد فوزي وزير الحربية، وسامي شرف وزير شؤون الرئاسة، ومحمد فائق وزير الاعلام، وسعد زايد وزير الاسكان، وحلمي السعيد وزير القوى الكهربائية، اضافة الى أحمد كامل رئيس المخابرات العامة.

كذلك ضمت المجموعة كبار المسؤولين في الاتحاد الاشتراكي العربي مثل عبدالمحسن أبو النور أمين عام الاتحاد الاشتراكي، وضياءالدين داود ولبيب شقير عضوي اللجنة التنفيذية العليا، وهي أعلى سلطة سياسية في البلاد. اضافة الى فريد عبدالكريم عضو اللجنة المركزية وأمين الاتحاد الاشتراكي بالجيزة.

واضافة الى الأسماء السابق ذكرها من أعضاء السلطة التنفيذية والتنظيم السياسي، ضمت المجموعة أيضاً، من السلطة التشريعية، رئيس مجلس الأمة ونائبيه كمال الحناوي وحلمي السيد علي.

ومن الواضح ان التركيب الهيكلي للمجموعة يعكس الى حد ما وزن المجموعة السياسي. فهي تضم أهم الوزراء (وزير الحربية والداخلية والاعلام وشؤون رئاسة الجمهورية)، ونصف أعضاء اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي، وأغلب

قيادات تنظيم طليعة الاشتراكيين (التنظيم الطليعي) الذي كان يمثل «الكادر» الناصري. (انظر الجدول رقم ٢ - ٣).

جدول رقم (٢ - ٣)

التركيب الهيكلي لمجموعة «مايو»
(بلغ عدد الذين حوكموا ٩١ شخصاً)

الأعضاء الذين يشغلون مناصب تنفيذية وعددهم	١٢
نائب رئيس جمهورية	١
نائب رئيس وزراء	١
وزراء	٧
الذين يشغلون مناصب بدرجة وزير	٣
الأعضاء الذين يشغلون مناصب سياسية في الاتحاد الاشتراكي العربي وعددهم	١١٦
أعضاء في اللجنة التنفذية العليا	٤
أعضاء في اللجنة المركزية	٢٢
أعضاء في التنظيم الطليعي	٩٠
الأعضاء الذين يشغلون مناصب تشريعية في مجلس الأمة وعددهم	١٩

٢ - عناصر التوافق (Consensus) في مجموعة «مايو»

تشير الدراسات النظرية حول تجانس وتماسك النخبة السياسية الى العديد من الفرضيات حول أهمية الخلفية الاجتماعية المشتركة (Common Social Background) أو العلاقات الانسانية والقرابة، أو دور الايديولوجية في تحقيق قدر من التجانس بين أفراد النخبة. وفي التعرض لمجموعة «مايو» والبحث عن مصادر التجانس داخل تلك المجموعة، سأحاول من تحليلي لهذه العناصر ان اختبر صحة هذه الافتراضات النظرية، ومدى تطابقها بالنظر لمجموعة «مايو».

أ - العوامل الايديولوجية

يرى روبرت بوتنام (Robert Putnam) في كتابه الدراسة المقارنة للنخبة

السياسية، ان التوافق والانسجام داخل أعضاء النخبة السياسية، هو محصلة لعوامل عدة أهمها على الاطلاق هو مدى التوافق القيمي (Value Consensus) بين أعضائها، أي إلى أي مدى يتفقون حول ما يجب عمله، وكيفية القيام به. بعبارة أخرى، يمكن النظر الى «التوافق القيمي» باعتباره مجموعة القيم والمثل السياسية التي تؤمن بها النخبة، وتؤدي الى تحقيق نوع من التجانس والاتساق داخلها. وبالنظر الى مجموعة «مايو» يمكن القول إن هناك توافقاً قيمياً ربط بين أفراد المجموعة.

فمن المعروف عن أفراد المجموعة أنهم من ذوي التوجه الاشتراكي، وانهم يؤمنون بالاشتراكية كطريق للتنمية وحل المشاكل في مصر. ويؤمنون كذلك بتحالف قوى الشعب العامل - أي التحالف بين العمال والفلاحين والمثقفين والرأسمالية العربية. ويرون في الاتحاد الاشتراكي العربي الإطار السياسي الممثل لهذا التحالف.

يضاف إلى ذلك، أن المجموعة تشارك في أفكار عبدالناصر ومبادئه وترتبط بها. ويحمل أفرادها ولاءً قوياً لعبدالناصر وزعامته. بل إن أغلبهم عمل معه، أو قريباً منه، سواءً قبل الثورة حين درّس عبدالناصر في كلية أركان حرب، أو بعد الثورة حين تولى أغلبهم مناصب تنفيذية مختلفة. كذلك، فقد تدربوا على السياسة ومارسوها من خلال جهاز عبدالناصر السياسي في الاتحاد القومي، ثم في الاتحاد الاشتراكي العربي وتنظيم طليعة الاشتراكيين.

يقول عبدالله إمام، في تحليله لمجموعة «مايو»: «إن ولاءهم لزعامة عبدالناصر ولمبادىء الثورة هو أقوى عامل يشد المجموعة وربما كان العامل الوحيد»[٢٨]. وتكشف البراهين أن ما يقوله إمام صحيح الى حد كبير. وفي مقابلة لي مع أحد أفراد المجموعة قال: «إن جميع أعضاء المجموعة تخرجوا في مدرسة عبدالناصر السياسية وكان هذا بنظره عاملاً مهماً شد المجموعة الى بعضها البعض»[٢٩]. والواقع ان نتائج مقابلاتي مع أعضاء المجموعة تظهر أن العوامل الايديولوجية، أي الايمان بالاشتراكية وبمبادىء الثورة وبزعامة عبدالناصر، كانت أهم من العوامل الأخرى. (انظر الجدول رقم ٢ - ٤).

ب - الخلفية العسكرية

كان لأغلبية المجموعة خلفية عسكرية، باستثناء ثلاثة أعضاء هم: لبيب شقير وضياء داود وفريد عبدالكريم. وكانوا من رجال القانون ووصلوا الى مناصبهم من طريق العمل السياسي في الاتحاد الاشتراكي وعضوية مجلس الأمة. ونلاحظ انه حتى

---

(٢٨) امام، المصدر نفسه، ص ١٠٨.

(٢٩) مقابلة مع شعراوي جمعة بتاريخ ٢٥ تموز/يوليو ١٩٨٣.

بين الأعضاء المدنيين على مستوى القيادة، هناك خلفية مشتركة ربطت بينهم وهي دراسة القانون.

وكانت الرابطة التي جمعت الضباط السابقين في المجموعة هي عضويتهم في جماعة الضباط الأحرار. ويذكر دكمجيان (Dekmejian) كلاً من علي صبري وشعراوي جمعة ومحمد فوزي وعبدالمحسن عبدالنور وهويدي وفائق والسعيد وزايد باعتبارهم أعضاء في جماعة الضباط الأحرار[٣٠]. والواقع أن هذه الجماعة أصبحت بعد ثورة ١٩٥٢ مصدراً لاختيار أعضاء النخبة وتجنيدهم.

ويلاحظ أن عدد المدنيين في مجموعة «مايو» ككل يفوق عدد العسكريين بكثير (٧٦ إلى ١٥)، أما على مستوى القيادة فيها، فالأمر على العكس (١٥ من ذوي الخلفية العسكرية الى ٣ من المدنيين).

ويشير روبرت سبرنغبورغ (Robert Springborg)، في دراسته عن النخبة المصرية، الى مفهوم الدفعة كأحد المفاهيم التي تربط بين أعضاء النخبة السياسة، ويضيف أن الدفعة تقوم بوظيفة سياسية مهمة للغاية، فهي توفر الإطار الذي يمكن من إقامة علاقات شخصية وثيقة ضمنه[٣١]. وتتجه نتائج تحليلي لمجموعة «مايو» الى تأييد هذا القول، فقد كان كل من شعراوي جمعة وأبو النور وسعد زايد وحلمي السعيد من خريجي نفس الدفعة في كلية أركان حرب، وكان سامي شرف ومحمد فائق في دفعتين متعاقبتين في الكلية الحربية.

ومع أن تحليلي يميل الى تأييد الدور الذي تلعبه «الدفعة» كما ذكر سبرنغبورغ، لكن التحليل ذاته لا يؤيد العامل الآخر الذي ذكره الكاتب، وهو الصلات العائلية. بل إن أدلتي تقلل من الدور الذي لعبته هذه الصلات. وحين سألت الذين قابلتهم عن العوامل الرئيسية وراء تماسك المجموعة، لم تذكر الصلات العائلية قط كأحد تلك العوامل. وحتى حين ذكرتها أنا بين العوامل الأخرى، وسألتهم أن يرتبوا العوامل حسب أهميتها، جاءت الصلات العائلية في آخر القائمة. وإذا أخذنا الصلات العائلية كبؤرة للتحليل، فسنعجز عن تفسير سبب وقوف سيد مرعي، وهو ابن عم علي صبري، الى جانب السادات في النزاع ومهاجمته لصبري؛ أو تفسير سبب عدم تأييد حسين ذوالفقار لشقيقه علي صبري.

---

(٣٠) Richard Hrair Dekmejian, *Political Leadership: Egypt, Israel, Lebanon* (Albany, N. Y.: State University of New York Press, 1975).

(٣١) Robert Springborg, «Pattern of Association in the Egyptian Political Elite,» in: George Lenczowski, ed., *Political Elites in the Middle East*, Foreign Affairs Study, 19 (Washington, D. C.: American Enterprise Institute for Public Policy Research, 1975).

جدول رقم (٢ - ٤)

عوامل التماسك بين المجموعة على مستوى القيادة

نوع الاستجابة	العامل الايديولوجي	الخلفية العسكرية	الصلات العائلية
موافق	١٤	١١	صفر
غير موافق	صفر	٣	١٤

وقد اتضح لي بعد بيان عوامل التماسك داخل المجموعة أنها، قياساً على إجماعها الايديولوجي، قد مثلت جوهرياً خطاً سياسياً في شؤون مصر الخارجية والداخلية. وهي لو استمرت في السلطة، لكان من المستحيل على السادات عملياً أن يسير في السياسة التي انتهجها بعد إزاحته لأعضاء المجموعة. وسبب هذا ببساطة هو التناقض الدفين بين توجهات المجموعة في السياستين الخارجية والداخلية وبين توجهات السادات. وكان هذا التناقض بالذات هو الذي مهّد للنزاع، وأدى الى الصدام بين النهجين السياسيين المتناقضين. إن كلاً من مبادرة السادات في ٤ شباط/فبراير ١٩٧١، والاتحاد الفيدرالي المقترح من قبله مع ليبيا وسوريا، هيأ المجال لظهور التناقضات الموجودة بين الطرفين، وبلور النزاع بينهما، كما عبر كذلك عن اختيار السادات الابتعاد عن الخيار العسكري.

٣ - مبادرة السادات في ٤ شباط/فبراير

يمثل أسلوب (Style) هذه المبادرة وجوهرها (Substance) الدلالة الأولى على انحراف السادات عن وعوده الأولية. جاءت المبادرة قبل يوم واحد فقط من تاريخ انتهاء وقف اطلاق النار المحدد، وفقاً لمبادرة روجرز، في ٥ شباط/فبراير ١٩٧١. وفي فترة سريان وقف اطلاق النار لم تسفر جهود مبعوث الأمم المتحدة، غونار يارنغ، عن نتيجة، لذا لم تظهر أية دلالة على حدوث تقدم نحو تسوية النزاع العربي - الاسرائيلي.

وعلى أثر فشل وساطة يارنغ، اجتمعت اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي العربي مع مجلس الدفاع الوطني لبحث الوضع السياسي والعسكري. كان الرأي السائد في الاجتماع معارضة أي تجديد لوقف اطلاق النار، وضرورة استئناف العمليات العسكرية ضد اسرائيل عند انتهاء فترة وقف اطلاق النار الحالية. وقد أيد

هـذا الرأي جميع الحاضرين في الاجتماع باستثناء السادات ورئيس وزرائه محمود فوزي[٣٢].

كان الجيش في ذلك الوقت قد أكمل استعداداته، وكان جاهزاً لتنفيذ خطة «غرانيت ١» وتقضي في جوهرها عبور قناة السويس. وقد ذكر فريد عبدالكريم، في مقابلة أجرتها معه صحيفة «الأهالي» في ١١ أيار/مايو ١٩٨٣، أن التنسيق بين الجيشين السوري والمصري كان قد تم الى درجة أن أوامر الحرب كانت قد أعدت.

في ذلك الوقت بالذات، ورغم الاجماع المذكور، فاجأ السادات الجميع، حين أعلن في خطاب ألقاه في مجلس الأمة يوم ٤ شباط/فبراير ١٩٧١، مبادرة جديدة، أو على حد تعبيره «مبادرتي».

دعت مبادرة السادات الى اتخاذ الخطوات الآتية: (أ) تمديد وقف إطلاق النار لمدة ثلاثين يوماً. (ب) إعادة فتح قناة السويس للملاحة الدولية. (ج) انسحاب اسرائيلي جزئي من الضفة الشرقية لقناة السويس. وأعلن السادات أنه ينبغي اعتبار المبادرة كمرحلة أولى في جدول زمني يؤدي الى تطبيق قرار الأمم المتحدة رقم (٢٤٢).

تعرضت هذه المبادرة الى الهجوم من مجموعة «مايو». وكان رفضها للمبادرة يقوم على عوامل تتعلق بالأسلوب وبالجوهر: ففيما يتعلق بالأسلوب، كان اعلان السادات عن مبادرته يمثل انحرافاً واضحاً عما اتفق عليه في الاجتماع المشترك للجنة المركزية العليا ومجلس الدفاع الوطني. بل كان استهانة واضحة بما تقرر فيه. أما جوهر المبادرة، فلم يكن مقبولاً كذلك من قبل المجموعة للأسباب الآتية:

١) إن دعوة المبادرة لانسحاب اسرائيلي جزئي لا ينسجم مع طلب مصر الثابت والداعي إلى انسحاب تام. ورأت المجموعة أن مقترحات يارنغ الداعية لانسحاب اسرائيلي تام كانت تعبر عن حقوق مصر المشروعة أكثر مما عبرت عنه مبادرة السادات[٣٣]؛ ٢) كانت مبادرة السادات في جوهرها نسخة عن اقتراح سابق قدمه موشي دايان في تشرين الأول/نوفمبر ١٩٧٠ وكانت مصر قد رفضته؛ بل إن السادات نفسه رأى انه ليس إلا اقتراحاً يؤدي الى وقف دائم لاطلاق النار؛ ٣) إن اعادة فتح قناة السويس قد يؤدي الى اعتقاد الرأي العام بأن انسحاباً جزئياً يكفي فينسى بذلك القضية الأساسية، أي الانسحاب التام؛ ٤) الاعتقاد ان اسرائيل لن تنسحب من الأراضي المحتلة، إلا إذا أجبرت على ذلك.

---

(٣٢) مقابلة مع علي صبري بتاريخ ١٠ آب/أغسطس ١٩٨٣.
(٣٣) امام، انقلاب ١٥ مايو، ص ١٥٠.

وبالرجوع الى الوراء والتأمل في الماضي قليلاً يمكننا أن نقول إن مبادرة السادات لم تكن سوى جزء من سلسلة طويلة في سياسته الهادفة الى تحسين علاقاته مع الولايات المتحدة، وذلك بالتأكيد على الطرق الدبلوماسية كوسيلة لحل النزاع العربي - الاسرائيلي. واذا أخذنا بالاعتبار أن الولايات المتحدة كانت تدعو آنئذٍ الى تمديد وقف إطلاق النار لأجل غير مسمى(٣٤)، فإن مبادرة السادات يبدو وكأنها وسيلة للأخذ بالاقتراح الأمريكي. وإن السادات، بولوجه هذا المدخل التوفيقي، إنما يكشف عن مدى تأثره بالمحيطين به، ممن كانوا يرون في تحييد الولايات المتحدة شرطاً لازماً لا يستغنى عنه من أجل التحضير للمعركة ضد إسرائيل(٣٥).

لقد كان السادات، في جوهر الأمر، يحاول أن يظهر للولايات المتحدة أنه يتيح لها فرصة للتدخل وحل النزاع. ووفقاً لرواية مايكل ستيرنر، رئيس القسم المصري في وزارة الخارجية الأمريكية، في مقابلة شخصية أجريتها معه، أن السادات حاول من طريق قنوات غير رسمية أن يفاتح الولايات المتحدة. وأن السادات كان قد أرسل ضابطاً سابقاً لمقابلة دونالد برغس الذي كان مسؤولاً عن رعاية المصالح الأمريكية في مصر - فالعلاقات الدبلوماسية كانت مقطوعة بين القطرين منذ عام ١٩٦٧ - لكي ينقل أفكار المبادرة البارزة الى الولايات المتحدة قبل الاعلان عنها بأمد طويل.

لم يكن غرض السادات من هذا، فيما أرى، أن يتحرّى فقط رد الفعل الأمريكي على أفكاره، بل كان يريد أن يوحي أيضاً أنه إنما يتشاور مع الولايات المتحدة، قبل الاقدام على اتخاذ قراراته في السياسة الخارجية. وقيل كذلك ان السادات كان قد طلب من محمد حسنين هيكل أن ينقل تأكيداته للأمريكيين، ليطمئنهم، أن المبادرة هي فكرته الخاصة تماماً، ولا علاقة للروس بها على الاطلاق(٣٦).

٤ ـ الاتحاد بين الجمهوريات العربية

وكانت الدلالة الثانية لانحراف السادات بشأن القضايا المذكورة آنفاً، والتي تمثل صلب نزاعه مع مجموعة «مايو»، قد انعكست في موقفه وسلوكه تجاه الاتحاد المقترح بين مصر وليبيا وسوريا. فقد كان يحبذ هذا الاتحاد ويسعى جهده لبلورته،

(٣٤) Mohammed Hasanayn Heikal, *The Road to Ramadan* (London: Collins; New York: Quadrangle; New York Times Book Co., 1975), p. 115.

(٣٥) مثل مرعي ومحمود فوزي وهيكل.

(٣٦) موسى صبري، وثائق حرب اكتوبر، ط ٢ (القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٩٧٤)، ص ٢٢٨ - ٢٢٩.

وكانت مجموعة «مايو» ضده، وهنا أيضاً نجد أن معارضة المجموعة تتعلق بالأسلوب وبجوهر الموضوع معاً. أما أسباب معارضة المجموعة للموضوع فهي:

١) كان أعضاء المجموعة تساورهم الريبة بشأن النيات الحقيقية لحزب البعث الحاكم في سوريا، فالدور المضر الذي لعبه الحزب في محاولته تقويض الوحدة المصرية ـ السورية في عام ١٩٤١ لا تزال ذكراها حية في أذهانهم.

٢) وتشككت المجموعة كذلك بتوقيت الاتحاد المقترح. وبما أن جميع الاستعدادات العسكرية قد استكملت لاستئناف العمليات العسكرية ضد اسرائيل، فسيؤدي الاتحاد المقترح، باعتقاد المجموعة، الى حجب الأنظار عن المعركة، وتحويل الاهتمام الى قضايا أخرى تخص تفاصيل فكرة الاتحاد. يضاف الى هذا أن المجموعة رأت، فيما يتعلق بأغراض المعركة، أن الاتفاقية العسكرية بين مصر وسوريا كانت كافية لتوفير التنسيق العسكري المطلوب بين القطرين. وبما أن ذلك هو كل ما تحتاجه مصر للمعركة، فإن ارتباطاً دستورياً بينهما لم يكن مسألة عاجلة أو ضرورية. لذا كان من رأي المجموعة تأجيل الاتحاد لحين تحقيق الهدف الجوهري وهو المعركة.

٣) كانت المجموعة كذلك ضد فكرة اتخاذ القرارات وفق قاعدة الأغلبية، الواردة في اتحاد الجمهوريات العربية المقترح. لقد كانت تحبذ الاجماع كأساس لاتخاذ القرارات، إذا تم الاتحاد.

وخلافاً لوجهة نظر مجموعة «مايو»، كان الاتحاد المقترح يمثل فرصة للسادات لتحقيق بعض أغراضه ومنها:

١) سيتطلب هذا الاتحاد بعض التغييرات الدستورية والتنظيمية. وهذه التغييرات سيكون لها أسبقية على العمليات العسكرية، بل إنها ستؤخر هذه العمليات. وهذا ينسجم مع غرض السادات في تمديد وقف إطلاق النار، وإتاحة المزيد من الوقت أمام الجهود الدبلوماسية.

٢) وهذه التغييرات، في الدستور وفي المؤسسات، ستتطلب إعادة هيكلة بنية الدولة. وهذا سيوفر للسادات وسيلة مناسبة للتخلص من منافسيه (مجموعة «مايو»). يقول هيكل، وفقاً لهذه الحجة، في كتابه الطريق الى رمضان، ان الاتحاد سيؤدي الى إقامة مؤسسات جديدة، وسيتطلب إجراء انتخابات جديدة. ومن شأن هذا أن يكسر احتكار مجموعة «مايو» للسلطة في اللجنة التنفيذية العليا وفي اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي[٣٧].

---

(٣٧) Heikal, *The Road to Ramadan*, p. 129, and Ghali Shoukri, *Egypt: Portrait of a President* (London: Zed Press, 1981).

٣) إن الاتحاد المقترح سيؤدي الى زيادة نفوذ السادات في أية مفاوضات قادمة بشأن النزاع العربي ـ الاسرائيلي، إذ أنه سيتكلم لا باسم مصر فقط، بل باسم الاتحاد الذي يضم ثلاثة أقطار عربية. وهذا بنظر السادات سيضفي عليه حجماً ومكانة أكبر في عيون الولايات المتحدة، وهي الطرف الذي يهمه جداً. لقد ذكر السادات ذلك بوضوح لأحد مساعديه المقربين في ذلك الحين، وهو عبدالسلام الزيات، إذ قال له: «إنني أستطيع الآن أن أتحدث الى الولايات المتحدة باسم ثلاثة أقطار عربية»[٣٨].

أما فيما يتعلق بالأسلوب، فقد رأت المجموعة في قرار السادات إنشاء الاتحاد، دون مشاورة اللجنة التنفيذية العليا، دلالة أخرى على أسلوبه الفردي، إذ أعطى لنفسه الحق «بأن يقرر بنفسه مسألة تتعلق بالمصير الوطني»[٣٩].

في ٢١ نيسان/ابريل ١٩٧١، عقدت اللجنة التنفيذية العليا اجتماعاً جابه فيه السادات معارضة كاسحة للاتحاد. حضر هذا الاجتماع جميع أعضاء اللجنة باستثناء رمزي ستينو الذي كان يقوم بزيارة رسمية لبلغاريا. وقد حضره كذلك شعراوي جمعة، وإن لم يكن عضواً في اللجنة، ولكنه اعتاد حضور اجتماعاتها منذ أيام عبدالناصر بصفته أميناً للتنظيم. وواصل الحضور في حكم السادات أيضاً. لم يقف الى جانب السادات في تأييد الاتحاد سوى عضوين (الشافعي ومحمود فوزي)، وكان خمسة أعضاء ضده (صبري وعبدالنور وداود وشقير وجمعة).

قرر السادات، في محاولة أخيرة لانقاذ الاتحاد، أن يحمل قضيته الى اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي، فشهد أعضاؤها لأول مرة مواجهة تجري بين أفراد النخبة، بل شاركوا في المواجهة أيضاً. وقد صوتت اللجنة، باستثناء ثلاثة أعضاء من أصل مائة وخمسين، على الاستماع الى رأي معارض يقدمه علي صبري، فناقش السادات بقوة سادت حجته ولهجته معاً[٤٠]. ولما طلب السادات من اللجنة المركزية أن تصوت على الاتحاد، لم يقف الى جانبه سوى أربعة أعضاء فقط. وأخيراً، وكاجراء للتوفيق بين المتخاصمين، جرى اتخاذ قرار لاحالة مشروع الاتحاد على لجنة من خبراء القانون الدستوري والقانون الدولي لاجراء بعض التعديلات عليه، وذلك لجعله مقبولاً بدرجة أكبر.

وفي النهاية، أقرّت اللجنة المركزية مشروع الاتحاد بعد إدخال تعديلات عليه، وذلك لجعل اتخاذ القرارات الاتحادية بالاجماع[٤١]، وتبديل الاسم من «دولة اتحاد

---

(٣٨) نشرت ذكريات الزيارة في جريدة: **الاتحاد**، ١٩/٤/١٩٨٣.

(٣٩) Shoukri, Ibid., p. 51.

(٤٠) الاتحاد، ١٩/٤/١٩٨٣.

(٤١) John Waterbury, *Egypt of Nasser and Sadat* (Princeton, N. J.: Princeton University Press, 1983).

الجمهوريات العربية» الى «اتحاد الجمهوريات العربية».

وعند التأمل في الأحداث الماضية، واستذكار ما آلت إليه علاقات مصر مع ليبيا، وتدهورها الى حد المواجهة العسكرية بين القطرين في عام ١٩٧٧، وكذلك المواجهة السياسية بين مصر وسوريا بعد حرب تشرين الاول/اكتوبر بشأن فك الارتباط مع اسرائيل، لا يمكن للمرء أن يستنتج أن المناقشة حول الاتحاد إنما كانت بين أولئك المؤمنين بالوحدة العربية (السادات وأنصاره) وبين غير المؤمنين بها (مجموعة «مايو»)[٤٢].

ويمكن النظر الى النزاع حول الاتحاد كبداية النهاية للنزاع الجاري بين أعضاء النخبة المصرية. لقد درس السادات وضعه، فقرر أن يعمل بقوة وذلك: (أ) بالتخطيط لإعادة بناء الاتحاد الاشتراكي العربي من القمة إلى القاعدة، وحتى مستوى اللجنة المركزية، وذلك لكي يتمكن من حل اللجنة التنفيذية العليا والتخلص من القيادة الجماعية[٤٣]. (ب) باعفاء علي صبري قبل يومين فقط من زيارة روجرز لمصر. (ج) بتأجيل القرار باستئناف القتال ضد إسرائيل.

ومع أن السادات صارح السفير السوفياتي بأنه سيعفي علي صبري، الذي لم يكن شيوعياً ولكنه موثوق به من السوفيات،من منصبه[٤٤]، وأن هذا الاجراء لا يقصد منه أن يكون موجهاً ضد العلاقات المصرية ـ السوفياتية، فإن توقيت إعفاء علي صبري، والذي جرى قبل يومين من زيارة روجرز، يمكن رؤيته كإشارة من السادات الى الولايات المتحدة بأنه ينوي التقرب من أمريكا والابتعاد عن روسيا. أما بشأن تأجيل العمليات الحربية ضد اسرائيل، فإننا نجد السادات يؤجل باستمرار الاجتماع بالفريق فوزي، وزير الحربية، الذي حاول أن يتصل به ليوقع أمر الحرب. وقد ذُكر كذلك أن السادات أشار الى تعمده عدم شن الحرب وأعضاء اللجنة التنفيذية العليا لا يزالون في السلطة، وذلك لأنه إذا ربح الحرب فسيشاركه الأعضاء في الفضل، اما إذا خسرها فسيكون وحده مسؤولاً عن الهزيمة[٤٥].

وحلّت المواجهة النهائية حين قرر السادات «قبول استقالة شعراوي جمعة»،

---

(٤٢) Shoukri, *Egypt: Portrait of a President,* pp. 50 - 51.

(٤٣) مقابلة مع شعراوي جمعة بتاريخ ٢٥ تموز/يوليو ١٩٨٣. يقول الزيات في ذكرياته ان السادات طلب من شعراوي جمعة إعادة بناء الاتحاد الاشتراكي العربي، وذلك لغرض شق المجموعة.

(٤٤) لمزيد من التفاصيل حول الاجتماع مع السوفيات، انظر:
el - Sadat, *In Search of Identity: An Autobiography.*

(٤٥) مقابلة مع شعراوي جمعة بتاريخ ٢٥ تموز/يوليو ١٩٨٣.

وهي جملة تعني الاقالة في القاموس السياسي المصري، من منصبه كوزير للداخلية في ١٣ أيار/مايو ١٩٧١. وكرد فعل على اقالة شعراوي جمعة قدم أعضاء اللجنة التنفيذية العليا ووزراء الحربية والاعلام وشؤون الرئاسة والاسكان والكهرباء استقالاتهم كذلك. فقرر السادات قبولها، وأصدر أمره بإلقاء القبض على هؤلاء المسؤولين، فوضعوا رهن التوقيف جميعاً.

٥ ـ البعد الادراكي للنزاع

على الرغم من أن النزاع بين السادات ومجموعة «مايو» يدور حول قضايا سياسية، فإنه لا يمكن للمرء أن يستبعد التصور أو الادراك (Perception) الشخصي فيه. وفي رأيي ان رؤية المجموعة للسادات ورؤيته هو لها خلال عهد عبدالناصر كانتا من العوامل التي أضافت عمقاً للنزاع. لم يشعر السادات قط أنه السلطة الحقيقية في الجمهورية، بل الأول بين متكافئين(First Among Equals) أو ربما أقل من ذلك. وتمتد جذور هذا الشعور الى عهد عبدالناصر، حين لم يكن للسادات، رغم لقبه كنائب لرئيس الجمهورية، يد في الأدوات الحقيقية للسلطة التنفيذية. وكان يشعر كذلك أن مجموعة «مايو» مقربة جداً من عبدالناصر وموضع ثقته أكثر مما كان هو عليه. فلما سُئل عبدالناصر مثلاً عن سبب تعيينه للسادات نائباً للرئيس أجاب: «سيكون السادات صالحاً للفترة الانتقالية. وسيتولى رجال الاتحاد الاشتراكي وقادة الجيش العمل الحقيقي. أما وظيفة السادات فستكون مراسيمية الى حد كبير»(٤٦). وقد كانت نتيجة انتخابات اللجنة التنفيذية العليا، التي جاء فيها السادات رابعاً بعد علي صبري وحسين الشافعي وستينو، مصدر إزعاج له على الدوام، وذلك لأن عدد الأصوات التي يحصل عليها العضو كان من المفروض أن تقرر أسبقيته في اللجنة. ومع أن هذا الافتراض لم يتبلور قط، فقد اتهم السادات شعراوي جمعة، وزير الداخلية وكان مسؤولاً عن الانتخاب، بالتآمر ضده لصالح علي صبري.

أما بشأن تصور المجموعة للسادات، فيمكن القول إنهم كانوا يرونه متساوياً معهم، أو ربما أقل منهم نفوذاً في عهد عبدالناصر. لذا، فقد استمرت رؤيتهم له كنائب للرئيس عبدالناصر، حتى بعد أن أصبح رئيساً للجمهورية. وهكذا فإنهم لم يعاملوه كرئيس، بل كنائب للرئيس. كان هذا واضحاً في خشونة معارضتهم له وفي خشونة لهجة تلك المعارضة. لم يكونوا يدعونه قط بكلمة «الرئيس» كما كانوا يدعون عبدالناصر، بل اعتادوا على أن يسموه «السيد أنور السادات» أو «رئيس الجمهورية».

---

(٤٦) Heikal, *Autumn of Fury: The Assassination of Sadat,* p. 34.

وولاءً منهم لعبدالناصر ومبادئه، أصروا على مواصلة سياسته شكلاً وموضوعاً، متناسين أنهم إنما يتعاملون مع شخص مختلف، مع رئيس جديد للجمهورية قد يكون له أسلوبه المختلف وسياسته المختلفة.

يقول دكمجيان (Dekmejian) إن المجموعة «لم تعارض الرئيس الجديد لأنها كانت ترغب في اتباع سياسة عبدالناصر، بل لغرض الهيمنة على الدولة»(٤٧). ولو كان هذا القول صحيحاً، لتوقع المرء من أفراد المجموعة سلوكاً مختلفاً إزاء السادات، ونعني أعمالاً أكثر عدائية. كانوا، بدلاً من استقالتهم الجماعية، سيعقدون اجتماعاً للجنة التنفيذية العليا ويسحبون الثقة من السادات، ويعفونه من مسؤولياته ويذيعون استقالته أو انسحابه لأسباب صحية. فالأمر لم يكن مسألة هيمنة على الدولة، لسبب بسيط هو أنهم كانوا يسيطرون على الدولة من خلال الجيش (الفريق فوزي) وجهاز الأمن (جمعة وشرف وكامل) والمنظمة السياسية (أعضاء اللجنة التنفيذية العليا والتنظيم الطليعي).

بل على العكس فإن السادات، وقد عاش في ظل عبدالناصر إبان حياته لمدة ثماني عشرة سنة، لم يكن مستعداً للبقاء في ظله بعد موته. ولكنه كان تواقاً لتثبيت سلطته، والبدء بمخطط انقلابه مباشرة بعد معارضة المجموعة الشديدة لمبادرة شباط/فبراير(٤٨).

ولقد نجح السادات في تعزيز سلطته إزاء مجموعة «مايو»، وذلك لأنه فكر بازاحتهم عند أول بادرة معارضة ظهرت منهم، في حين أن المجموعة لم تخطط أو حتى تفكر بالإطاحة به عند أول بادرة انحراف ظهرت منه عن مبدأ القيادة الجماعية، وعن مواصلة سياسة عبدالناصر. إنهم لم يظهروا حتى رد فعل على إعفاء علي صبري، فلما أرادوا الاحتجاج على إعفاء شعراوي جمعة، اختاروا وسيلة سلبية جداً، وهي الاستقالة. وحتى حين قرروا إذاعة استقالاتهم، فإنهم لم يشيروا الى أسبابها أو الى أسباب نزاعهم مع السادات(٤٩). لذا لم يعرف أحد سبب استقالتهم في حينها. وحتى «الطليعة الاشتراكية»، التي يفترض أنها تمثل الكادر الناصري، لم تكن لديها أي فكرة عن أساس النزاع(٥٠). والواقع انهم كانوا على درجة مبالغ فيها من الثقة بالنفس، ولم تكن لديهم أي نية في تصعيد المنازعات مع السادات.

ووفقاً لرواية علي صبري وشعراوي جمعة، في مقابلاتي التي أجريتها معهما، فإن

---

(٤٧) Dekmejian, *Political Leadership: Egypt, Israel, Lebanon,* p. 221.

(٤٨) للاطلاع على الأدلة، انظر: امام، انقلاب ١٥ مايو، ص ٣١١.

(٤٩) المصدر نفسه، ص ٤٦٢ ـ ٤٧٠.

(٥٠) المصدر نفسه.

المجموعة لم تكن تنوي تصعيد النزاع مع السادات، لأن أسبقيتهم الأولى كانت منصبة على المعركة التي تتطلب جبهة داخلية متحدة.

ولقد كان لقرار السادات ضرب مجموعة «مايو» انعكاسات عديدة: فعلى المستوى الاقليمي كان ضرب السادات للعناصر الناصرية منسجماً الى حد بعيد مع أهداف العربية السعودية في المنطقة. فقد كان تخلي مصر عن الناصرية هدفاً قديماً للأنظمة العربية المحبذة «للتغير الاجتماعي التدريجي» وبخاصة السعودية التي أوضحت ان الدافع الرئيسي لدعمها المالي لمصر السادات هو تفكيك نظام عبدالناصر، والقضاء على نموذجه في التنمية والتغيير الاجتماعي[٥١].

إنه، ببساطة، تطور يتفق مع أغراضها الاستراتيجية في المنطقة. بل إن السادات كان قد أوضح لوليام روجرز، خلال زيارته لمصر في أيار/مايو ١٩٧١، أنه يرى في المجموعة عقبة أمام السلام وتحسين العلاقات المصرية ـ الأمريكية. وأشار له كذلك بأنه سيعفي أعضاء المجموعة من مناصبهم[٥٢]. هذا وقد ذُكر كذلك أن روجرز كان قد بيّن للسادات أن الرئيس نيكسون قد يكون أكثر انفتاحاً في المستقبل إذا خفّض السادات من الوجود السوفياتي في مصر[٥٣].

إذا نظر المرء إلى تصرف السادات في الفترة بين أواخر ١٩٧٠ و١٩٧١ يمكنه أن يتلمس بسهولة وجود نمط واضح في أعماله يهدف الى تحاشي الخيار العسكري، باعتباره ما تختاره مصر في نزاعها مع إسرائيل. ويشهد على وجود هذا النمط، نزاع السادات مع مجموعة «مايو» ومبادرته السلمية في شباط/فبراير ١٩٧١، وليس هذا فقط بل يشهد على وجوده بوضوح تجنب السادات لأي عمل من شأنه أن يقربه خطوة نحو المعركة. فعلى سبيل المثال، أظهرت الزعامة السوفياتية للسادات، خلال زيارته السرية لموسكو في آذار/مارس ١٩٧١، استعدادها لتزويد مصر «بسلاح رادع» كانت قد طلبته للقيام بالهجوم وفق خطة «غرانيت ٢٠٠» بشرط أن تقوم مصر بالتشاور مع السوفيات قبل استخدامها لهذا السلاح. وبما أن السادات كان يعلم أنه إذا حصلت مصر على هذا السلاح، فلا بد له أن يوقع أمر الهجوم، بموجب الخطة المذكورة، فقد قرر رفض الشرط الروسي بحجة مخالفته لمبدأ السيادة المصرية. واضافة الى ميل السادات الشخصي إلى الطريق الدبلوماسي، فإن ثمة عاملين ساعدا في جعل الحرب خياراً بغيضاً في نظر السادات: الأول اعتقاده بأن كسب مواجهة عسكرية في ١٩٧٠ -

---

(٥١) Edward R. Sheehan, *The Arabs, Israelis and Kissinger: A Secret History of American Diplomacy in the Middle East* (New York: Reader's Digest Press, 1976), p. 69.

(٥٢) أكد هذه الحقيقة كل من شعراوي جمعة ومايكل ستزنر.

(٥٣) Hirst and Beeson, *Sadat*, p. 137.

١٩٧١ يمكن أن يؤدي الى زيادة النفوذ السوفياتي في مصر والى مزيد من السلطة لمنافسيه، أعضاء مجموعة «مايو». وكان مصمماً على تحاشي كلا الأمرين. والعامل الثاني هو تخوفه من أن الهزيمة في مواجهة عسكرية مع اسرائيل قد تؤدي الى سقوطه شخصياً، وليس هذا بالشر البسيط.

وبسبب الاعتبارات المذكورة آنفاً، كان الخيار الدبلوماسي أكثر اتفاقاً مع غرض السادات في تبيانه للشعب المصري بأنه يعمل أقصى ما في وسعه لاستعادة الأراضي المحتلة، دون أن يخضع نفسه لمخاطر مواجهة عسكرية. وثمة عوامل أخرى شجعت السادات على انتهاج هذا الخيار:

(أ) خلافاً لعبدالناصر الذي سيطرت عليه الرغبة في تحقيق نصر عسكري ضد اسرائيل، كان السادات متحرراً مما يمكن أن يسمى بشعور عبدالناصر بالذنب من جراء الهزيمة، ولهذا فقد كان أكثر استجابة للطريق الدبلوماسي.

(ب) كان السادات محاطاً بمسؤولين، مثل محمود فوزي وسيد مرعي ومحمد حسنين هيكل، الذين كانوا يدعون إلى تحييد الولايات المتحدة كشرط لازب لأية عملية عسكرية. فعلى سبيل المثال، اقترح هيكل أن يطير السادات إلى الولايات المتحدة مباشرة بطريقة درامية. وهذا، بنظر هيكل، أمر من شأنه أن يؤثر تأثيراً كبيراً في الاتجاه نحو تسوية سلمية، إذا لم تكن لمصر علاقات دبلوماسية مع واشنطن حينذاك.

كان الخيار الدبلوماسي الوحيد بالنسبة للسادات هو محاولة التقرّب من الولايات المتحدة، وبناء علاقات صداقة معها، فهي بنظره الدولة التي تستطيع التأثير في وضع اسرائيل في النزاع.

خامساً: الدولتان الأعظم والسادات وإسرائيل والعرب

بدأت محاولات السادات لجذب اهتمام الولايات المتحدة منذ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٠، حين أكد في رسالته للرئيس نيكسون على عدم اهتمامه بتنافس الدولتين الأعظم في المنطقة، وأن هدفه الوحيد ينصب على تحرير بلاده والتركيز على إعادة بنائها. وقد أراد السادات من وراء هذا التأكيد أن يوضح لنيكسون أنه لا طموح له خارج بلاده. ويعني بذلك، ضمناً، أنه ليس عبدالناصر آخر يهدد مصالح الولايات المتحدة في المنطقة، أو يضرب دولة عظمى بأخرى. أكد السادات كذلك

استعداده لتسوية سلمية، وأنه مع الحل السلمي قلباً وقالباً[٥٤].

وبينما كان السادات يتقرب سرياً من الولايات المتحدة، كان يكيل، في العلن، معسول الكلام «للمعركة»، ويكرر وعوده، غير المنفذة، باللجوء الى الحرب وتحرير الأراضي. ونتيجة لذلك تميزت الفترة من صيف ١٩٧١ وحتى ١٩٧٣ بعدم استقرار داخلي مستمر، وبحدوث قلاقل، إذ تظاهر الطلاب من جميع الجامعات المصرية ضد حالة اللاحرب واللاسلم، ودعوا الى الحرب ضد إسرائيل فوراً. ولم تكن جهود السادات الأولى لمعالجة هذا الوضع ناجحة أبداً. ولم يتحقق وعده بأن سنة ١٩٧١ ستكون سنة الحسم. ولم يكن عذره، بأن «ضباب» الحرب الهندية ـ الباكستانية كان السبب وراء عدم تنفيذ الوعد، بالعذر المقبول لدى الشعب المصري. وتفاقم وضع السادات سوءاً، بسبب نفاد صبر الشعب بشأن حالة الركود. والواقع أن وفاة عبدالناصر ونجاح الملك حسين في تقليم أظافر النفوذ الفلسطيني في بلاده، قد اعتبرا من قبل الولايات المتحدة بمثابة تدهور في مركز السوفيات في المنطقة. لذلك أمسى الحفاظ على الوضع الراهن هدفاً لهذه المرحلة. إن إسرائيل قوية هو، بالنسبة للولايات المتحدة، ضمانة لبقاء الوضع الراهن في المنطقة، بمعنى أن ذلك سيضمن الهدوء في المنطقة في الوقت الراهن. وبالتالي كانت إدارة نيكسون ميالة الى تأييد العرض الاسرائيلي الداعي إلى مفاوضات مباشرة بين مصر واسرائيل، والتي تؤدي الى اتفاقية جزئية أو مؤقتة، بمعزل عن مطالب العرب العامة (وهي الانسحاب الاسرائيلي الكامل من جميع الأراضي المحتلة واعتراف إسرائيل بحقوق الفلسطينيين)[٥٥]. من جهة أخرى، رأى السوفيات في وفاة عبدالناصر خسارة حليف مهم، الأمر الذي كان يستدعي تعزيز العلاقات مع الأنظمة الجديدة في مصر والسودان وسوريا، أكثر من القيام بأي مبادرة سياسية جديدة، لذا فقد كان موقف السوفيات خلال تلك الفترة يتلخص بالتشديد على الحاجة لتسوية سلمية للنزاع العربي ـ الاسرائيلي. وجاء موقف السادات من مجموعة «مايو» وتصالحه مع الولايات المتحدة ليزيدا من شكوك الاتحاد السوفياتي في نوايا السادات. وقد انعكس هذا الأمر بالتالي على صفقات الأسلحة السوفياتية مع مصر.

أما على الصعيد الاقليمي، فلقد شهدت تلك الحقبة تزايداً في نفوذ الأقطار العربية المنتجة للنفط اقليمياً ودولياً. فعلى سبيل المثال، نشطت العربية السعودية سياسياً منذ ارتفاع أسعار النفط، وقد جعلها تدفق البترودولارات (انظر الجدول رقم ٢ ـ ٥) ثاني أكبر دول العالم تقديماً للمساعدات الخارجية. وجاء تأسيس منظمة

---

(٥٤) صبري، وثائق حرب اكتوبر.

(٥٥) Quandt, «The Arab - Israeli Conflict in American Foreign Policy,» pp. 3 - 42.

جدول رقم (٢ ـ ٥)

الزيادة في احتياطي النقد للأقطار العربية المنتجة للنفط
(بملايين الدولارات الأمريكية)

السنة / القطر	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢	١٩٧٣
الجزائر	٤١٠	٣٣٩	٥٠٧	٤٩٣	١,١٤٣
السعودية	٦٠٧	٦٦٢	١,٤٤٤	٢,٥٠٠	٣,٨٧٧
سوريا	٥٩	٥٥	٨٨	١٣٥	٤٨١
العراق	٤٧٦	٤٦٢	٦٠٠	٧٨٢	١,٥٥٣
الكويت	١٨٢	٢٠٣	٢٨٨	٣٦٣	٥٠١
ليبيا	٩١٨	١,٥٩٠	٢,٦٦٥	٢,٩٢٥	٢,١٢٧
مصر	١٤٥	١٦٧	١٦١	٤٩٣	١,١٤٣

المصدر: Congressional Quarterly, Inc., *The Middle East: U. S. Policy, Israel, Oil and the Arabs,* edited by Mark A. Bruzonsky, 3rd ed. (Washington, D. C.: Congressional Quarterly, 1977), p. 138.

الأقطار العربية المصدرة للنفط (أوابيك)، وأزمة الطاقة في أوروبا الغربية وازدياد اعتمادها على النفط العربي، ليزيدا من نفوذ السعودية والأقطار العربية الأخرى المنتجة للنفط، زيادة جعلت د. بيرتز (D. Peretz) يقول: «إن النفط قد حوّل أقطاراً من مستوى الدرجة الثانية أو الثالثة الى قوى كبرى في المنطقة»[٥٦].

كذلك أدّت مشاكل مصر الاقتصادية وحاجاتها الى المساعدات المالية من جانب، وعلاقات السادات الحميمة بكمال أدهم مستشار الملك السعودي من جانب آخر، الى تزايد النفوذ السعودي في السياسة المصرية.

وبصفة عامة، يمكن القول إنه على الرغم من ان الأقطار العربية النفطية قد واصلت مساعدتها المالية لمصر بمقتضى اتفاقيات قمة الخرطوم ١٩٦٧؛ الا ان هذه الأقطار بدأت تظهر ما يدل على عدم رضاها عن انعدام قدرة مصر على كسر الجمود في الموقف الناتج عن حالة اللاحرب واللاسلم في المنطقة. كما ان هذه الأقطار أخذت تنتقد سوء استعمال مصر لمعونتها المالية، مشككة في الهدف من وراء استمرارها في تقديم المساعدة، وذلك لعجز مصر الظاهر عن القتال.

(٥٦) Joseph S. Szyliowicz and Bard O'Neil, eds., *The Energy Crises and U.S. Foreign Policy* (New York: Praeger, 1975), p. 89.

من جهة أخرى لم تكن إسرائيل مهتمة بتصرفات السادات. فقد أظهر الإسرائيليون، كنتيجة لحرب ١٩٦٧، ثقة قوية بالنفس فيما يتعلق بقدرتهم العسكرية. كذلك، فإنهم بنوا تحليلهم على أساس أن مصر وسوريا تفتقران للقدرة العسكرية اللازمة لاستعادة أراضيهما بالقوة، لذا فإن الطريق الوحيد أمامهما هو الموافقة على شروط إسرائيل(٥٧). واستمرت إسرائيل، في الوقت ذاته، تزيد من قدراتها العسكرية بتسلمها مساعدات عسكرية غير محدودة من الولايات المتحدة. وعلى سبيل المثال فقد خوّل الكونغرس الأمريكي، في السنة المالية ١٩٧٠ ـ ١٩٧١، تحويل «مقدار غير محدود من الطائرات والأجهزة اللازمة لها إلى إسرائيل، عن طريق البيع أو الدين أو المنحة»(٥٨). وبحلول ١٩٧٢ بلغت مساعدة الولايات المتحدة العسكرية لإسرائيل ١,٩٩٦,٥٠٠,٠٠ دولار سنوياً(٥٩).

وعلى الصعيد الدولي كانت الدولتان الأعظم، خلال ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣، منهمكتين في سياسة الوفاق، ولم يكن الشرق الأوسط يحتل لديهما أولوية كبرى. وبما أنه لم تكن هناك أحداث إقليمية تهدد هدفهما المشترك، وهو تفادي المواجهة العسكرية، فقد اتفق السوفيات والأمريكيون على تقييد ارسال شحنات الأسلحة للشرق الأوسط(٦٠)، وذلك في اجتماع القمة بين الدولتين الأعظم في موسكو في أيار/مايو ١٩٧٢.

لم يكن هذا القرار مقبولاً لدى السادات لأنه سيديم حالة اللاحرب واللاسلم بكل ما فيها من اتجاهات سلبية، إضافة الى أن القرار أثبت للسادات أن الاتحاد السوفياتي كان مستعداً للتضحية بمصلحة مصر من أجل الحفاظ على سياسة الوفاق مع الولايات المتحدة الأمريكية.

وفاجأ السادات العالم بأسره، وهو الذي وقّع على اتفاقية الصداقة مع الروس،

---

(٥٧) للاطلاع على تفاصيل الموقف الاسرائيلي، انظر:

Malcolm H. Kerr, «The Arabs and Israelis: Perceptual Dimensions to Their Dilemma,» in: Willard A. Beling, ed., *The Middle East: Quest for an American Policy* (Albany, N. Y.: State University of New York Press, 1973).

(٥٨) Congressional Quarterly, Inc., *The Middle East: U.S. Policy, Israel, Oil and the Arabs,* edited by Mark A. Bruzonsky, 3rd ed. (Washington, D. C.: Congressional Quarterly, 1977), p. 93.

(٥٩) المصدر نفسه.

(٦٠) للاطلاع على تفاصيل موقف الدول العظمى، انظر:

G. Treverton, *Crisis Management and the Super Powers in the Middle East* (England: Gower Publishing Company, 1981), pp. 44 - 88.

بقراره في تموز/يوليو ١٩٧٢ بطرد اثنين وعشرين ألفاً من الخبراء العسكريين السوفيات من مصر.

ويمكن النظر الى قرار السادات باعتباره محصلة لعدة عوامل: فهو من ناحية رد فعل على الموقف السوفياتي في قمة موسكو؛ وهو أيضاً انعكاس للرأي المتزايد الانتشار داخل مصر، في ذلك الوقت، ومفاده ان السوفيات، مثلهم كمثل الأمريكيين والاسرائيليين، لهم مصلحة مكتسبة في الحفاظ على الوضع الراهن (Status Quo). فعلى سبيل المثال، ذكر ان الفريق صادق، وزير الحربية، كان قد أخبر السادات مراراً وتكراراً عن الامتعاض المتزايد، الذي ينتشر في صفوف القوات المسلحة المصرية، من الخبراء السوفيات. كذلك تسلم السادات عريضة موقعة من عشر شخصيات كبيرة، من بينهم ثلاثة أعضاء سابقين في مجلس قيادة الثورة، وفيها أشاروا الى انه سيكون من الجنون المحض أن تتخلى مصر عن صداقتها مع واحدة من الدولتين الأعظم، إلا أنه في الوقت ذاته بيّنوا أن السوفيات ينتفعون من مصر أكثر من انتفاع مصر منهم[٦١].

كذلك لا يمكن أن نتجاهل ان قرار طرد الروس من مصر كان قد اقترح على السادات مراراً من جانب بعض المسؤولين السعوديين والأمريكيين على حد سواء، فلقد أوضح كلٌ من وليم روجرز وهنري كيسنجر للقيادة السياسية المصرية، ان التخلص من السوفيات هو شرط مسبق لأي تدخل أمريكي لحل النزاع.

وقد مثّل الطرد جانباً من العلاقة الغامضة جداً بين مصر والاتحاد السوفياتي في الفترة بين ١٩٧٠ و١٩٧٣. فعلى سبيل المثال زار السادات الاتحاد السوفياتي أربع مرات في تلك الفترة. وتميزت زيارته في آذار/مارس ١٩٧١ بخلاف حاد مع الزعماء السوفيات الى درجة أن مسؤولاً مصرياً دعاها «اجتماع الثقة المفقودة»[٦٢]. مع هذا، وفي أيار/مايو ١٩٧١، وقّع السادات إتفاقية صداقة مع الروس وعين ولأول مرة في تاريخ مصر السياسي اثنين من الماركسيين في الوزارة. وفي تموز/يوليو لعب السادات دوراً فعالاً في القضاء على محاولة انقلاب ماركسي في السودان. وبحلول تشرين الأول/أكتوبر، كان السادات يزور موسكو لغرض «تنقية الجو» أو اصلاح الضرر الذي وقع كنتيجة لمحاولاته المتعددة التقرب من الولايات المتحدة، ودوره في انقلاب السودان[٦٣]. وفي أيار/مايو ١٩٧٢ طرد السادات السوفيات، ولكن مصر تسلمت بين

---

(٦١) Hirst and Beeson, *Sadat*, p. 132.

(٦٢) هذه عبارة الفريق محمد فوزي.

(٦٣) صبري، وثائق حرب اكتوبر.

شهر كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٢ وحزيران/يونيو ١٩٧٣ من السلاح أكثر مما تسلمته خلال السنتين السابقتين[٦٤].

أما بالنسبة للجانب الأمريكي، فقد كان رد الفعل لا يتلاءم مع أهمية القرار. فعلى الرغم من أن طرد السوفيات قد حقق للولايات المتحدة هدفاً استراتيجياً طالما سعت الى تحقيقه، كما انه يمكن رؤية عملية الطرد كمحاولة أخرى من السادات لخطب ود الولايات المتحدة، إلا أنه لم يطرأ أي تغيير ملحوظ على سياسة ادارة الرئيس نيكسون تجاه مصر. بل على العكس، لقد تساءل كيسنجر وسط مساعديه عن الذي دفع الرئيس السادات لتقديم هذا الجميل، ولماذا لم يطلب مقدماً، مقابله أي تنازلات من جانب الادارة الأمريكية[٦٥].

وفي الحقيقة كان رد الفعل هذا منسجماً مع سياسة كيسنجر في احباط العرب، وابعادهم عن الروس حتى يستجيبوا للشروط الأمريكية والاسرائيلية.

واستمرت العلاقات المصرية ـ الأمريكية دون تغيير يذكر حتى أواخر كانون الثاني/يناير ١٩٧٣ حينما تم لقاء خاص بين كيسنجر ومستشار السادات للأمن القومي، حافظ اسماعيل. فلما عرض المستشار الموقف المصري أوضح كيسنجر ان مصر، وليس اسرائيل، هي التي ينتظر منها أن تقدم تنازلات مادية، أي تنازلات سياسية واقليمية[٦٦].

أكدت اجتماعات حافظ إسماعيل مع كيسنجر شكوك السادات المتزايدة بعدم وجود أمل في جذب اهتمام الولايات المتحدة دون الذهاب الى الحرب. لذا فقد حان وقت الصدمة كما قال السادات[٦٧]. لقد حان الوقت لإحياء الخيار العسكري، على أمل أن يجبر ذلك الولايات المتحدة على أن تنظر في قضية مصر. وباختصار، كان على السادات أن يرجع الى استراتيجية عبدالناصر في الخيار العسكري، بعد أن أمضى ثلاث سنوات من رئاسته وهو يحاول جهده تفادي ذلك الخيار. وفي ضوء هذه الملابسات، وقعت الحرب في السادس من تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٣.

---

(٦٤) Heikal, *The Road to Ramadan*, p. 181.

(٦٥) Sheehan, *The Arabs, Israelis and Kissinger: A Secret History of American Diplomacy in the Middle East*, p. 22.

(٦٦) المصدر نفسه، ص ٢٥.

(٦٧) Sadat's interview with Arnaude de Borchgrave, *Newsweek* (18 April 1973).

الفَصْلُ الثَالِث

صِفَاتُ السَّادَات الشَخصِيَّة، أسْلوبهُ في اتخَاذِ القرَارَات

إن الزعماء إنما يعملون ما يعملونه باسم دولهم القومية. وهم، في هذا، غالباً ما يتأثرون في تكوين تصوراتهم الخاصة عن غيرهم وعن الأوضاع بصورة عامة.

تشير الدراسات التي أجراها كل من بولدنـغ (Boulding)[1] ووايت (White)[2] وهولستي (Holsti)[3] مع آخرين، الى أن رؤية المرء لذاته أو تصوره لها تؤثر في تشكيل تصوره ورؤيته للآخرين. وبالتالي فإننا نميل الى مماهاة أنفسنا بأولئك الـذين يشاركـوننا في نفس السمات.

وافترض، استناداً الى الدراسات المذكورة آنفاً، ومن ملاحظة الرئيس السـادات وقراءة ما جاء على لسانه، أن صورته الذاتية التي كوّنها عن نفسه قد أثّرت في تصـوره للآخرين من ذوي الأدوار، كما أثرت في تفسيره وتحديـده للموقف. وسيـتركز تحليـلي لصـورة السادات الـذاتية عن نفســه، على هـويته ودوره ونمـطه في التفاعـل مع أبنـاء جلدته.

أولاً: تصور السادات لذاته: الهوية

في مقـدمة كتـابه البحث عن الـذات قـدم الســادات نفســه الى القـراء كفـلاح

(١) Kenneth Boulding, *The Image* (Ann Arbor: University of Michigan Press, 1956).

(٢) R. White, «Images in the Context of International Conflict,» in: Herbert Kelman, ed., *International Behavior: A Social Psychological Analysis* (New York: Holt, Rinehart and Winston, 1965), pp. 238 - 276.

(٣) David J. Finley, Ole Holsti and Richard Fagen, *Enemies in Politics* (Chicago, Ill.: Rand McNally Company, 1967), pp. 1 - 25.

مصري. قال: «أنا أنور السادات فلاح نشأ وتربى على ضفاف النيل حيث شهد الانسان مولد الزمان»[٤]. فكونه فلاحاً مصرياً، يعني بالنسبة له أنه يجسد الجذور الثقافية للحضارة القديمة، حضارة عمرها سبعة آلاف سنة، شهدت فيها مصر أول دولة وأول حكومة عرفها الانسان. إن مصر في رؤية السادات كانت خلافاً لعدد من البلدان العربية التي «لا تزال دولاً صغيرة»، هي أقدم دولة في العالم[٥].

وكان السادات، وفقاً لرواية زوجه جيهان[٦]، فخوراً جداً بأصوله الفرعونية، وقد أخذ على عاتقه تأكيد هذه الصورة الفرعونية. قال ذات مرة لجيمي كارتر: «إن من الخطأ أن ينظر إليه ببساطة كخلف لعبدالناصر... إن سلفه الحقيقي هو رمسيس الثاني»[٧]. ووفقاً لرواية حسنين هيكل، كان السادات مولعاً، وهو يتصور نفسه خليفة لواحد من ملوك مصر القدماء، بالوقوف أمام عدسات التصوير «حاملاً عصا المارشالية، وكأنها صولجان»[٨].

وعلى العكس مما كان في الحقبة الناصرية حين كان التركيز على «القومية العربية» و«الوحدة العربية» والكفاح ضد الامبريالية، وحين كانت مصر بمكان القلب من الوطن العربي، وعبدالناصر حاملاً لواء القضية العربية، أخذت مصر السادات تعبر عن نقيض هذه المبادىء، أو على الأقل لا تركز عليها. بل ان هناك دلائل متعددة تشير الى تركيز السادات على «الهوية المصرية»: ففي أوائل السبعينات قرر السادات تغيير اسم البلاد من «الجمهورية العربية المتحدة» الى «جمهورية مصر العربية»[٩]. وكانت البلاد تدعى بالجمهورية العربية المتحدة منذ وحدة مصر وسوريا في عام ١٩٥٨، واستمرت تحمل هذا الاسم حتى بعد الانفصال، كرمز للحلم العربي في تحقيق وحدة عربية كاملة. كذلك كثيراً ما كان السادات يصف نفسه في أحاديثه بأنه «قومي مصري يريد حلاً لمشاكل مصر»[١٠].

ويمكننا أن نرى بوضوح أكثر، تركيز السادات المتزايد على القومية المصرية،

---

(٤) Anwar el-Sadat, *In Search of Identity: An Autobiography* (New York: Harper and Row, 1978).

(٥) انظر خطاب السادات في مجلس الشعب، ١٤ أيار/مايو ١٩٧٨، في: خطب ومقابلات الرئيس السادات (القاهرة: وزارة الاعلام، ١٩٧٠ - ١٩٨١).

(٦) انظر مقابلة مع جيهان السادات، في مجلة سيدتي (٢٤ تشرين الأول/اكتوبر ١٩٨٣)، ص ٨.

(٧) Mohammed Hasanayn Heikal, *Autumn of Fury: The Assassination of Sadat* (New York: Random House, 1983), p. 74.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) *African Contemporary Record* (1971).

(١٠) Raymond William Baker, *Egypt's Uncertain Revolution under Nasser and Sadat* (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1978), p. 142.

وذلك بمقارنة خطبه بخطب عبدالناصر. فبينما اعتاد السادات استخدام تعابير مثل «نحن الشعب المصري» أو «الوطنية المصرية»، نجد ان عبدالناصر كان يستخدم تعابير ذات دلالة مثل «الشعب العربي في مصر» و«القومية العربية».

ولقد تعاظم الاتجاه نحو التركيز على «المصرية» بصورة أكبر، بعد توقيع اتفاقية سيناء «فك الاشتباك الثاني عام ١٩٧٥». ولقد امتلأت القاهرة باللافتات التي تعكس هذا الاتجاه. فعلى سبيل المثال يشير ريمون بيكر (Raymond Baker) الى لافتتين، رفعت إحداهما على بناية اذاعة القاهرة، وتصور امرأة ترمز الى «مصر الأم» وتنادي «مصر أولاً!»، والأخرى في معسكر للجيش قرب الاسكندرية تقول: «مصر أولاً وثانياً وأخيراً»[11].

ويُظهر تحليل تصريحات السادات خلال ١٩٧٠ ـ ١٩٧٨ أن فكرة «القومية المصرية» و«القومية العربية» كانتا تسيران جنباً الى جنب في الفترة من ١٩٧٠ الى ١٩٧٣. فقد تضمنت خطب السادات تصريحات مثل قوله: «إن معركتنا تشنها الوطنية المصرية والقومية العربية معاً»[12].

أما الفترة من أواخر ١٩٧٦ الى ١٩٧٨ فقد شهدت تبايناً بين الفكرتين، إذ نجد فكرة القومية المصرية في تصاعد، وفكرة القومية العربية في تدهور ملموس. كانت خطب السادات في هذه الفترة تعكس أفكاراً مثل قوله: «إني لا أتكلم إلا فيما يخص مصالح مصر، وأنا إنما أتولى ما يحتمل أن يؤدي الى تحقيق مسؤوليتها التاريخية».

١ ـ جوهر «مبدأ المصرية» عند السادات

تركّز جوهر «مبدأ المصرية» عند السادات في تصوره لمصر كقطر أعرق حضارة وأعمق ثقافةً من باقي الأقطار العربية. فمصر، بحضارتها الفرعونية القديمة التي قدمت للانسانية أعظم حضارة عرفتها على الاطلاق، هي بالنسبة له أقرب ثقافياً الى أوروبا والغرب منها الى الوطن العربي.

وكثيراً ما كان يؤكد على انه: «منذ القرن التاسع عشر ونحن على صلة بأوروبا حتى قبل وجود الكثير من الدول في هذه المنطقة»[13]. كذلك ركّز السادات على علاقة مصر بأوروبا، وعلى امتزاج الحضارة الغربية بالحضارة المصرية القديمة، وهو يخاطب الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان عام ١٩٧٥ فقال: «... وتعلمون ان مصر أقامت للإنسان أعظم حضارة

---

(١١) المصدر نفسه.

(١٢) خطب السادات هي المذكورة في: خطب ومقابلات الرئيس السادات. إلا اذا ذكر مصدر آخر.

(١٣) مقابلة السادات مع أساتذة أمريكيين في ٢٦ آذار/مارس ١٩٧٨.

عرفها في تاريخه. . . وهل غريب أن تكون فرنسا ومصر معاً هما الجسر الذي التقت عبره الحضارة الأوروبية بالحضارة المصرية. . .»[١٤].

ويمكن القول إن هذا التوجّه الغربي يكمن في صميم صورة السادات الذاتية عن نفسه، مما جعله يعتقد بأنه، هو، وبالتالي بلاده، يُعتبر جزءاً من مجتمع «متحضر» عالمي هو في الواقع مجتمع غربي. بل إن هذه الصورة «لشرقيّ مهذب غربيّ الهوى» انعكست بوضوح في أمرين متداخلين هما:

أولاً: في مظهر السادات الشخصي، «حيث انقلب الفلاح المصري الى جنتلمان انكليزي بغليونه وعصاه وكلبه وما الى ذلك»[١٥]. وحتى حين قرر السادات أن يعيد بناء قريته «ميت أبو الكوم»، أمر المقاول بأن يجعلها مشابهة تماماً للريف الانكليزي. وقد أرجعت ابنته كاميليا جذور هذا التوجه الغربي الى مرحلة مبكرة من حياة السادات حين التقى بزوجه الثانية جيهان. تقول كاميليا إن والدها وجد في جيهان، وهي من أم انكليزية وأب مصري، «مظهر الغرب وروحه»[١٦].

ثانياً: في محاولات السادات إعادة تحديد هوية مصر القومية. فبينما كان عبدالناصر يطمح الى نظام سياسي عربي، تلعب فيه مصر بوجهها العربي دور القيادة، جاء السادات، على الضد، ليعيد تحديد هوية مصر بشكل جديد، يربطها بالغرب أكثر مما يربطها بالعرب. وهكذا استبدلت عروبة مصر بهوية فرعونية أو شرق أوسطية[١٧].

وانسجاماً مع هذا التصور، كان السادات ميالاً الى رؤية المنطقة كنظام سياسي شرق أوسطي أكثر منه كنظام سياسي عربي. ولم يكن يُنظر الى العرب في هذا النظام السياسي كأمة واحدة، بل كعدد من الدول تشترك في مصالح معينة مع أعضاء آخرين غير عرب في هذا النظام الاقليمي. وبالنسبة له كان الشرق الأوسط أشبه ما يكون بسوق اقليمية مشتركة «يمكن أن تضم إسرائيل»[١٨].

---

(١٤) خطاب السادات في ٢٧ كانون الثاني/يناير ١٩٧٥، في: قال الرئيس السادات (القاهرة: مطبعة سكرتارية رئيس الجمهورية، ١٩٧٦)، ص ٣٢.

(١٥) Anthony McDermott, «Sadat: The Art of Survival,» *Middle East International,* no. 53 (November 1975), p. 13.

(١٦) Camelia al - Sadat's interview with: *Parade Magazine* (15 April 1984), pp. 4 - 6.

(١٧) Raymond Hinnebusch, «Egypt under Sadat: Elites, Powers, Structure and Political Change in Egypt in a Post Populist State,» *Social Problems,* vol. 28, no. 4 (April 1982), p. 452.

(١٨) Felipe Fernandez Armesto, *Sadat and His Statecraft* (London: Kensal Press, 1982), p. 81.

٢ ـ التفاعل بين القائد وأتباعه

كانت مصر بنظر الرئيس السادات هي قريته «ميت أبو الكوم»[١٩]، وهو نفسه عمدة القرية[٢٠]. ويُنظر الى عمدة القرية في ريف مصر التقليدي كشخص ذي حكمة واحترام.. فهو بمثابة الأب في أسرة تتحكم بشؤون أبنائها، حيث تنمّي التقاليد والقيم احترام الأب وطاعته. كذلك ينظر الى العمدة كممثل للسلطة في القرية، بكل نفوذها وقوتها. وبالنظر لكون عمدة القرية ممثلاً للسلطة من جهة وأباً من جهة أخرى، فإنه يتمتع بسلطان كبير إزاء أبناء القرية، فتكون تعليماته وأحكامه أوامر يجب أن يطيعها هؤلاء وينفذوها.

ولقد كان السادات ينظر الى نفسه لا كسياسي بل «كأب للعائلة المصرية»[٢١]، «العائلة المصرية بكل ما فيها من تقاليد القرية وقيمها»[٢٢]، حيث الروابط العائلية القوية، وأفراد الأسرة المتعاضدون، والأب أهم الأفراد فيها. فهو ليس فقط صاحب القرار الوحيد، بل إنه لمن النادر ان يخرج عن طاعته أي عضو في الأسرة، أو يجرؤ على انتقاده. وكثيراً ما صرح السادات بأن صورته كأب للعائلة المصرية هي أقرب الى قلبه من منصبه كرئيس للجمهورية.

والسادات الذي يرى نفسه أباً للبلاد، وليس ابناً لها، كان يخاطب المصريين عادة قائلاً: «أولادي أو أبنائي». فعلى سبيل المثال كان كلما خطب بالجيش المصري قال: «أبنائي جنود وضباط الجيش الثالث» أو «أبنائي في الجبهة»[٢٣]. وعندما يتحدث الى العمال والفلاحين، أو الى الطلاب، فإنه يخاطبهم دائماً بقوله: «يا أولادي»[٢٤]. ويمكن القول إن رؤية السادات للمصريين كأطفال، فضلاً عن محاولته التشبه بمظهر الجنتلمان الانكليزي، بغليون وعصا وبصحبة كلب، جعله يبدو في نظر الكثير من المصريين أقرب شبهاً باللورد كرومر المندوب السامي الانكليزي ابان فترة الاحتلال البريطاني، والذي دأب على معاملة المصريين باحتقار شديد[٢٥].

---

(١٩) ذكرها السادات في مذكراته جلياً، إذ قال: «منذ زمن طويل ومصر تعني بالنسبة لي ميت ابوالكوم». انظر: el - Sadat, *In Search of Identity: An Autobiography*, p. 11.

(٢٠) مقابلة مع محمد ابراهيم كامل، وزير خارجية مصر الاسبق، في ١٣ حزيران/يونيو ١٩٨٣.

(٢١) نبيل راغب، السادات: رائد الاصلاح الفكري (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٥)، ص ٩٧ و٢٠٥.

(٢٢) المصدر نفسه، ص ٤١٤.

(٢٣) المصدر نفسه، ص ٥١٣.

(٢٤) المصدر نفسه، ص ٢٣١، و David Hirst and Irene Beeson, *Sadat* (London: Faber and Faber, 1981), p. 120.

(٢٥) للاطلاع على مزيد من التفاصيل عن نظرة كرومر للمصريين خلال الاحتلال البريطاني، انظر: =

ونظراً لتربية السادات في القرية وتمسكه بتقاليدها وقيمها، فإنه وهو الأب للعائلة المصرية، كان ينتظر نمطاً معيناً من السلوك من أولاده، أي من الشعب المصري. وهذا النمط يجب أن يعكس القيم العائلية في احترام كبير العائلة وطاعته. لذا، كان السادات حين يواجه معارضة شعبية أو نقداً لسياساته وأفكاره، فإنه كان ينظر الى هذا السلوك كخروج على التقاليد العائلية. هكذا نظر السادات الى مظاهرات الطلاب في عام ١٩٧١ وعام ١٩٧٢، والى اضرابات ١٨ و١٩ كانون الثاني/يناير ١٩٧٧، والى نقد اليساريين له(٢٦). فعندما سأله أحد القادة الطلابيين عن مصير الشيخ الغزالي الذي كان قد فقد عمله نتيجة هجومه على سياسة الحكومة، وكان السائل يرمي ضمناً الى القول بأن من يمدح النظام يمكنه أن يحتفظ بعمله، ثار السادات ورأى في سؤال الطالب تحدياً للقيم والتقاليد المصرية، وقال إن الدين لا يقضي بأن يتصرف هذا الطالب بهذه الطريقة أمام رب العائلة(٢٧).

وفي مقابلة أجرتها جريدة سعودية مع السادات، ودافع فيها عن الفكرة القائلة بأن يكون رئيس الجمهورية فوق منازعات الأحزاب السياسية، ذكر أن التقاليد المصرية لا تدعو الرئيس أن يكون مرشحاً في الانتخابات، إذ يمكن أن يهان فيها أو يهاجم. وهذا بنظره أمر غير مقبول. ذلك أن الرئيس هو في واقع الأمر رأس العائلة الذي ينبغي أن يحترم، لا أن يهان. «أنا بأنصح هنا منقلدش حد، لأن إحنا تقاليدنا العربية لا تسمح انه ينزل رئيس الجمهورية للانتخاب مثلاً فيجرحوه الناس. لو جرحوه.. احنا بطبيعتنا كعرب لا نقبل هذا التجريح في رأس العيلة»(٢٨).

وضماناً للمحافظة على أخلاقيات القرية، استصدر السادات تشريعاً فريداً من نوعه أسماه «قانون العيب»، والغرض الرئيس منه هو «صيانة حقوق الناس والمقومات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية بما في ذلك التقاليد الأصيلة لمجتمع العائلة المصرية»(٢٩).

ومن العرض السابق يمكن القول إن مفهوم السادات ورؤيته للنظام السياسي المصري، كعائلة كبيرة واحدة يلعب فيها الرئيس دور الأب الذي يجب أن يطاع ويحترم وفق قيم القرية وتقاليدها، هو مفهوم يقترب الى حد كبير من النظام الأبوي الذي وضعه فيبر (M. Weber). فقد قدم ماكس فيبر، في دراسته للنظم السياسية،

Afaf Lutfi al-Sayyid-Marsot, *Egypt and Cromer: A Study in Anglo -Egyptian Relations* = (New York: Praeger, 1969), pp. 54 and 68.

(٢٦) خطاب السادات امام الجيش الثالث في ٨ حزيران/يونيو ١٩٧٨.

(٢٧) كلمة السادات في لقائه بأعضاء المجلس الاعلى للجامعات في ١٩٧٧/١/٣٠.

(٢٨) حديث السادات لجريدة عكاظ السعودية في ١٩٧٧/٢/٧.

(٢٩) نقلاً عن: Hirst and Beeson, *Sadat*, p. 332.

نظاماً أبوياً كنمط تقليدي يقتصر على مجموعات الأقارب، وتكون العلاقات الشخصية هي أساس سلطة ونمط العلاقة بين رئيس الأسرة وأفرادها، و«أفراد الأسرة تربطهم برئيسها علاقة شخصية صرف. هو يأمرهم وهم يطيعونه، إيماناً بأن حقه وواجبهم هما جزء من نظام له قدسية التقاليد الخالدة»[٣٠].

إن الصورة الذاتية التي تخيلها السادات لنفسه «كأب للعائلة المصرية» بجوانبها التحكمية جعلته يعتبر مصر وقفاً عليه[٣١]. وهذا واضح في ولع السادات باستعمال أداة النسبة لنفسه، فهو يقول «شعبي» و«دستوري»، و«ديمقراطيتي» و«أحزابي السياسية». . . مما يعطي الانطباع بأن «هذا الذي ينسبه إليه هو ملكه، وأنه إنما يعرض ما يشاء حسب تقديره؛ وأن ما يُعطى يمكن أن يؤخذ»[٣٢].

٣ ـ الدور الخاص لصياغة التاريخ

كتب السادات ذات مرة «ان الشخصيات في مصر هي أهم من البرامج»[٣٣]. وقال عالم السياسة لندبلوم (Lindblom) «إن التاريخ هو من صنع الإنسان». ومثل هذه الأقوال، في حقيقة الأمر، تعكس بالضبط ما يتصوره السادات عن دوره في التاريخ. فالأحداث التاريخية ليست بالنسبة له نتيجة عملية حتمية، بل إنها من صنع البشر. وهذا الاعتقاد يغور عميقاً في إحساس السادات القوي بذاته، وبدوره في صياغة الأحداث التي تغيّر مجرى التاريخ.

ولقد كان هذا الاحساس في صميم تفكير السادات، حتى من قبل أن يتولى رئاسة الجمهورية بأمد طويل. كتب في **البحث عن الذات** يقول: «لم أكن أعرف في ذلك الوقت السحيق انني سأشارك وزملاء لي في تغيير وجه التاريخ. . واني سوف أجتاز يوماً هذا السور الرهيب. . واجلس في نفس المقعد الذي كان يجلس عليه الملك فؤاد ومن بعده فاروق. . .»[٣٤]. وبالتالي، رأى السادات في شخصه رجل الأقدار الذي ولد ليغيّر وجه التاريخ وفقاً لرؤيته وتصوره.

وبسبب احساسه القوي بأهميته وبدوره في التاريخ، فقد رأى في توليه رئاسة

---

(٣٠) Reinhard Bendix, *Max Weber: An Intellectual Portrait* (New York: Doubleday, 1969), pp. 330 - 360.

(٣١) Hinnebusch, «Egypt under Sadat: Elites, Powers, Structure and Political Change in Egypt in a Post Populist State,» p. 462.

(٣٢) J. Dimbleby, «Sadat's Solitary Hand,» *New Statesman* (12 August 1977), p. 204.

(٣٣) نقلاً عن: Thomas Sancton, «He Changed the Tide of History,» *Time Magazine* (19 October 1981), p. 31.

(٣٤) el - Sadat, *In Search of Identity: An Autobiography*, p. 7.

الجمهورية تحقيقاً لنبوءة، مؤمناً بأن قدره هو أن يصبح رئيساً، وأن من مسؤوليته قبول الرئاسة طوعاً، لأن قدره هو تغيير التاريخ. ولقد كان لإحساس السادات القوي بالتاريخ وبدوره في صياغة الأحداث التاريخية، من العوامل الرئيسية وراء تركيزه وابرازه لدوره في تاريخ الكفاح الوطني المصري ضد الملك والانكليز، وقد تجلى هذا في تفاخره بماضيه السياسي أمام زملائه من أعضاء مجلس قيادة الثورة في السنوات الأولى من عمر الثورة[٣٥]. كما تجلى أيضاً في اعادته لكتابة تاريخ الثورة، وتأكيده على مركزية دوره في الأحداث؛ الأمر الذي جعله يرى تطابقاً شديداً بين قصة حياته وقصة بلاده وتاريخها... كتب يقدّم لسيرته الذاتية بقوله: «إنها قصة حياتي التي هي في نفس الوقت قصة حياة مصر منذ ١٩١٨... هكذا شاء القدر»[٣٦].

وفي النهاية يمكن أن نحدد ملامح صورة السادات الذاتية أو روايته لذاته في نقاط محددة: فهو رئيس يرى نفسه أباً لبلاد هي بحاجة الى إرشاده وقيادته. وهذا الأب، رغم كونه فلاحاً مصرياً في أصله وتربيته الأخلاقية، هو في جوهره بعث للحضارة المصرية التي تمتد في التاريخ على مدى سبعة آلاف سنة. لذا فإنه زعيم مصري حبته الأقدار برسالة تاريخية، وهو يسعى من خلال رؤيته أن يحقق دوره في التاريخ.

ثانياً: أسلوب السادات في اتخاذ القرارات

إن أسلوب السادات في اتخاذ القرارات يعكس الى حد كبير رؤيته لذاته كأب للبلاد، والشخص الأكثر خبرة، وصاحب الرؤية التي سيصوغ التاريخ بموجبها. وسأحاول، في تناولي لهذا الأسلوب، أن أركز على هيكل اتخاذ القرار، وعلى أنماط المعلومات أو أشكالها، وعلى علاقة السادات بمستشاريه ومساعديه، وأخيراً على درجة إتساقه (Consistency) والغرض من التركيز على هذه العناصر هو اكتشاف الخصائص الرئيسة لأسلوب السادات في اتخاذ القرارات، والتي قد تؤثر في تحديده لطبيعة الموقف.

---

(٣٥) مقابلة عبد السلام الزيات، السكرتير العام السابق للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي، في ١٥ حزيران/يونيو ١٩٨٣.

(٣٦) تختلف السيرة الذاتية التي نشرها السادات عن نفسه عام ١٩٧٨ اختلافاً تاماً عما كتبه سابقاً. فقد أكد في هذه الصيغة الجديدة على دوره كل التأكيد وإيجاد ترتيب الاحداث التاريخية بطريقة تجعله بطلاً. للاطلاع على مقارنة ممتعة بين سير السادات المختلفة، انظر: Hirst and Beeson, *Sadat.*

١ ـ هيكل اتخاذ القرارات لدى السادات في الممارسة العملية

إن الدراسات التي تتناول هيكل اتخاذ القرارات، كالتي أجراها هرمان (Hermann)[٣٧] وجورج (George)[٣٨] وسنايدر (Snyder) ودايزنغ (Diesing)[٣٩]، تنحو، على العموم، الى تقديم نموذجين هيكليين: أولهما نظام جامد في علاقاته الهيكلية يكون فيه الزعيم، أو صانع القرار، مسيطراً على عملية اتخاذ القرارات، وتتألف في تعبير هرمان من «الزعيم وهيئة موظفيه»، وفي تعبير سنايدر ودايزنغ من «شخص أو شخصين». وثانيهما نظام غير هيكلي فيما يتعلق بمتخذ القرار، وفيه يتقيد دور الزعيم، أو صانع القرار، بتأثير المؤسسات المختلفة المحيطة به، (مثل «المجلس» (Assembly) عند هرمان، و«جماعات الاستشارة المتعددة» (Multiple Advocacy) عند جورج و«الحكومة المتجزئة» (Divided Government) عند سنايدر). وعلى الرغم من أن هيكل اتخاذ القرارات لدى السادات ينحو، نظرياً، الى الاقتراب من النموذج الثاني، إذ نجد السادات محاطاً بمؤسسات شتى، مثل مجلس الأمن القومي ووزارة الخارجية ومجلس الوزراء، مخولة أن تنظر في قضايا السياسة الخارجية، فإن هذا الهيكل، عملياً، يميل كثيراً نحو النموذج الأول، يسيطر فيه السادات على قرارات مصر الكبرى، دون التقيد بتلك المؤسسات.

كانت عملية اتخاذ القرارات، كما قال منصور حسن، الوزير السابق وموضع ثقة السادات، تتم دائماً على صعيد المستوى الأعلى، أما وظيفة المؤسسات السياسية فقد كانت مقتصرة دائماً على تأييد ما يتخذ من قرارات[٤٠]. إن نظرة فاحصة في عمل هذه المؤسسات في التطبيق تميل الى تأييد هذا الرأي.

أ ـ مجلس الوزراء

يلقي الدستور المسؤولية الرئيسية، بشأن قضايا السياسة الخارجية، على عاتق رئيس الجمهورية. ولكنه يخوّل مجلس الوزراء كذلك صلاحية مساعدة الرئيس في وضع سياسة الحكومة في شتى القطاعات، مثل الشؤون الاقتصادية والخارجية[٤١].

---

(٣٧) Charles Hermann, «Decision Structure and Process Influence on Foreign Policy,» in: Maurice A. East, Stephen A. Salmore and Charles Hermann, ed., *Why Nations Act* (Beverly Hills, Calif.: Sage Publications, 1978), pp. 80 - 83.

(٣٨) Alexander George, *Presidential Decision - Making in Foreign Policy* (Boulder, Colo.: Westview Press, 1980).

(٣٩) Glenn Snyder and Paul Diesing, *Conflict among Nations* (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1977), p. 19.

(٤٠) مقابلة مع منصور حسن في مجلة المصور المصرية عام ١٩٨٢.

(٤١) المادة ١٣٧ من الدستور المصري لسنة ١٩٧١.

وعند دراسة أنشطة مجلس الوزراء في الفترة المتعلقة بهذه الدراسة، نجد ما يلي:

١ ـ كان مجلس الوزراء يعقد، في السنة الأولى من رئاسة السادات، جلسة أسبوعية، كما كان الحال في فترة ولاية عبدالناصر. ثم أخذ عدد الجلسات بالتناقص، وبلغ متوسط عددها حوالى أربع جلسات في كل شهرين.

٢ ـ كانت القضايا الداخلية هي الغالبة في جدول أعمال هذه الجلسات. وفي الحالات النادرة التي تناول فيها المجلس قضايا السياسة الخارجية، كان الغرض من عقد الجلسة هو الاستماع لتقرير من وزير الخارجية عن الحالة السياسية، أو إخبار أعضاء المجلس بقرار سبق اتخاذه.

ب ـ وزارة الخارجية

إن وزارة الخارجية هي، من الناحية النظرية، الجهاز المختص بوضع سياسة مصر الخارجية وتنفيذها. وهي تزود الرئيس بالمعلومات والتقارير والتوصيات بشأن الاختيارات والبدائل السياسية المتاحة. ولكن أسلوب السادات في اتخاذ القرارات جعل هذه الوظيفة غير ذات جدوى. فلقد رأى ان اتصاله المباشر برؤساء الدول هو أكثر تأثيراً من القنوات الدبلوماسية الرسمية مما أدّى الى استبعاد وزارة الخارجية من عملية صنع القرار. وقد أمسى وزير الخارجية المصري مجرد مستشار في بعض الأمور الفنية أكثر منه شخصية ينبغي أن تلعب، نظرياً، دوراً فعالاً في توجيه السياسة الخارجية المصرية.

ومن جراء هذا استقال أربعة وزراء خارجية من أصل ستة شغلوا المنصب خلال فترة هذه الدراسة، وذلك إما لعدم إخبارهم مسبقاً بقرارات أساسية تتعلق بالسياسة الخارجية، وإما لعدم اقتناعهم بها. وهؤلاء هم: اسماعيل فهمي ومحمد رياض ومحمد كامل ومراد غالب الذي استقال إبان خدمته سفيراً لمصر في يوغوسلافيا.

ويذكر أحد الدبلوماسيين المصريين السابقين أن اتصال السادات المباشر برؤساء الدول، واستبعاده المتعمّد للقنوات الدبلوماسية الطبيعية أو المعتادة، والمتمثلة بوزارة الخارجية، قد أدى الى إضعاف دور السفارات المصرية في الخارج، فالسفير لم يكن يعرف شيئاً عن فحوى اتصالات رئيس جمهوريته بالبلد المعتمد فيه[٤٢].

---

(٤٢) حمدي الطاهري، خمسة اعوام في السياسة (القاهرة: مكتبة مصر، ١٩٨٢)، ص ٢١ ـ ٢٢.

كذلك أضعف هذا الأسلوب وزارة الخارجية ذاتها، فهي لم تكن مطلعة في كثير من الأحيان على فحوى الاجتماعات المغلقة التي كان يعقدها السادات مع المسؤولين الأجانب. فعلى سبيل المثال اكتشف محمد ابراهيم كامل، وزير الخارجية الأسبق، أن وزارة الخارجية لم يكن فيها ملف واحد عما كان يجري في اجتماعات السادات المغلقة والمتعاقبة مع هنري كيسنجر(٤٣). وقد قدم الوزير مزيداً من الايضاح عن مفهوم السادات لدور وزارة الخارجية ووظيفتها في مذكراته، حيث روى أنه أوعز ذات مرة لأحد كبار مساعديه (السفير نبيل العربي مدير الادارة القانونية في ذلك الوقت) أن يقابل الرئيس السادات في كامب ديفيد بغرض إيضاح الوضع القانوني للرسائل المتبادلة بين السادات وكارتر وبيغن حول القدس. وبعد أن انتهى السفير العربي من عرضه للموضوع قال له السادات: «لقد استمعت اليك كما رأيت دون مقاطعة من أجل ألا يقول أحد إني لا أستمع ولا أقر كما يشيعون عني، ولكن اعلم أن كل ما قلته لي قد دخل من أذني اليمنى وخرج من أذني اليسرى، إنكم في وزارة الخارجية تظنون أنكم تفهمون في السياسة، ولكنكم لا تفهمون شيئاً على الاطلاق. ولن أعير كلامكم أو مذكراتكم أي التفات بعد ذلك، اني رجل أعمل وفقاً لاستراتيجية عليا لا تستطيعون ادراكها أو فهمها، ولست في حاجة إلى تقاريركم السفسطائية الهائفة»(٤٤).

ج - مجلس الأمن القومي

إن وظيفة هذا المجلس الرئيسية هي، بموجب دستور ١٩٧١، تقديم المشورة لرئيس الجمهورية حول القضايا المتعلقة بالأمن القومي المصري. وعلى الرغم من أن فكرة المجلس أقدم من دستور ١٩٧١، الا انه عندما تولى السادات الحكم أعاد إحياء فكرة مجلس الأمن القومي، وذلك لاعجابه بمجلس الأمن القومي الأمريكي، ورغبته بالتشبه بالنظام الأمريكي. ويضم المجلس في عضويته رئيس الجمهورية ومستشار الأمن القومي ورئيس الوزراء ووزراء الخارجية والدفاع والداخلية والسكرتير العام للاتحاد الاشتراكي العربي. وكان المفروض في المجلس، نظرياً، أن يتكوّن من مجموعة صغيرة من كبار المسؤولين وذلك لتشجيع الآراء المختلفة، مع الابقاء في الوقت ذاته على حد أدنى من القاسم المشترك الذي يربط الأعضاء بتصورات رئيس الجمهورية عن المسائل المهمة(٤٥). ولكن المجلس لم يلعب، عملياً، دوراً فعالاً في صياغة وتكوين قرارات السياسة الخارجية. والواقع ان المجلس ولد ميتاً بسبب ضعف المؤسسات المرتبطة إزاء رئيس الجمهورية(٤٦)، وتحوله إلى جهاز لتأكيد القرارات التي سبق أن

---

(٤٣) محمد ابراهيم كامل، السلام المفقود في اتفاقيات كمب ديفيد (السعودية: الشركة السعودية، الأبحاث، ١٩٨٢)، ص ١٧٩.

(٤٤) المصدر نفسه، ص ٦٠٨.

(٤٥) نقلاً عن: George, *Presidential Decision - Making in Foreign Policy*, pp. 148 - 149.

(٤٦) مقابلة مع حافظ اسماعيل في ١٧ تموز/يوليو ١٩٨٣.

اتخذها الرئيس، أو الموافقة عليها، أكثر من كونه جهازاً لصنع القرار.

ولو نظرنا الى قرارات السادات الرئيسة المتعلقة بمبادرة السلام في شباط/فبراير ١٩٧١، وقرار طرد المستشارين السوفيات من مصر في ١٩٧٢، وقرار زيارة القدس، لوجدنا أن المسؤولين المصريين وفقهاء السياسة المصرية، بل وحتى السادات نفسه، يتفقون على أن القرارات قد اتخذت من قبل السادات نفسه بالدرجة الأولى. كان هناك شخص واحد فقط يعلم بنية السادات فيما يتعلق بمبادرته السلمية لسنة ١٩٧١، وذلك قبل أن ينوّه بها في الاجتماع المشترك للجنة التنفيذية العليا ومجلس قيادة الثورة. ومضى السادات قدماً ليعلن مبادرته في خطاب عام، رغم علمه بأن الاتجاهات العامة في الهيئتين المذكورتين كانت ضد المبادرة. ولم يقرأ نص المبادرة إلا ثلاثة مسؤولين مصريين، وذلك قبل خمس عشرة دقيقة فقط من إعلان السادات إياها.

كذلك اتخذ قرار طرد المستشارين السوفيات من مصر من قبل السادات وحده. لم يجر بحث مسبق للقرار في مجلس الوزراء أو وزارة الخارجية أو مجلس الأمن القومي. وبعد إعلان القرار، اجتمع السادات بهذا المجلس لبحث تنفيذه. وقد أبديت خلال الاجتماع بعض التحفظات بشأنه. وكان الرأي السائد بين المجتمعين هو أنه لو كان المجلس قد بحث القرار قبل اتخاذه، لكان الأعضاء درسوا ما له وما عليه، وهيأوا بدائل له. أما فيما يتعلق بموافقة مستشاري السادات على القرار، أو عدم موافقتهم عليه، فإنه لم يكن أمامهم ما يفعلونه بشأنه[٤٧].

ولم يكن قرار السادات بالقيام بزيارته، التي لا سابقة لها، الى القدس ليختلف عن النمط السابق. فلم يبحث هذا القرار في مجلس الأمن القومي أو في مجلس الوزراء، ولم يكن لدى هذين المجلسين علم بذلك. يقول حسن التهامي، أحد مساعدي السادات المقربين والرجل الذي مهد الطريق لزيارة السادات: «استغرق الوقت بين تعبير السادات عن فكرته واتخاذ القرار بتنفيذها دقيقة واحدة فقط. فبُهتت الحكومة المصرية. ولكن كان ذلك عبثاً. إن السادات يقوم بما يقوم به بعون الله وعون جيش قوي»[٤٨]. أما السادات فيقول إنه فكّر في الأمر مدة شهرين لكي يتوصل الى اتخاذ قراره[٤٩]. والواقع

---

(٤٧) لمزيد من التفاصيل عن قرار السادات بطرد الروس، انظر:

Mohammed Hasanayn Heikal, *Sphinx and Commissar: The Rise and Fall of Soviet Influence in the Arab World* (London: Collins; New York: Harper and Row, 1978); el - Sadat, *In Search of Identity: An Autobiography,* and Alvin Z. Rubinstein, *Red Star on the Nile: The Soviet - Egyptian Influence Relationship since the June War* (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1977).

(٤٨) نقلاً عن: Sidney Zion and Uri Dann, «Untold Story of the Mideast Talks,» *New York Times Magazine* (21 January 1979), pp. 47 - 48.

(٤٩) el - Sadat, *In Search of Identity: An Autobiography,* pp. 307 - 312.

أن المسؤولين المصريين فوجئوا بقرار السادات، وكان الشخص الوحيد الذي علم رسمياً به هو وزير الخارجية اسماعيل فهمي الذي استقال احتجاجاً عليه.

وباختصار، يمكن القول إن المؤسسات الخاصة باتخاذ القرارات لم تشكل قيداً على أعمال السادات، أو تحدّ من حريته في اتخاذ القرار. بل إن هيمنة رئيس الجمهورية على المؤسسات كانت تمثل النمط السائد لأسلوب السادات في اتخاذ القرارات.

٢ ـ نمط أو شكل المعلومات

إذا كان الهيكل المختص باتخاذ القرارات مهماً لرئيس الجمهورية لأنه يؤثر في طريقة اتخاذ القرار، ويجعل الرئيس محيطاً بشتى الآراء المتعلقة به وبالبدائل الممكنة والآثار المترتبة على تحقيق الأهداف، فإنّ المعلومات تصبح جزءاً جوهرياً من اتخاذ القرارات الفعالة.

ويختلف صانعو القرارات بشأن المعلومات التي يتطلعون إليها، وبشأن شكلها. فبعضهم يهتم بأدق التفاصيل، والبعض الآخر لا يهتم إلا بالعناوين الرئيسة، أو بالوقائع الأساسية الخاصة بالقضية موضوع الدراسة. فبعضهم يريد أن ترفع لهم بانتظام مطالعات وتقارير، والبعض الآخر يفضل طرقاً أخرى أقل ترتيباً. وعلى كل حال، غالباً ما تعكس طريقة صياغة المعلومات، ثم استخدامها أو عدم استخدامها، درجة معينة من الصورة الذاتية التي يحملها الزعيم عن نفسه. فالسادات الذي كان يرى لذاته دوراً في صياغة التاريخ كان يميل الى تجنب الغرق في التفاصيل الدقيقة والاجراءات الشكلية، والتركيز على وضع الخطوط الرئيسة للسياسة المصرية.

إن السادات، المفكر الاستراتيجي، كما يحب أن يسمي نفسه، لم يشغل نفسه بالتفاصيل أبداً. ومع أنه كان يخصص كثيراً من الوقت للظهور أمام الصحافة العالمية، ولكنه لم يجد قط وقتاً لقراءة التقارير أو مناقشتها مع وزرائه ومستشاريه. يقول عبد السلام الزيات: «لم يكن السادات يطبق المناقشات الطويلة مع كبار مسؤوليه ـ كان يتحاشى دائماً معالجة أو بحث تفاصيل أية قضية بسبب جهله أو عدم استعداده للمناقشة»[٥٠]. كان كبار مساعدي السادات ومستشاريه كثيراً ما يتحايلون، بطريقة أو بأخرى، ليتأكدوا من أنه سوف يقرأ ما يعرضون عليه من تقارير. فكثيراً ما كانوا يلجأون إلى استغلال إحدى نقاط ضعفه أو سماته الشخصية، مثل إعجابه الشديد بقادة وزعماء العالم الغربي التاريخيين، ورؤيته لذاته كواحد منهم، للتأثير فيه ودفعه للقراءة. ولقد كان من

(٥٠) مقابلة مع الزيات.

المألوف أن يطلب منه أحد مستشاريه أن يقوم بمثل ما كان يقوم به روزفلت أو تشرشل أو ترومان من الاطلاع على التقارير التي كانت تعرض عليهم. وهنا فقط كان السادات يقوم بالعمل بكل ترحاب.

وبصفة عامة، يمكن القول إن السادات كان يفضل تلقّي المعلومات شفاهاً، من طريق المكالمات الهاتفية أو اللقاءات الشخصية، على قراءة تقارير رسمية مكتوبة. حتى انه، وفقاً لتوماس سانكتون (Thomas Sancton)، عندما تلقى دعوة الرئيس الأمريكي جيمي كارتر للاجتماع به في كامب ديفيد، طلب من وزير الخارجية الأمريكية سيروس فانس أن يقرأ له الدعوة بصوت واضح(٥١).

ويرجع الكثيرون عدم حماس السادات، لقراءة التقارير والتركيز على التفاصيل الدقيقة للمواضيع، الى قناعته الشخصية بأن هذين العاملين كانا وراء وفاة الرئيس عبدالناصر الذي كان معروفاً عنه كثرة اطلاعه. لذا كان السادات حريصاً على ألا يسلك نفس السبيل.

٣ ـ العلاقة بين القائد ومستشاريه

إن طبيعة العلاقة بين القائد ومستشاريه تشكل جزءاً أساسياً من أسلوبه في اتخاذ القرارات. فهي تكشف الى حد كبير مدى تقبل القائد للأفكار التي قد تتناقض تماماً مع آرائه وأفكاره.

فكلما كان القائد منفتحاً على مساعديه، مستمعاً لهم، مستقبلاً لآرائهم، كلما أصبحت رؤيته للموقف أكثر شمولاً ووضوحاً. وبالتالي، يكون قد خطا خطوة في طريق اتخاذه للقرار المناسب.

ويقول اسماعيل فهمي، وزير الخارجية في فترة من فترات حكم السادات، إنه لاحظ ان السادات يتجه الى «عزل نفسه عن مستشاريه، فهو في الحقيقة كان لا يثق بل ويحتقر هؤلاء الذين من حوله»(٥٢).

كان السادات ميالاً ليرى في نفسه شخصاً أكثر خبرة من مستشاريه وكبار مساعديه، معتقداً أن عليهم أن يتعلموا من خبرته وزعامته. وقد لاحظ الرئيس كارتر عزلة السادات عن مساعديه خلال مفاوضات كامب ديفيد، فكتب يقول: «كان السادات في كامب ديفيد يريد أن يصنع قرار مصر بنفسه، ولم يكن يرغب بأن يحضر معه مساعدوه

(٥١) Sancton, «He Changed the Tide of History,» p. 31.

(٥٢) Ismail Fahmy, *Negotiating for Peace in the Middle East* (Baltimore, Maryland: Johns Hopkins University Press, 1983), p. 13.

حين يكون معي، كما كان يظهر عليه عدم الارتياح الى حدٍ ما حين يحيطون به»[٥٣].

كان السادات إذاً منعزلاً عن مساعديه، فهو لا يصغي إليهم قط أو يتناقش معهم، ولا سيما بعد قضائه على مجموعة «مايو» في أيار/مايو ١٩٧١. فقد تحول بعدها من كونه الأول بين متكافئين، الى كونه الأوحد في حلبة صنع القرار. وكان أميل الى الإصغاء الى أفكار يبديها مسؤولون غير مصريين والى القبول بها. إن أشخاصاً مثل كلهان وستيرنر وشاوشسكو وكمال أدهم كان لهم من التأثير فيه أكثر مما كان لمستشاريه المصريين. فلا يستطيع أحد، مثلاً، أن ينكر الدور الذي لعبه كمال أدهم ووليام روجرز ووزير الدفاع السعودي في التأثير في قرار السادات بطرد الخبراء الروس، وكذلك الدور الذي لعبه الرئيس الروماني شاوشسكو في قراره بزيارة القدس.

٤ ـ الاتساق الاستراتيجي

ويتصل بالتنظيم والمعلومات ودرجة الانفتاح على الأفكار الجديدة، موضوع وجود منهاج(Frame of Reference) أو فرضيات أساسية لدى الزعماء تقف وراء اتجاه سياستهم. ووجود هذا الإطار المرجعي أو المنهاج سيحدّ فكرياً من سلسلة الخيارات المتاحة لصانعي القرارات. ويعتقد أن الزعماء إنما يختارون من الخيارات السياسية ما ينسجم مع منهاجهم[٥٤]. كما يعتقد أنهم، في أغلب الاحتمالات، يرفضون الخيارات التي تخرج على حدود منهاجهم، أو أنهم لا يفكرون بها.

والظاهر أن الرئيس السادات كان يفتقر الى منهاج محدد، يمكنه في إطاره أن يقوّم الآراء المتضاربة والخيارات السياسية. كان هذا واضحاً جداً في تحول السادات من شعار «مصر أولاً» الى سياسة الوحدة العربية وبالعكس، وفي تحوله من وضع مناهض لإسرائيل جذرياً الى سياسة مهادنة جداً[٥٥]. وأصبح هذا التقلب سمة بارزة في أسلوب السادات.

والواقع، إن السادات لم يكن متقلباً بصفة عامة. وكان يميل، على العموم، الى قول أشياء متناقضة. ومما يكشف هذا الميل لديه مقارنة ما كتبه السادات عن ثورة «يوليو» في الخمسينات بآخر ما كتبه عنها في السبعينات. كتب السادات، مثلاً، في

---

(٥٣) Jimmy Carter, *Keeping Face* (New York: Bantam Books, 1982), p. 342.

(٥٤) Richard W. Cottam and Bert Rockman, «In the Shadow of Substance: Presidents as Foreign Policy Makers,» paper presented at: The 1983 Meeting of the International Studies Association, Mexico City, April 1983.

(٥٥) لمزيد من التفاصيل، انظر:

Fahmy, *Negotiating for Peace in the Middle East,* and Michael Handel, *The Diplomacy of Surprise.*

مذكراته الأخيرة، ما يخالف الحقيقة المؤكدة والمعروفة بأن عبدالناصر كان هو الزعيم والعقل المدبر للضباط الأحرار، وهي حقيقة أكدها السادات في كتاباته الأولى، فأخذ يكتب فيما بعد ما يناقض ذلك تماماً، قائلاً إنه هو شخصياً كان مؤسس جماعة الضباط الأحرار(٥٦). كان السادات يشبه في هذا حقاً الفراعنة القدماء الذين كانوا يزيلون ما يكتب عن انتصارات وأفعال من سبقهم عن جدران المعابد وينسبونها لأنفسهم.

يتضح من تحليل أسلوب السادات في اتخاذ القرارات أن أسلوبه يتميز بما يلي: (أ) وجود تنظيم هيكلي محكم يكون الرئيس فيه هو مركز القرار، ومستشاروه هم في نظره من موظفيه أكثر من كونهم زملاء له (ب) وجود مؤسسات سياسية يقتصر دورها على الموافقة على القرارات. (ج) وجود مجال كبير من حرية الرئاسة في اتخاذ القرارات كنتيجة للافتقار الى أية قيود سواء أكانت مؤسسية أم فكرية (من جراء الافتقار الى منهاج).

بعد أن اتضحت هذه السمات في أسلوب السادات في اتخاذ القرارات، وكذلك خصائص صورته الذاتية التي يحملها عن نفسه، فإن أثر كل ذلك في تحديده للأوضاع وفي استراتيجيته، سيكون الموضوع الذي نعالجه في الفصل القادم.

---

(٥٦) للاطلاع على تقلب السادات، انظر: Hirst and Beeson, *Sadat.*

الفَصْلُ الرّابع

تحْدِيدُ السَادَاتِ لِلمَوقِفُ وَالأهدَافِ وَالاستراتيجيّة ١٩٧٠-١٩٧٣

ذكرت في البداية أن دور الزعيم، أي تحديده للموقف ورسمه استراتيجية لتحقيق أهدافه، هو وظيفة ذات عنصرين: (أ) صفات الزعيم الشخصية، أي تصوره لذاته وأسلوبه في اتخاذ القرارات. (ب) عوامل خاصة بالموقف. وبعد أن تناولت هذين العنصرين، سأحاول في هذا الفصل أن أدرس (١) كيفية قيام الزعيم بدوره، (٢) والى أي مدى تؤثر العوامل الشخصية، والعوامل الخاصة بالموقف، في قيامه بدوره.

أولاً: تحديد السادات للموقف

كان السادات يرى في سياسة الوفاق بين الدولتين الأعظم منهاجاً لهما في سياساتها في المنطقة. وكان يعتقد أن الدولتين تعملان في الشرق الأوسط وفق خطوط استراتيجيتيهما العالميتين، حيث يتخذ تعاونهما المشترك والحفاظ على الوفاق مكان الصدارة في أولويات مشاكل المنطقة. وأزمة الشرق الأوسط، على حد تعبير السادات، ليست «بالنسبة للدول العظمى المشكلة «رقم واحد»، أما بالنسبة لي فإنها ليست فقط المشكلة «رقم واحد» بل إنها الحياة والموت»[1]. إن هذا الاهتمام الاستراتيجي كان يعني في نظر السادات شيئين:

أولهما أنه يعني موقفاً متعمداً من جانب الدولتين الاعظم للمحافظة على حالة

---

(١) خطاب السادات في ٢٤ تموز/يوليو ١٩٧٢، في: خطب ومقابلات الرئيس السادات (القاهرة: وزارة الاعلام، ١٩٧٠ ـ ١٩٨١).

اللاحرب واللاسلم. ذلك أن أي تغيير في الوضع القائم (Status - Quo) قد يؤدي الى عدم استقرار المنطقة، وبالتالي الى تهديد سياسة الوفاق بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي.

وثانيهما أنه يعني كذلك ان مشاكل مصر السياسية والاقتصادية، وهي تحتل المقام الأول من اهتمام السادات، لن تكون ذات أهمية كبيرة بالنسبة للدولتين الأعظم. وهذا بالطبع لا يتلاءم مع رغبة السادات في جذب اهتمام الدولتين، وبخاصة اهتمام الولايات المتحدة، الى واقع الموقف المصري.

إن القاء نظرة على خطب السادات وتصريحاته توضح انه كان لديه تصور مختلط (Mixed Image) عن الولايات المتحدة. فقد كان من جهة، يرى في الولايات المتحدة حليفاً لعدوه يتماهى (Identify) كلياً مع إسرائيل ويزودها بكل شيء «من الخبز الى طائرات فانتوم النفاثة». وكان يتصور العلاقة الأمريكية ـ الإسرائيلية على أنها أشبه شيء بالوصاية (Patron - Client relationship) تسيطر فيها الولايات المتحدة على أعمال عميلتها إسرائيل. وقد أوضح السادات هذه الفكرة بجلاء تام في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧١ حين قال: «إننا نعتبر الولايات المتحدة هي المسؤول الأول عن اسرائيل، ان سيل الاموال الذي يتدفق في الاقتصاد الاسرائيلي المشدود بأكثر مما يحتمل، يجيء كله من الولايات المتحدة. ان السلاح الذي تمسك به اسرائيل يجيء الآن كله من الولايات المتحدة. . إن اسرائيل لم تكن لتقدر على الحركة عسكرياً لولا مساعدة الولايات المتحدة، كما انها لم تكن لتقدر على الحركة سياسياً بالمناورة وبالخداع . . . الا بتواطؤ امريكي»(٢).

كانت أهم سمات هذه العلاقة بالنسبة للسادات الدور الممكن الذي تستطيع أن تلعبه الولايات المتحدة في أية تسوية سلمية للنزاع بسبب نفوذها على إسرائيل(٣). لذلك كان من الطبيعي بالنسبة له أن يعتبر الولايات المتحدة مفتاح السلام في النزاع العربي ـ الاسرائيلي «لأنها الدولة الوحيدة التي يمكنها ان تتوصل الى نتيجة مع إسرائيل»(٤). وهكذا اقتنع السادات كل الاقتناع بأنه لا يمكن التوصل إلى أي حل للنزاع، من دون مشاركة فعالة من الولايات المتحدة في عملية السلام.

ومن جهة أخرى، كان السادات يرى في الولايات المتحدة زعيمة للعالم الغربي المتحضر، وهي بامكانياتها الواسعة «يحدوها الواجب، بل وينتظر منها بصورة طبيعية، أن

---

(٢) خطاب السادات في ١١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧١. جميع خطب ومقابلات السادات التي سيرد ذكرها هي في: خطب ومقابلات الرئيس السادات، إلا اذا ذكر مصدر آخر.

(٣) Anwar el - Sadat, *In Search of Identity: An Autobiography* (New York: Harper and Row, 1978), p. 304.

(٤) Sadat's interview with Arnaud De Borchgrave, in: *Newsweek* (6 December 1971).

تساعد جميع الذين يبتغون مستقبلاً أفضل على حدٍ سواء»(٥). وقد يبدو من المستغرب ان يكون لدى السادات مثل هذا التصور الإيجابي للولايات المتحدة ولدورها في المنطقة على الرغم من رؤيته السابقة لها كحليف لعدوه. إلا ان هناك تأويلات متعددة لهذا التصور الإيجابي:

فرأي السادات هذا، بالنسبة للبعض، هو ظاهرة طبيعية. فهو، ليس سوى عميل امريكي يقوم بدور معين قررته له الولايات المتحدة. والبرهان القاطع الذي يدلي به دعاة هذه الحجة هو تقرير جريدة «واشنطن بوست» عن زعماء العالم الثالث المأجورين من وكالة الاستخبارات الأمريكية. فقد كان اسم السادات من بين أولئك العملاء للوكالة؛ وقد قيل إن الذي جنده هو كمال أدهم، رئيس الاستخبارات السعودية وصهر الملك فيصل، في عام ١٩٥٨(٦).

أما بالنسبة للبعض الآخر، فإن الصورة الايجابية التي يحملها السادات عن الولايات المتحدة، ما هي إلا نتيجة إعجابه بالنظام السياسي الأمريكي. ويرجع مايكل ستيرنر هذا الاعجاب إلى زيارة السادات عام ١٩٦٥ للولايات المتحدة، حين اطّلع السادات، عن كثب ولأول مرة، على المؤسسات السياسية الأمريكية، ولاحظ عمل نظامها في واقع الحياة(٧). لذلك كان من الطبيعي بالنسبة لدعاة هذا الرأي، أن يروا السادات، رئيس الجمهورية، وهو يتطلع الى الولايات المتحدة كزعيمة للحضارة الغربية.

وفي رأيي، ان التفسير الثاني يعتبر أكثر مدعاة للقبول، ليس فقط بسبب الافتقار الى دليل يثبت التفسير الأول، بل لأنه ايضاً أكثر انسجاماً مع صورة السادات الذاتية عن نفسه كشخص غربي الهوى (Western - Oriented) يرى حضارة مصر وهي تمتد نحو الغرب أكثر مما تمتد نحو الوطن العربي. لذلك كان من المنطقي بالنسبة له أن يحاول مماهاة نفسه مع الولايات المتحدة كزعيمة للعالم الغربي المتحضر.

وعلى الرغم من ان تصريحات السادات تكشف بصفة عامة هذه الصورة الإيجابية للولايات المتحدة، إلا انه في خطبه التي ألقاها في السنتين ١٩٧٢ و١٩٧٣ أخذ يحيد عن هذا النمط العام، فيرسم صورة للولايات المتحدة تقترب من صورة العدو. ففي خطابه في ٢٥ كانون الثاني/يناير ١٩٧٢ ساوى السادات بين الولايات المتحدة وإسرائيل كعدوين رئيسيين لمصر، فقد قال في ذلك الخطاب: «حين أقول

(٥) Sadat's interview with Subzberger, in: *New York Times* (13 December 1971).

(٦) *Washington Post* (24 February 1977).

(٧) مقابلة مع م. ستاين، مدير القسم المصري في وزارة الخارجية الأمريكية.

أعداءنا فأنا أعني عدوين اثنين: امريكا أولاً وبالدرجة الأولى، ثم إسرائيل»[٨].

ولا يمكن، في رأيي، أن يعزى هذا التذبذب الى عدم الاتساق أو الانسجام (Inconsistency) في الصورة التي كونها السادات عن الولايات المتحدة، بل أقول إن ذلك كان انعكاساً لإحباطه المتزايد بسبب عدم استجابة الولايات المتحدة الى مبادراته المتعاقبة، والتي حاول من خلالها أن يجذب اهتمام أمريكا إلى الظروف السياسية الجديدة في مصر، وذلك ابتداءً من مبادرة شباط/فبراير الى فشل مفاوضات كيسنجر ـ حافظ اسماعيل في شباط/فبراير ١٩٧٣، والتي اتضح منها للسادات أن الولايات المتحدة كانت مصرّة على معاملة مصر كقطر مهزوم.

أما فيما يتعلق بالاتحاد السوفياتي، فتبين تصريحات السادات العلنية صورة، إيجابية عن السوفيات حتى أيار/مايو ١٩٧٢، حين كان ينظر الى السوفيات كحليف رئيسي لمصر، أو كما قال هو شخصياً في نيسان/ابريل ١٩٧٢: «لم يوافق أحد على دعمنا سياسياً واقتصادياً وعسكرياً إلا الاتحاد السوفياتي، ولم يعطني أحد أي شيء إلا الاتحاد السوفياتي»[٩]. وقد عظّم السادات من دوافع السوفيات ومواقفهم من مصر، ووصفها بأنها دوافع شريفة ومواقف مؤيدة فقال: «لن ينسى التاريخ ولن تنسى الأجيال القادمة الموقف المشرف الذي وقفه السوفيات من قضيتنا»[١٠].

إلّا أنه ما لبث أن طرأ على هذه الصورة الإيجابية تغير جوهري بعد أيار/مايو ١٩٧٢. فقد بدأت صورة جديدة عن الاتحاد السوفياتي، كحليف لا يعتد به ولا جدوى منه، بالظهور في تصريحاته العلنية. وأفصح السادات في آب/اغسطس ١٩٧٢ عن ملامح هذه الصورة الجديدة قائلاً: «منذ أن اعتليت سدة الرئاسة، قابلت الزعماء السوفيات في أربع مناسبات. وقد اتضح لي أننا نختلف كثيراً في تقويمنا للموقف، وفي عدم فهمهم للعقل المصري وفي قضية تزويدنا بالسلاح»[١١]. بل إنه ذهب إلى أبعد من هذا الحد، فصرح في تشرين الأول/اكتوبر ١٩٧٢ قائلاً: «إن الروس قد اصبحوا عبئاً على مصر»[١٢].

وتغيّر تصور السادات للقدرة السوفياتية تغيراً كبيراً كذلك. فقد تحول من وصف الاتحاد السوفياتي «بأنه دولة عظيمة لها سياستها واستراتيجيتها الدوليتان»[١٣]، الى تصوره له كدولة غير مستعدة لمعاونته، وليس هذا فقط، بل الى اعتباره كذلك غير قادر على

---

(٨) خطاب السادات في ٢٥ كانون الثاني/يناير ١٩٧٢.

(٩) لقاء السادات بأعضاء اللجنة المركزية في الاتحاد الاشتراكي العربي، في ٢٤ نيسان/ابريل ١٩٧٢.

(١٠) خطاب السادات في ٣ آذار/مارس ١٩٧١.

(١١) Sadat's interview with *Le Figaro* (21 August 1972).

(١٢) مقابلة السادات مع مجلة الحوادث في ٦ تشرين الاول/اكتوبر ١٩٧٢.

(١٣) مقابلة السادات في ١٤ أيار/مايو ١٩٧٢.

القيام بذلك من جراء افتقاره لقدرة التأثير في اسرائيل. ومن هنا وصف الاتحاد السوفياتي بأنه «دولة لم تجعلنا نشعر قط أن هناك منافع من وجود علاقات معها، ذلك أن الروس لا علاقات لهم عملياً مع أي أحد»[١٤].

كذلك تغيّر تصور السادات لدوافع السوفيات، التي وصفت فيما مضى بأنها قائمة على الشرف وعلى دعم القضايا العادلة، الى شيء آخر يصوّر السوفيات كعدوانيين ذوي اطماع توسعية: «لقد ظن السوفيات في وقتٍ ما أن مصر في جيبهم حتى اعتقد العالم أن الاتحاد السوفياتي هو وصيّ علينا»[١٥].

وكان السادات ميالاً كذلك الى الاعتقاد في وجود رغبة لدى السوفيات في إحراجه، وهي تتمثل في عدم استعدادهم لتلبية طلباته بشأن السلاح، وفي عدم استعدادهم لتأييده في قراره جعل سنة ١٩٧١ سنة حسم. لذا، وبالرجوع الى الوراء، فإنّا نجد السادات يميل الى الاعتقاد بأن الروس لم يمدوا له يد العون في عام ١٩٧١، ليس بسبب انهماكهم في الحرب الهندية - الباكستانية، كما كان يشير سابقاً، بل بسبب نيتهم في إحراجه. والأسئلة التي تحيّر الباحث هي: أيّ التصريحات العلنية تمثل تصور السادات الحقيقي للسوفيات؟ هل هي التي أدلى بها قبل أيار/مايو ١٩٧٢، أم تلك التي أدلى بها بعد هذا التاريخ؟ واذا كانت هذه التصريحات جميعها تعكس حقاً تصورات السادات عن السوفيات، فالسؤال يصبح: لماذا حدث هذا التغيير المفاجىء في الصورة؟

للإجابة عن هذه الاسئلة، يمكن القول ان التتبع المتأني لمسار العلاقات السوفياتية - المصرية، منذ تولّي السادات السلطة وحتى سنة ١٩٧٣، لم يكشف عن أية تغييرات جوهرية حدثت في شكل تلك العلاقات او مضمونها. ولما كان من غير الممكن ان تجسد تصريحات السادات بمجموعتيها، وفي نفس الوقت، رؤيته الحقيقية للسوفيات، فإني أميل الى الاعتقاد بان مجموعة تصريحاته التي تلت أيار/مايو ١٩٧٢ تعتبر أكثر تمثيلاً لرؤيته للسوفيات. وفيما يلي بعض النقاط التي يمكن ان تدعم صحة مقولتي السابقة:

١ - كانت أعمال السادات، وهو يتكلم إيجابياً عن السوفيات، تتناقض تناقضاً واضحاً مع خطبه، وهذه سمة تقليدية في أسلوبه. فقد قام، أولاً، بضرب الناصريين في أيار/مايو ١٩٧١. ثم جاء، ثانياً، دوره المعروف في القضاء على الانقلاب الشيوعي في السودان في تموز/يوليو ١٩٧١. وقد كشف لي عبدالسلام الزيات، أن

---

(١٤) el - Sadat, *In Search of Identity: An Autobiography*, p. 207.
(١٥) المصدر نفسه، ص ٢٣١.

السوفيات طلبوا من السادات، بعد استرداد النميري للسلطة في السودان، ان يستخدم صداقته معه لإنقاذ حياة الشفيع الشيخ، زعيم نقابات العمال السودانية، والذي حكم عليه بالاعدام. فلما أخبر النميري السادات بأن هذا الحكم قد نفذ فيه، امتدحه وطلب إليه أن ينفذ كذلك حكم الاعدام في عبدالخالق المحجوب، زعيم الحزب الشيوعي السوداني. ويقول الزيات إن الروس سجلوا هذه المكالمة التلفونية. وقد أقرّ السادات، في مذكراته التي كتبها فيما بعد، أن موقفه إزاء الانقلاب الشيوعي في السودان قد وسّع الهوّة بينه وبين السوفيات[16].

٢ ـ إن عدم ثقة السادات بالسوفيات، ونفوره منهم شخصياً، هو عامل آخر لا ينسجم مع الصورة الإيجابية التي كان يحاول أن يرسمها لهم خلال سني رئاسته الأولى. وقد ألمح السادات الى عدم الثقة هذا في أيار/مايو ١٩٧٢ قائلاً: «منذ أن اصبحت رئيساً للجمهورية لم يمر عليّ يوم إلا ويحدث نزاع ما مع الروس. إنهم لم يثقوا بي قط. وقالوا إنني مؤيد للامريكان، وأقنعوا علي صبري بأنني أبيع مصر للأمريكان»[17]. (التشديد مضاف).

وقد استمر عدم الثقة المتبادلة بين السادات والسوفيات حتى بعد أن نجح السادات في تثبيت سلطته، ووقّع معاهدة صداقة معهم. وقد أوضح السادات ذلك كما يلي: «إن صورتي في الولايات المتحدة، حتى بعد عقد معاهدة الصداقة السوفياتية، أخذت تكتسب أبعاداً جديدة، وصاروا يعرفونني هناك على نحو أفضل، صارت شخصيتي الحقيقية مفهومة على نحو أفضل. ولم يكن الأمر هكذا مع أصدقائنا السوفيات الذين ظلوا، منذ البداية ومهما كانت الظروف، وبالرغم من المعاهدة التي عقدناها، ظلوا يتصرفون بطريقتهم المعتادة الخشنة، بل وحتى الفظة، والتي لم تكن تدل على أي فهم للواقع أو حتى على محاولة بسيطة لفهمه»[18]. (التشديد مضاف).

٣ ـ أيدت أكثرية المقابلات التي أجريتها مع كبار المسؤولين المصريين الذين كانوا في السلطة خلال الفترة التي هي موضوع الدراسة، أن السادات لم يكن قط يحمل شعوراً ودياً صادقاً نحو السوفيات.

٤ ـ إن السادات نفسه، في تدوينه لتاريخ السنين الأولى من رئاسته، يرسم صورة للسوفيات تتعارض مع الصورة التي يمكن استخلاصها من خطبه خلال تلك الحقبة. وقد قدمنا نموذجاً من مذكراته آنفاً.

---

(١٦) المصدر نفسه، ص ٢٢٦.
(١٧) Sadat's interview with Arnaud De Borchgrave, in: *Newsweek* (7 August 1972).
(١٨) el - Sadat, *In Search of Identity: An Autobiography*, p. 284.

يمكن القول إن السادات، سواء في تصريحاته أم سلوكه إزاء السوفيات، كان متأثراً بمجموعة من العوامل الداخلية والخارجية السائدة وقتئذ:

العوامل الداخلية

بعد أن خلف السادات عبدالناصر، لم يكن أمامه إلا الاعلان عن الاستمرار في سياسة سلفه، والتي كان من سماتها علاقات الصداقة مع السوفيات. كذلك كان من الضروري له ألا يظهر أي موقف عدائي نحوهم وهو يسعى لتعزيز سلطته، لا سيما إذا تطلب هذا التعزيز أن يضرب أولئك الذين يوصفون بأنهم حلفاء السوفيات في هذه المنطقة (الناصريون). وهكذا فإن رغبة السادات في عدم معاداة السوفيات، أثناء تعزيزه لسلطته، كانت سبباً في تعيينه لبعض الوزراء الماركسيين في الحكومة، وهو ما يعد أمراً لا سابق له في تاريخ مصر. يضاف الى كل هذا أن احتياجات مصر العسكرية والسياسية، والتي كانت تلبى أساساً من السوفيات حتى ذلك الحين، جعلت من الضروري استمرار التقرب منهم، على الأقل حتى يمكن إيجاد مصدر بديل أكثر ملاءمة.

العوامل الخارجية

إن فشل السادات في محاولاته المستميتة لجذب انتباه الولايات المتحدة، الطرف الذي يرى أنه يملك مفاتيح حلّ للصراع العربي ـ الاسرائيلي، حتمت عليه التقارب مع السوفيات، قولاً وفعلاً. فهو كما قال أحد المسؤولين السابقين: «كلما اصطدم بعدم الاستجابة من الولايات المتحدة تراجع واتخذ خطوة أخرى نحو السوفيات»(١٩).

ويمكن القول ان تقرب السادات من السوفيات، خلال السنين الأولى من السبعينات، كان ناشئاً عن ضرورة أكثر مما هو عن خيار سياسي أساسي. لذلك لم يكن عمله من سبيل المصادفات، حين طرد المستشارين الروس، واستأنف تصريحاته العدائية نحو السوفيات، بعد أن تمكن من توطيد علاقته مع الأنظمة العربية المحافظة، وبخاصة مع العربية السعودية، والتي كان يرى فيها جسراً يوصله الى الولايات المتحدة.

ولتبرير هذا السبيل العدائي الجديد نحو السوفيات، استغل السادات السياسة السوفياتية إزاء الولايات المتحدة، كما تبلورت في الوفاق، وتأخير وصول شحنات الاسلحة السوفياتية إلى مصر، كذريعة لتبرير سياسته الجديدة.

---

(١٩) مقابلة مع عبدالسلام الزيات.

وعلى الصعيد الإقليمي، رأى السادات في إسرائيل عدواً شرساً يقيم سياسته على التوسع الإقليمي واغتصاب أراضي شعب آخر. وكان إصرار إسرائيل على المفاوضات المباشرة مع العرب، يعبّر من وجهة نظر السادات، ليس فقط عن عدم اهتمام اسرائيل بأية تسوية سلمية للنزاع، بل ويعكس كذلك رغبة اسرائيل في خلق أمر واقع (Fait Accompli) في موضوع احتلالها الأراضي العربية، فإسرائيل بصفة عامة هي سبب الجمود (Stalemate) في الموقف القائم[20].

لقد كانت دوافع اسرائيل التوسعية والعدوانية هي السمة السائدة في رؤية السادات لاسرائيل خلال الفترة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٣. فقد أشار السادات، مثلاً، في تشرين الأول/اكتوبر ١٩٧١ الى ان رفض اسرائيل الانسحاب من الأراضي المحتلة، ما هو إلا نتيجة لرغبتها في جعل الحدود الجديدة واقعاً قائماً[21]. ورأى السادات في كل هذا خطوة أولى من جانب إسرائيل «لفرض إرادتها ومحاولة تحطيم إرادة جيرانها وإرهابهم، وذلك لغرض تثبيت زعامتها للشرق الأوسط»[22].

إن عناصر القوة الإسرائيلية مستمدة أساساً من دعم الولايات المتحدة التي تساعدها اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً. وتتمتع إسرائيل بهذا الدعم، في رأي السادات، لأنها أقنعت الولايات المتحدة بأن في وسعها خدمة المصالح الأمريكية في المنطقة. قال السادات: «إن الولايات المتحدة تنظر الى اسرائيل كأداة تنفيذ مصالحها في المنطقة، وكان هذا هو المصدر لقوة اسرائيل إزاء الولايات المتحدة»[23].

كذلك رأى السادات في تأثير السياسات الداخلية الأمريكية، كاللوبي الصهيوني في الكونغرس، في صياغة سياسة الولايات المتحدة في المنطقة، عاملاً مهماً في التأييد الأمريكي لإسرائيل. على أن هذا العامل يضعف في الأهمية إذا قورن بمركزية دور اسرائيل في خدمة المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط كعامل رئيسي في العلاقة الأمريكية ـ الاسرائيلية، وفي التأييد الأمريكي المطلق لاسرائيل.

إن انتصار اسرائيل العسكري في عام ١٩٦٧، والهزيمة المهينة التي لحقت بالأقطار العربية الثلاثة، أديا باسرائيل، في نظر السادات، الى المبالغة في تقدير إمكانيتها الى درجة ظلت معها «تقول للعالم ان اسرائيل لا تغلب ولا تقهر وانها تتمتع بالتفوق في المنطقة»[24]. لذا فإن الغرور يتملك اسرائيل فيما يرى، حتى ان غرورها بلغ حد التفاخر.

---

(٢٠) el - Sadat, Ibid., pp. 303 - 327.

(٢١) خطاب السادات في ٩ تشرين الأول/اكتوبر ١٩٧١.

(٢٢) خطاب السادات في تشرين الأول/اكتوبر ١٩٧٢.

(٢٣) خطاب السادات في ١١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧١.

(٢٤) خطاب السادات في ٣٠ كانون الثاني/يناير ١٩٧٢.

ومع أن إسرائيل أحرزت نصراً عسكرياً في حزيران/يونيو ١٩٦٧، فقد كان السادات يعتقد أنها فشلت في دحر إرادة الأمة العربية(٢٥). وعلى الرغم من ان السادات كان يحمل في ذهنه الصورة ذاتها عن إسرائيل، والتي حملها العرب قبل عام ١٩٦٧، كدولة معتدية تسعى لإقامة دولة صهيونية تمتد من النيل الى الفرات، فانه لم يشارك العرب الاعتقاد بأن تدمير اسرائيل هو الحل الرئيسي، أو الوحيد، للنزاع في المنطقة. لقد كان يعتقد بدلاً من ذلك بأن استخدام الدبلوماسية يمكن أن يفضي الى وضع اسرائيل في حجمها الطبيعي؛ إذ يمكن للولايات المتحدة أن تضغط على ربيبتها اسرائيل وتلزمها بالانسحاب من الأراضي المحتلة، كما جرى في عام ١٩٥٦. وعند تحقيق هذا الغرض، فإن السادات «لن ينكر على اسرائيل حقها بالاعتراف بها من جميع أقطار المنطقة»(٢٦).

وفيما يتعلق برؤية السادات للعرب، نجد انه انسجاماً مع رؤيته لذاته كزعيم «متحضر، غربيّ الاتجاه»، لم يجد حاجة الى الصراع على زعامة العرب، لذا لم يكن لديه سبب للتمييز بين الأقطار العربية على أساس انظمتها، سواءً منها التقدمية والرجعية، أو الجمهورية والملكية.

كان السادات يحتقر أغلب الزعماء العرب، فينظر اليهم كزعماء قاصرين، خائنين، لا يوثق بهم، وهم لا يفون بالتزاماتهم(٢٧). قال السادات، مثلاً، في إحدى خطبه يصف الملك حسين، عاهل الاردن، بالكلمات التالية: «إن الملك حسين يراوغ ويخادع - إني لن أثق به قط. ولا أريد ان اوصفه بالوصف اللي يستحقه، انا لساني أعفّ من ان اقول هذا الوصف لكنني أود أن أقول أمامكم ان حسيناً لن يزيد على حجمه»(٢٨). ولم يكن رأي السادات بزعماء عرب آخرين ليختلف عن رأيه بالملك حسين(٢٩).

إن المؤشرات أو الدلالات على شعور السادات المضاد للعرب يمكن ارجاعها الى مبادرته السلمية التي أعلنها في شباط/فبراير ١٩٧١، فقد كانت مليئة بالملاحظات السلبية والتهجم على الأقطار العربية بسبب عدم مساعدتها لمصر، وشكّها في قدرة مصر على الحرب. وقد كرر السادات في آب/اغسطس ١٩٧١ تحامله على الموقف الذي تتخذه شتى الأقطار العربية إزاء مصر فقال: «إن بعض أشقائنا العرب، سامحهم الله،

---

(٢٥) المصدر نفسه.

(٢٦) el - Sadat, *In Search of Identity: An Autobiography*, p. 297.

(٢٧) Saadeldine el - Shazly, *The Crossing of Suez: The October War 1973* (London: Third World Center for Research and Publishing, 1980), pp. 130 - 146.

(٢٨) خطاب السادات في ٢٣ تموز/يوليو ١٩٧١.

(٢٩) لمزيد من التفاصيل عن رأي السادات بالزعماء العرب، انظر: el - Shazly, Ibid.

يجادلوننا من مسافة تبعد الاف الكيلومترات عن الجبهة، ولكن يجادلوننا بالألفاظ فقط»[٣٠].

والواقع ان العرب، وهم مصدر التمويل الرئيسي لمصر، كادوا يفقدون ثقتهم بقدرة مصر على القتال ونيتها فيه. لذلك فإن العرب، على حد تعبير هيكل في عام ١٩٧٥ «لن يقدموا لمصر مليماً آخر ما لم يحدث تحرك ما»[٣١]. وإقراراً بهذه الحقيقة ذكر السادات نفسه في أيلول/سبتمبر ١٩٧٣ قائلاً: «إني لا أستطيع أن أطلب من العرب أن يدفعوا دولاراً واحداً بعد الآن؛ فهم يقولون إنهم كانوا يدفعون لنا المساعدة عوضاً عن خسارتنا من رسوم القناة رغم أننا لم، أو لن، نقاتل»[٣٢]. ولقد أمست مهادنة تلك الأنظمة العربية مسألة عاجلة بنظر السادات. بل كان السادات، على الرغم من الصورة السلبية التي يحملها عن العرب، مدركاً تماماً فائدتهم كحلفاء له يمكن توجيههم لتحقيق أغراض مصر.

لقد كان ينظر الى الأقطار المحافظة المنتجة للنفط على أنها ذات أهمية كبيرة لمصر، بسبب علاقاتها الوثيقة مع الولايات المتحدة، ومساعدتها المالية المحتملة لمصر. لذلك أخذ التقارب المصري ـ السعودي، والتنسيق بين القطرين بالتزايد الى درجة أصبحت معها زيارات كمال أدهم، صهر الملك فيصل ومستشاره، الى مصر تتم أسبوعياً. والواقع ان علاقة السادات بكمال أدهم كانت غامضة. ويختلف تفسير التأثير الذي كان لكمال أدهم في سياسة السادات، فمن قائلٍ إنها علاقة بين عميلين (ألم يجند كمال أدهم السادات، كما يقول أصحاب هذا التفسير، لخدمة وكالة المخابرات الأمريكية منذ عام ١٩٥٨؟)، ومن قائلٍ إنها علاقة بين السادات وبين رسول موثوق به جداً. أما رأيي الخاص، فسواء أكانت العلاقة محض شخصية، أم كان كمال أدهم مجرد رمز للدور المتصاعد للسعودية في السياسة المصرية، تظل الحقيقة التي مفادها أن السادات كان يعتبر العلاقة المصرية ـ السعودية جزءاً من ملكوته الخاص. ولم تكن رحلات السادات المتكررة للسعودية ودول الخليج سوى وسيلة لرد تلك الزيارات الرسمية المتكررة التي كان يقوم بها مسؤولو تلك الدول لمصر.

وكان السادات يرحب أيضاً بصداقة الأنظمة العربية الراديكالية، أو التقدمية، ما دامت تسهم في قدرة مصر، ولا تفرض آراءها الراديكالية عليها. وكانت رؤية السادات هذه هي السبب الرئيسي الذي دفعه وجعله يؤيد مشروع الوحدة بين ليبيا ومصر. وقد عبّر السادات عن هذا في آب/اغسطس ١٩٧٢ إذ قال:

«ستسهم ليبيا كثيراً، وخاصة في المجالات الاقتصادية والمالية الخاصة بمصر ـ كما أنها ستؤدي

---

(٣٠) خطاب السادات في ٣٠ آب/اغسطس ١٩٧١.

(٣١) Mohammed Hasanayn Heikal, *The Road to Ramadan* (London: Collins; New York: Quadrangle; New York Times Book Co., 1975).

(٣٢) el - Sadat, *In Search of Identity: An Autobiography*, p. 245.

الى زيادة في رقعة الأرض مما سيحول الدولتين معاً الى قطر ضخم، يسيطر على أطول ساحل في البحر المتوسط، وعلى برٍ شاسع يحتمل ان يجعل من مصر دولة لا تغلب عسكرياً»[٣٣].

كذلك رأى السادات في الاتحاد الفيدرالي للجمهوريات العربية (سوريا ومصر وليبيا) «مصدراً للقوة»، و«دولة تضم نصف الشعب العربي، وتحوي من منابع الثروة ومصادرها ما قد يمكنها من تولي زمام القيادة»[٣٤]. هذا إضافة الى ان الاتحاد سيرفع من شأن السادات دولياً كزعيم لثلاثة أقطار عربية.

ثانياً: أهداف السادات واستراتيجيته

اتضح للسادات من تحديده للموقف وتشخيصه له:

(١) أن هناك اتجاهاً عاماً لدى جميع الاطراف إلى اعتبار مصر دولة مهزومة.

(٢) وأن إسرائيل تتخذ موقفاً متعنتاً لا يقبل المساومة، معتقدةً أن حدودها آمنة مصونة، وأن جيشها لا يغلب.

(٣) وأن الدول العظمى «تغفل أزمة الشرق الأوسط وتؤجلها»، ولا تبدي استعداداً لكسر حالة الجمود الناشئة عن اللاحرب واللاسلم، وقد أضحت أولويتها الأساسية هي المحافظة على الوفاق.

(٤) ويضاف الى كل هذا تدهور الاقتصاد المصري بالشكل الذي صوره السادات لمجلس الأمن القومي المصري، إذ قال: «أريد أن اخبركم بأن اقتصادنا قد سقط الى ما تحت الصفر. إن لدينا التزامات (للمصارف وغيرها) يجب أن نفي بها في نهاية السنة ولكننا لا نستطيع الوفاء. وفي خلال شهر واحد لن يكون لدينا ما يكفي من الخبز»[٣٥]. كان من الواضح للسادات أيضاً ان الأقطار العربية لم تعد مستعدة لسداد فواتيره، طالما استمر الجمود في المنطقة. لذا كان هدف السادات الرئيسي هو تحريك الموقف، وعكس الاتجاهات أو العناصر السلبية فيه.

ولم يكن تحريك هذا الموقف ليعني بالنسبة للسادات سوى شن الحرب. وكما أوضح السادات الأمر في عام ١٩٧٣ عندما قال: «إذا لم نأخذ قضيتنا في أيدينا فلن يحدث أي تحرك. إن كل باب فتحته قد أُغلق في وجهي بواسطة إسرائيل وبمباركة أمريكية، والوضع ميئوس منه. وقد آن الأوان لاحداث صدمة، إن كل شيء قد عبّيء الآن لاستئناف المعركة، فهي الآن لا

---

(٣٣) Sadat's interviews with Radio Luxembourg, 20 August 1972.

(٣٤) خطاب السادات في ١ ايلول/سبتمبر ١٩٧٢.

(٣٥) el - Sadat, *In Search of Identity: An Autobiography*, p. 245.

مناص منها»[٣٦]. وهكذا فإن قرار الحرب سيصحّح، بنظر السادات، جميع تلك الاتجاهات السلبية. «إن أول ما سيزول هو المهانة التي لحقت بنا والتي تحملنا أذاها منذ هزيمة ١٩٦٧، ذلك أن العبور الى سيناء والاحتفاظ بأية أرض نستعيدها سيحيي في نفوسنا الثقة»[٣٧]. إن الحرب ستجذب انتباه الدول العظمى بالتأكيد، فتبحث عندئذٍ بشكل جدي عن حل للمشكلة. وأخيراً وليس آخراً، ستحسن الحرب من الموقف التفاوضي المصري في أية مفاوضات قادمة.

وفي الختام، يمكن القول إن السادات رأى في الحرب جزءاً مكملاً للدبلوماسية، إنها ليست نهاية الدبلوماسية بل هي عنصر من عناصرها، وجزء من سلسلة التحركات السياسية الهادفة الى تحسين الموقف التفاوضي المصري.

بعد ان بيّنا تحديد السادات للموقف، وعرضنا أهدافه، سنقوم الآن بتحليل استراتيجيته على أساس ما لديه من عناصر قوة. وإذا استخدمنا منظومة عناصر الموقف التفاوضي التي وضعها رتشارد كوتام، واتخذناها منهاجاً، فإنه يمكننا إجمال الموقف التفاوضي المصري إزاء اسرائيل عند نهاية حرب تشرين الأول/اكتوبر كما يلي:

العناصر الفاعلة

١ ـ القدرة على اللجوء الى الحرب.
٢ ـ الاستعداد لتغيير نمط العلاقات.
٣ ـ القدرة على التأثير في سياسات طرف ثالث.
٤ ـ القدرة على فرض عقوبات اقتصادية (النفط).

العناصر الكامنة

١ ـ ادراك امكانية اشراك الدول العظمى في الصراع.
٢ ـ ادراك علاقة اعتماد متبادل.
٣ ـ ادراك امكانية حدوث تغييرات محتملة في توازن القوى.
٤ ـ ادراك امكانية احداث عدم استقرار سياسي واقتصادي.
٥ ـ ادراك وجود اتجاهات عامة ايجابية أو سلبية.

---

(٣٦) Sadat's interview with Arnaud De Borchgrave, in: *Newsweek* (9 April 1973), p. 21.
(٣٧) el - Sadat, Ibid., p. 244.

ثالثاً: العناصر الفاعلة

١ - القدرة على اللجوء الى الحرب

كانت قدرة مصر على اللجوء الى القتال قبل حرب تشرين الأول/اكتوبر تعتبر قدرة ضعيفة لعدة أسباب: (أ) اداء مصر العسكري في حرب حزيران/يونيو ١٩٦٧، وانهزامها بشكل حاسم امام اسرائيل، في مدة ست ساعات فقط، اعطى انطباعاً ان مصر دولة مهزومة غير قادرة على القتال. وكانت وجهة النظر السائدة تفيد بأن تفوق اسرائيل العسكري سيثبط أية محاولة عسكرية تقوم بها مصر لاسترداد أراضيها المحتلة. (ب) منذ تسّلم السادات السلطة، جرت تغييرات عديدة في القيادة العسكرية. جرى التغيير الأول بعد أيار/مايو ١٩٧١ عندما حوكم محمد فوزي وزير الحربية، وحدث الثاني في عام ١٩٧٢ عندما عزل الفريق صادق وزير الحربية الجديد مع مجموعة من كبار الضباط. ولقد نُظر الى عدم الاستقرار في القيادة العسكرية هذا كمؤشر يدلّ على عدم قدرة مصر على تركيز كل جهودها للجوء الى الحرب. (ج) فقدت مصر مصداقيتها بسبب وعود السادات المتكررة باللجوء الى الحرب والتي لم تتحقق، كوعده بجعل سنة ١٩٧١ «سنة الحسم»، أو وعده في ذكرى المولد النبوي الشريف الذي احتفل به في ٢٥ نيسان/ابريل ١٩٧١ بتحرير الأراضي المحتلة بحلول الذكرى القادمة، (د) وجاء قرار السادات بطرد المستشارين السوفيات من مصر ليعتبر على نطاق واسع كمؤشر آخر يدلّ على عدم قدرة مصر على اللجوء الى الحرب.

وكان لجوء السادات الى الحرب في ٦ تشرين الأول/اكتوبر ١٩٧٣، نقطة تحول مهمة عكست الاعتقاد السابق بضعف هذه الأداة. وقد فاجأت حرب تشرين الاول/اكتوبر العالم، ليس فقط لأن أحداً لم يكن يتوقع من العرب أن يقاتلوا، بل لأن أداء الجيوش العربية، ولا سيما في الأيام التسعة الأولى، قد بلغ من النجاح ما يفوق كل التصور[٣٨].

كانت الحرب الخطوة الأخيرة في سلسلة من التحركات السياسية قامت بها مصر لجذب انتباه الدول العظمى، لا سيما الولايات المتحدة، الى ضرورة التوصل الى حلٍ للنزاع. وكان الهدف من الحرب بالنسبة للسادات هو تحقيق أغراض سياسية أكثر منها عسكرية. لقد كانت أشبه بالهجوم المحدود، لفتح الطريق أمام الوسائل السياسية،

---

(٣٨) للاطلاع على تفاصيل الحرب، انظر:
Insight Team of the London Sunday Times, *The Yom Kippur War* (New York: Doubleday, 1974), and Heikal, *The Road to Ramadan*.

منها بالحرب الشاملة التي تهدف الى تحرير الأراضي المحتلة. وعلى حد تعبير السادات:
«كنت أقول لعبد الناصر دائماً اننا إذا استطعنا الاستيلاء حتى على أربع بوصات من أراضي سيناء (وكنت أعني بذلك بكل بساطة مجرد موطىء قدم) ثم نثبّت أنفسنا فيها بدرجة من القوة بحيث لا تستطيع قوة على الأرض ان تزيحنا عنها، عندئذٍ سيتغير الوضع بأسره، شرقاً وغرباً وفي كل مكان»(٣٩).

لخّص السادات، في أمره الاستراتيجي المؤرخ في ٥ تشرين الأول/اكتوبر ١٩٧٣، والموجه الى رئيس أركان القوات المسلحة، ببدء «المعركة»، لخص الهدف الاستراتيجي بما يلي: (أ) إنهاء الجمود العسكري الحالي بنقض «وقف إطلاق النار» اعتباراً من ٦ تشرين الاول/اكتوبر ١٩٧٣. (ب) إيقاع أفدح الخسائر الممكنة بالعدو في أفراده وأسلحته ومعداته. (ج) العمل على تحرير الأرض المحتلة بمراحل متعاقبة وفق نمو قدرات وإمكانات القوات المسلحة وتطورها(٤٠). ولتحقيق هذه الاهداف كان على السادات أن ينسق عسكرياً مع سوريا ليضمن استمرار القتال على جبهتين في الوقت ذاته.

مع هذا، فإن السادات لم يخبر شركاءه السوريين في الحرب بأهدافه المحدودة. يقول الفريق الشاذلي، رئيس أركان القوات المسلحة المصرية خلال حرب أكتوبر، إنه كان يظن «إذا أدرك السوريون ان خطتنا محدودة بالاستيلاء على خط يقل عن عشرة أميال شرق القنال، فإنهم لن يقفوا الى جانبنا في الحرب»(٤١).

وهكذا، ولإرضاء السوريين، أعدت القيادة العسكرية خطة ثانية، منفصلة عن خطة العبور الأصلية، لغرض تطوير الهجوم العسكري المصري نحو الممرات في سيناء. وكان مفهوماً جيداً لدى القوات المسلحة المصرية أن هذه خطة لن تطبق أبداً إلا «في أحسن الظروف»(٤٢). وعلى الرغم من انه لا يمكن لأحد الطرفين (العرب واسرائيل) ان يدّعي تحقيق نصر عسكري حاسم، إلا انه يمكن القول ان الحرب قد اكسبت مصر قدرة تفاوضية قوية للأسباب الآتية:

١ - أثبتت الحرب، من بين أمور أخرى، قصور النظرية الاسرائيلية في الأمن. فقد حطمت، أولاً، المفهوم الاسرائيلي للحدود الآمنة. فبعدما كانت إسرائيل ترى في حدودها بعد عام ١٩٦٧، والتي تمتد بمحاذاة موانع طبيعية، حدوداً تعصمها من أي

---

(٣٩) el - Sadat, Ibid., p. 244.
(٤٠) المصدر نفسه، ص ٢٧٩.
(٤١) el - Shazly, *The Crossing of Suez: The October War 1973*, p. 36.
(٤٢) المصدر نفسه، ص ٣٧.

هجوم عربي، أثبت عبور قناة السويس عدم عصمة الحدود الاسرائيلية. وأثبتت الحرب، ثانياً، إمكانية التنسيق العسكري السوري ـ المصري الذي أجبر إسرائيل على ان تقاتل على جبهتين في آن واحد، وهذا أمر كانت إسرائيل تتفاداه دائماً. كذلك قوضت الحرب صورة اسرائيل التي لا يستغنى عنها في حماية المصالح الغربية في المنطقة. وكما قال أحد الباحثين: «منذ الحرب انقلب الوضع، فبدلاً من أن تحرس إسرائيل مصالح الغرب، كان لا بد لها هي نفسها من أن تُحرس من أصحاب هذه المصالح»(٤٣). كان مغزى هذه النتيجة مهماً جداً للسادات، لأنه كان يعتقد أن موقف اسرائيل المتعنت والذي لا يقبل المساومة قبل الحرب، يرجع في جانب منه الى شعورها بتفوقها العسكري.

لهذا كان السادات يرجو، باثباته لاسرائيل قابليتها للتعرض للهزيمة العسكرية، أن يتمكن من تغيير موقفها المتعنت نحو الجهود الدبلوماسية، وذلك لأن خطر قيام حرب أخرى سيظل قائماً، إذا لم تستجب إسرائيل لحل وسط. كتب هيكل معلقاً على هذا الرأي المصري يقول: «لم يكن مخططاً لحرب أكتوبر أبداً ان تكون عملاً منفرداً واحداً. كان التهديد بحرب أكتوبر اخرى، إذا لم تحقق الحرب الأولى كل ما نريده، جزءاً من استراتيجيتنا دائماً»(٤٤).

٢ ـ اكتسبت مصر، والعرب عموماً، ثقة بالنفس. وكانت استعادة الثقة بالقدرة على القتال، بعد الهزيمة المهينة في عام ١٩٦٧، نصراً نفسانياً مكّن الزعامة المصرية من الدخول في مفاوضات مع اسرائيل. وقد أفصح السادات عن هذه الثقة في ١٦ تشرين الأول/اكتوبر بقوله: «بصرف النظر عما حدث في الصحراء وقع نصر لا يمكن أن يمحى.. إن الأمة الجريحة قد استعادت شرفها، الخريطة السياسية للشرق الأوسط قد تغيرت»(٤٥).

أما على الجانب الاسرائيلي، فأستطيع القول ان قدرة إسرائيل على اللجوء الى الحرب قد وهنت نتيجةً لحرب تشرين الأول/اكتوبر. وما علينا لتفصيل هذا القول إلا أن نقارن وضع إسرائيل العسكري قبل حرب ١٩٧٣ وبعدها. فعلى سبيل المثال، استمرت اسرائيل قبل حرب تشرين الأول/اكتوبر تتمتع بانتصارها الباهر في حرب حزيران/يونيو ١٩٦٧. ولقد خلق ذلك الانتصار شعوراً إسرائيلياً قوياً بالأمن وبالتفوق إزاء العرب. وأدت سرعة الانتصار في عام ١٩٦٧ وحجمه الى المبالغة بالثقة

---

(٤٣) «The Beginning of the End of Imperialism,» *Race and Class,* vol. 17, no. 3 (1976), p. 259.

(٤٤) Mohammed Hasanayn Heikal, «October War and the New Realities,» *Race and Class,* vol. 17, no. 3 (1976), p. 25.

(٤٥) خطاب السادات في مجلس الشعب، ١٦ تشرين الأول/اكتوبر ١٩٧٣.

لدى إسرائيل بقدراتها العسكرية. وبعبارة أخرى لم تعد اسرائيل تلك الدولة الصغيرة المحاطة بأعداء أقوياء، بل أضحت بدلاً من ذلك دولة المنطقة العظمى. وقد أفصح أريل شارون عن هذا التفوق بقوله في ١٩٧٢: «إن اسرائيل الآن هي دولة عسكرية عظمى. إن أي جيش في أوروبا هو أضعف من جيشنا. ونحن نستطيع ان نكتسح بأسبوع واحد المنطقة الممتدة من الخرطوم الى بغداد والجزائر»(٤٦).

وعلى العكس من هذا، كان المسؤولون الإسرائيليون يقللون من شأن القدرات العسكرية العربية الى حد كبير، على اساس ان إعادة بناء تلك القدرات، وحتى يتمكن العرب من الدخول في حرب ضد اسرائيل، سيتطلب سنين عديدة. وقد قدر الجنرال شارون في ٩ تموز/يوليو ١٩٦٧ أن العرب يحتاجون الى خمس عشرة سنة، على الأقل، لكي يتحرروا من هزيمة عام ١٩٦٧، وأنه واثق كل الثقة ان جيله لن يقاتل في حرب أخرى بعد الآن(٤٧).

والنتيجة الطبيعية لهذا الشعور الإسرائيلي بالتفوق العسكري، هي إيمان المسؤولين الإسرائيليين بأن ما يتصورونه من قوة عسكرية هو رادع قوي ضد أية محاولة من العرب لمهاجمة اسرائيل. ولقد رفع من احساس المجتمع الاسرائيلي بالثقة والأمان ان حدود إسرائيل الجديدة بعد عام ١٩٦٧، اصبحت موازية لموانع طبيعية (قناة السويس ومرتفعات الجولان ونهر الاردن). وعلى سبيل المثال كتب متي جولان معبّراً عن اعتقاد اسرائيل بقوة خط بارليف في ردع الجيش المصري يقول: «كانت حكومة غولدا مئير تظن أن ذلك الخط الحصين هو من القوة بحيث يهزم أي هجوم مصري عبر قناة السويس، أو يوقفه لمدة تكفي لتقدم باقي القوات الاسرائيلية لتدمير العدو. فضلاً عن ذلك فقد كان يفترض ان المصريين يعرفون هذا أيضاً، لذا فانهم لن يجرُؤوا قط على الحركة»(٤٨). والواقع ان نظرية الأمن الاسرائيلية كانت ترى بأن عنصر الوقت هو في صالح اسرائيل، وان العرب لا يستطيعون شن هجوم عسكري. وبالتالي فانه سيكون على العرب في النهاية ان يتفاوضوا، لأن الدول العظمى لن تتدخل عسكرياً لتغيّر الأوضاع في الشرق الأوسط.

كانت حرب الشرق الأوسط مفاجأة مذهلة لإسرائيل. إن أداء العرب في المرحلة الأولى من الحرب، وفشل المخابرات الاسرائيلية بالتحذير من هجوم عربي،

---

(٤٦) نقلاً عن: Insight Team of the London Sunday Times, *The Yom Kippur War*, p. 27.

(٤٧) نقلا عن: Shlomo Aronson, *Conflict and Bargaining in the Middle East: An Israeli Perspective* (Baltimore, Maryland: Johns Hopkins University Press, 1978), pp. 392 - 393.

(٤٨) Matti Golan, *The Secret Conversations of Henry Kissinger: Step by Step Diplomacy in the Middle East*, translated by Ruth Geyra Stern and Sol Stern (New York: Quadrangle, 1976), p. 146.

والمناقشات العامة بين ضباط الجيش بشأن إدارة الحرب، إن هذه الأمور أثارت الشكوك حول مدى استعداد اسرائيل العسكري واستراتيجيتها وتكتيكها. وعلى الرغم من انجازات اسرائيل العسكرية المهمة، من عبور قناة السويس، وتطويق الجيش الثالث، وصدّ السوريين في مرتفعات الجولان، فقد كان من شأن ارتفاع الخسائر بين افراد الجيش الاسرائيلي (قتل ألفان وخمسمائة، وجرح ضعف هذا العدد)[٤٩] ان يعمق الشعور العام بالقلق. وفي خلاصة الأمر، يمكن القول ان صورة إسرائيل، كقوة عسكرية لا تقاوم، قد تبددت، وبالتالي ضعفت قدرتها على استخدام هذا العنصر التفاوضي بفاعلية.

٢ ـ الاستعداد لتغيير نمط العلاقات

أخذ السادات، استناداً الى رؤيته وتصوره للولايات المتحدة ولقدرتها على حل مشاكل الشرق الأوسط، يتصل بها مشيراً إلى استعداده لإقامة علاقات صداقة معها. على أن جهوده لم تصب كثيراً من النجاح قبل عام ١٩٧٣.

كانت الإشارة الأولى في أواخر ١٩٧٠، حين أرسل السادات خطاباً شخصياً الى نيكسون نوّه فيه بإمكانية إقامة علاقات صداقة. وجاءت الإشارة الثانية حين عزل علي صبري، المعروف لدى الأمريكيين بأنه مؤيد للسوفيات، وذلك قبل يومين من زيارة وزير الخارجية الأمريكية الى القاهرة، والتي جرت في الرابع من أيار/مايو ١٩٧١. ومع ان السادات أشار فيما بعد الى أن إقالته لعلي صبري لم يكن لها علاقة بزيارة روجرز، ولكن التصور السائد كان يفيد بأنها مؤشر على استعداده لتغيير نمط العلاقة بين القطرين، وعلى تحويل ولائه من الشرق إلى الغرب. وبعد بضعة ايام من انتهاء زيارة روجرز، اطلق السادات إشارته الثالثة بضربه مجموعة «مايو» في الرابع عشر من أيار/مايو ١٩٧١.

وما ان حل حزيران/يونيو ١٩٧١ حتى أخذ يذاع من مقر إقامة السادات كلام صريح وواضح، يجهر بمهاجمة عهد عبدالناصر، ويشير الى ظهور نظام جديد يختلف كلياً عن نظام عبدالناصر. وأخذ الدبلوماسيون الامريكيون ينتبهون الى هذه

---

(٤٩) لمزيد من التفاصيل عن الخسائر الاسرائيلية، انظر:

Bernard Reich, Testimony, 23 May, «The Middle East, 1974: The Political Mood in Israel,» paper presented at: United States, Congress, House, Committe on Foreign Affairs, Subcommittee on the Near East and South Asia, *The Middle East, 1974: New Hopes, New Challenges*, Hearings before the Subcommittee on the Near East and South Asia of the Committee on Foreign Affairs, House of Representatives, Ninety - Third Congress, Second Session (Washington, D.C.: U.S. Govt. Print. Off., 1974), pp. 103 - 130.

المحادثات الخاصة الصادرة من بيت السادات. وقد تكرر ذلك مراراً عديدة مما خلق انطباعاً بإقامة شبكة اتصالات كان الغرض منها نقل الموقف المصري الجديد الى واشنطن[٥٠].

وفي كانون الأول/ديسمبر قال السادات لأرنود دبورغريف، في مقابلة مع مجلة «نيوزويك» الأمريكية، إنه لا يزال يشعر أن الولايات المتحدة هي مفتاح السلام[٥١].

وفي مقابلة له مع سلزبرغر من جريدة «نيويورك تايمز» أكد السادات ما سبق أن قاله لنيوزويك بأنه مستعد «لإعادة العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة بعد المرحلة الأولى من إنسحاب اسرائيلي، كما انه مستعد لخلق مناخ جديد في المنطقة بأسرها»[٥٢].

وفي بداية عام ١٩٧٢ أرسلت إشارة أخرى، حين نشرت جريدة «الاهرام» شبه الرسمية، ما جاء في الندوة التي عقدت عن حالة الجمود في الشرق الأوسط. كان الاتجاه الرئيسي في الندوة هو الهجوم الصريح على الاتحاد السوفياتي واتهامه بأن من مصلحته إطالة حالة اللاحرب واللاسلم. ومع أن المشاركين في الندوة لم يكونوا يمثلون وجهة النظر الرسمية، فقد نشر ما قيل فيها في جريدة تسيطر عليها الحكومة، وكان ذلك يفيد ضمناً موافقة الحكومة على هذا الخط الجديد.

وفي أيار/مايو ١٩٧٢ نشر محمد حسنين هيكل، رئيس تحرير جريدة «الاهرام» وأحد المقربين من السادات في ذلك الحين، سلسلة من المقالات ساق فيها حججه مبرهناً أن للاتحاد السوفياتي مصلحة مكتسبة في حالة اللاحرب واللاسلم، وهي حالة تضر بمصلحة مصر في كسر ذلك الجمود.

وكان قرار السادات بطرد المستشارين السوفيات من مصر إشارةً واضحة جداً لاستعداده للتوجه نحو الولايات المتحدة. إلا ان السادات قدم تفسيرات متناقضة لتبرير قراره. فقد كان تفسيره، في البداية، أنه إنما طرد المستشارين لكي يظهر استياءه من قرار الاتحاد السوفياتي بالتوصل الى انفراج عسكري في الشرق الاوسط مع الولايات المتحدة. ثم أعطى، بعد حرب تشرين الاول/اكتوبر تفسيراً آخر بأنه لم يكن يريد أية مشاركة سوفياتية في الحرب، وذلك لكي يكون الانجاز الذي يتم في القتال انجازاً عربياً. ولما سُئِل السادات هل كان يقصد من قرار الطرد أن يجتذب اهتمام الولايات المتحدة؟ كان جوابه بالنفي. ومع ذلك، وحين نشر مذكراته فيما بعد، كشف فيها أنه كان ينتظر من الولايات المتحدة أن تتصل بمصر كنتيجة لطرده

---

(٥٠) *Newsweek* (6 December 1971).
(٥١) Sadat's interview to M. Sulzberger, in: *New York Times* (13 December 1971).
(٥٢) el - Sadat, *In Search of Identity: An Autobiography*, p. 232.

السوفيات: «استدعيت حافظ اسماعيل، مستشاري للأمن القومي، واخبرته ان الولايات المتحدة ستتصل بنا حتماً لذا عليه أن يستعد ويهيء البدائل الضرورية لغرض اجراء حوار ناجح مع أمريكا»[٥٣]. ومع أن هذه التفسيرات كانت تفسيرات متناقضة، فقد نظر الى القرار في الولايات المتحدة على أنه علامة على استعداد السادات لاتباع سياسة اكثر وداً تجاه الولايات المتحدة.

وبإزاحة السادات للسوفيات، فإنه لم يعط فقط إشارته لفتح الطريق أمام سياسة أمريكية مثمرة لحل النزاع، بل أعطى كذلك إشارة لاستعداده لتوفير منطقة عازلة (Buffer Zone) للنفوذ السوفياتي في الشرق الأوسط، يقوم هو بالدور الرئيس في تأمين ذلك. هذا الدور كان مقتصراً حتى الآن على إسرائيل فقط. لذا، وبما ان السادات يعلم بأن إزالة النفوذ السوفياتي هو هدف قديم من اهداف سياسة الولايات المتحدة في المنطقة، فإنه كان يحاول في جوهر الأمر، وباتخاذه هذه الخطوات، أن يبين للولايات المتحدة ان بوسعه خدمة اهدافها في المنطقة لقاء إقامة علاقة صداقة مع مصر. والخطوة الاولى في ذلك هي المزيد من مشاركة الولايات المتحدة في مسألة النزاع العربي ـ الاسرائيلي، لتوجيهها لمزيد من الضغط على اسرائيل لكي تنسحب من الأراضي العربية المحتلة. كان السادات يعتقد أنه، باستخدامه للورقة السوفياتية وعرضه نفسه كأداة لوقف النفوذ السوفياتي في المنطقة، سيتمتع بنفوذ فعال إزاء الولايات المتحدة.

لم تكن كل هذه الإشارات كافية للولايات المتحدة قبل الحرب، لأن المسؤولين الأمريكيين لم يأخذوا السادات مأخذاً جدياً، ولأن تصورهم لمصر هو أنها دولة مهزومة لا أمل لها. ولكن الحرب أجبرتهم على تغيير الصورة التي يحملونها عن مصر وعن السادات، وعلى أن يروا إمكانية في إقامة علاقات مثمرة. وقد حدث في تشرين الثاني/نوفمبر، وبعد انتهاء النزاع المسلح، أن وصل كيسنجر الى مصر لأول مرة وقال للسادات: «لقد خلقت أزمة دولية، وهذا هو سبب مجيئي لمقابلتك. فما هي طلباتك؟»[٥٤]. ومنذ تلك اللحظة، بدأ اهتمام الولايات المتحدة بمصر يتزايد باطّراد.

أما على الجانب الاسرائيلي، فإن الاستعمال الناجح لهذه الأداة من قبل مصر سيضعف الى حدٍ ما من علاقات اسرائيل بالولايات المتحدة، طالما اتبعت هذه سياسة من شأنها إبعاد مصر عن الاتحاد السوفياتي وتقويض النموذج المصري في التغيير الاجتماعي، فتكون سياسة الولايات المتحدة بذلك مطابقة لسياسة اسرائيل. وبالتالي،

---

(٥٣) المصدر نفسه، ص ٢٦.

(٥٤) خطاب السادات في ٢٣ تموز/يوليو ١٩٧٣.

ستتمتع إسرائيل بتفهم وتأييد وجهة نظرها بصورة تامة من الولايات المتحدة. فإذا تحولت العلاقات الامريكية ـ المصرية من النزاع الى التعاون، فسيتاح مجال سياسي أوسع لصانعي القرار الأمريكيين، مما قد يناقض رأي اسرائيل. لذا فإن الاستعمال الناجح لهذه الأداة من قبل مصر، ينطوي على إمكانية خلق تخوف لدى اسرائيل بأن الولايات المتحدة قد تصبح ملتزمة بعلاقاتها الجديدة مع مصر، على حساب العلاقات الأمريكية ـ الاسرائيلية. وفي رأيي، أن هذا التخوف قد خلق شيئاً من الاستعداد لدى اسرائيل لكي تأخذ الجهود الدبلوماسية لحل النزاع مأخذاً أكثر جدية مما كانت عليه قبل حرب تشرين الأول/اكتوبر.

٣ ـ القدرة على التأثير في سياسات قطر ثالث

كان السادات يعتقد، انسجاماً مع الصورة التي حملها عن الولايات المتحدة وقدرتها على مزاولة نفوذ كبير على اسرائيل من جهة، وإدراكاً منه للعلاقات الوثيقة بين الولايات المتحدة والأقطار العربية المحافظة من جهة أخرى، ان هذه الأقطار ولا سيما السعودية، قادرة على التأثير في الولايات المتحدة والأقطار الغربية، لكي توجه نوعاً من الضغط على اسرائيل لتغيير سياستها المتشددة.

ولم تكن السعودية تحتفظ فقط بعلاقات دبلوماسية مع الولايات المتحدة، في حين قطعت الأقطار العربية الأخرى علاقاتها بعد عام ١٩٦٧، ولكنها كانت كذلك تنتج ٥٥ بالمائة من استهلاك العالم للنفط، وتملك ٨٥ بالمائة من احتياطي النفط في العالم، مما يمثل إمكانية عظمى يمكن استخدامها في تحقيق اهداف السادات[٥٥]. أي الضغط على الولايات المتحدة لتضغط على اسرائيل لتنسحب من الأراضي العربية المحتلة.

ولكي يكسب السادات العرب المحافظين الى جانبه ويستخدمهم، بالتالي، في الضغط على الولايات المتحدة، كان عليه أن يعزز علاقاته مع أنظمتهم. والظاهر أنه لم يجد صعوبة كبيرة في تحقيق هدفه هذا. فقد قال: «قضت إرادة الله أن تكون لي علاقات شخصية وثيقة مع زعماء العالم العربي. لقد رحب جميعهم بي كرئيس للجمهورية وأظهروا استعدادهم للمساعدة»[٥٦].

والواقع ان السادات كان يتمتع بصداقة الملك فيصل وإعجابه منذ ١٩٥٨ إلى

---

(٥٥) el - Sadat, Ibid., p. 239.

(٥٦) المصدر نفسه.

حد، على ما يقوله السادات، أنه قال للملك الحسن خلال المؤتمر الاسلامي المنعقد في الرباط سنة ١٩٦٩ «إذا كانت إرادة الله تقضي بأن تزدهر مصر فسيكون السادات في السلطة»(٥٧).

وقد قيل أيضاً إنه كان هناك في عام ١٩٧٠ مجموعة من الضباط السعوديين يخططون لانقلاب ضد العائلة المالكة بموافقة مصر، فقام السادات بإخبار السعوديين بذلك، مما أدى الى اعدام أولئك الضباط من قبل الحكومة السعودية.

وإضافة الى العلاقات الشخصية بين السادات وفيصل، فان سياسة السادات العربية ساعدت مصر على التقارب مع الأنظمة العربية المحافظة. فقد دعا السادات، مثلاً، الى عمل عربي مشترك، على أساس ان المعركة ضد اسرائيل هي معركة كل العرب، وأن إسرائيل لن تفرق بين أنظمة عربية محافظة وأخرى تقدمية. قال في عام ١٩٧١: «إني أوظف كل ما في طاقتي لتوحيد أنفسنا وجبهتنا كعرب لمواجهة العدو - الغزو الصهيوني. وليس هناك فرق في هذا الصدد بين الأنظمة والدول، سواء أكانت ملكيات أم جمهوريات - إننا، في مواجهة اسرائيل، كلنا عرب»(٥٨).

كذلك أوضح السادات، في خطاب له في اجتماع لوزراء الخارجية العرب في عام ١٩٧٢، جانباً من سياسته العربية حين قال: «أريدكم أن تنقلوا الى رؤسائكم ورؤساء جمهورياتكم أن مصر تعتبر إسرائيل عدوها الوحيد، وأنها ليست مستعدة للدخول في أية منازعات أو مناقشات جانبية مع أي من شقيقاتنا الدول العربية»(٥٩).

وكان استعداد السادات للانفصال عن الاتحاد السوفياتي وليبيا من العوامل المشجعة في نظر السعوديين الذين كانوا يأملون في عزل مصر عن أشد ما يخافونه: النفوذ السوفياتي والراديكالية العربية(٦٠). وقد أدى نجاح السادات في إقامة علاقة صداقة وطيدة مع العرب المحافظين، قبل حرب تشرين الأول/أكتوبر، إلى تمهيد الطريق لتقديم المزيد من المساعدات المالية لمصر، مع ان هذه الانظمة العربية كانت كثيراً ما تثير الشكوك حول جدوى مساعدتها المالية لمصر، في وقت كانت جميع الدلائل تشير الى تردد السادات في استئناف المعركة. بل ذهبت بعض الأنظمة الى أبعد من ذلك، فشككت في الطريقة التي تنفق بها مصر مساعداتها المالية. وغالباً ما أثيرت التساؤلات عما إذا كان السادات ينفق الأموال حقاً في شراء الاسلحة، أم على حياته

(٥٧) خطاب السادات في ٧ تموز/يوليو ١٩٧١.

(٥٨) خطاب السادات في ٢٨ ايلول/سبتمبر ١٩٧٢.

(٥٩) Nadav Safran, «Arab Politics, Peace and War,» *Orbis*, vol. 18, no. 2 (1974), pp. 377 - 401.

(٦٠) Fuad Itayim, «Arab Oil: The Political Dimension,» *Journal of Palestine Studies*, vol. 3, no. 2 (Winter 1974), pp. 84 - 97.

الخاصة. وبالتالي فإن قدرة مصر في التأثير في اعمال تلك الأنظمة، كانت تعتبر ضعيفة جداً. إن قرار السادات بشن الحرب قد أزال هذه الشكوك السابقة، وليس هذا فقط، بل أدى الى زيادة المساعدات المالية والى التزام أقوى باستعمال النفط كسلاح سياسي.

إن قرار السادات بشن الحرب يزيد، نظرياً، من قدرته على استعمال هذه الأداة (leverage) في الضغط على البلدان العربية المحافظة المنتجة للنفط. فقد كان يمكن للسادات، مثلاً، أن يستفيد من شعبيته المتصاعدة في كافة أرجاء الوطن العربي، وبين جماهير تلك الانظمة، لاستغلال سياساتها الداخلية، وتهديدها بخطر ظهور زعيم آخر على غرار عبدالناصر. كان هذا سيضع تلك الأنظمة تحت ضغط كبير ويجبرها على مساعدة السادات وإلا واجهت عدم الاستقرار داخلياً.

٤ ـ القدرة على فرض عقوبات اقتصادية (النفط)

بالنظر للأحوال الاقتصادية التي سادت العالم في الفترة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٣، فقد ازدادت أهمية نفط الشرق الأوسط (وأغلبه من مصدر عربي) بالنسبة للولايات المتحدة وأوروبا الغربية ازدياداً كبيراً. فبحلول خريف عام ١٩٧٣ بلغت واردات الولايات المتحدة من النفط الخام، من أقطار عربية أو من مصافٍ مزودة بالنفط العربي، مليوني برميل يومياً. وهو مستوى لم يسبق له مثيل. ولكن الوضع بالنسبة لأوروبا واليابان اكثر حرجاً من ذلك، نظراً لاعتمادهما الكلي على النفط العربي.

ومع أن مصر لا قدرة لها على قطع إمدادات النفط، لسبب بسيط هو عدم وجود نفط كثير لديها، فإن جهود السادات العامدة الى إقامة علاقات صداقة وطيدة مع الاقطار العربية، لا سيما مع الأنظمة المحافظة ذات الاحتياطيات النفطية الضخمة من جهة، وإلى كسب التأييد القومي لمصر في أوساط الجماهير في تلك الأنظمة من جهة أخرى، إن جهوده هذه قد مهدت الطريق لاستخدام محتمل لهذه الأداة لصالح مصر.

إن هذين العاملين، أي نقطة الضعف النفطية في الاقتصاد الأمريكي والأوروبي الغربي، وتضامن العرب وامتلاكهم لمصدر الطاقة الثمين، قد خلقا فعالية (leverage) عربية واضحة إزاء الغرب، هذا إن قرر العرب استعمال نفطهم في أغراض سياسية.

وعلى الرغم من إدراك السادات والأقطار العربية الرئيسة المنتجة للنفط لأهمية هذه الفعالية، فقد عبروا علناً عن ترددهم في استخدام النفط كسلاح سياسي. وقد أوضح السادات في ٧ شباط/فبراير ١٩٧٢ الملامح الرئيسة لهذا التردد قائلاً: «إن حقيقة الأمر هي أن سلاح النفط هو سيف ذو حدين. إننا نتسلم من الأقطار العربية المنتجة للنفط منحة

سنوية تبلغ مئة وتسعة ملايين جنيه. فلئن أوقفت هذه الدول العربية تدفق النفط فمن أين ستأتي هذه المساعدة؟ لذا ينبغي لنا ألا نحمّل السياسة العربية ما لا طاقة لها به. كيف تستطيع الأقطار العربية أن تسدد التزاماتها بدون عائداتها النفطية؟ فضلاً عن ذلك، فالسؤال الذي يطرح نفسه هو: كيف يمكن التصرف بهذا النفط فيما لو أحجمت الأقطار العربية عن تصديره؟ من الذي سيشتريه؟ هل يعاد ضخه في الرمال؟»[٦١].

أما الملك فيصل فقد كان، في آب/اغسطس ١٩٧٢، أكثر صراحة بشأن قضية الاستخدام السياسي للنفط، حين أعلن مؤكداً: «ان النفط والسياسة يجب ألا يختلطا»[٦٢]. وما ان مضت سنة واحدة على هذا التردد، حتى تحول الى استعداد عربي صريح لاستخدام النفط كأداة ضغط ضد الولايات المتحدة، وضد أي قطر يؤيد سياسات اسرائيل المتشددة إزاء العرب.

ففي نيسان/ابريل ١٩٧٣ عبّر الشيخ اليماني، وزير النفط السعودي، عن هذا الاستعداد بقوله ان بلاده: «قد لا تزيد انتاجها من النفط لغرض التصدير الى الولايات المتحدة، إذا لم تساعد واشنطن في المساعدة على تسوية مشكلة الشرق الأوسط بما يرضي الدول العربية»[٦٣].

وبحلول تموز/يوليو من السنة ذاتها، أفصح السادات عن تصوره لهذه الأداة العربية والطريقة التي يجب ان تستخدم بها قائلاً: «دعونا نبسط الحقائق. إننا الآن ننتج ٥٥ بالمائة من استهلاك العالم للنفط ونملك ٨٥ بالمائة من الاحتياطي العالمي. أما بشأن الأموال فإن العرب لديهم أكثر من خمسين بليون جنيه من الودائع في المصارف، الأمر الذي له وزنه العظيم على نظام النقد الدولي. فإذا استطعنا تنشيط هذه الإمكانية الضخمة بحكمة وتعقل فسيمكننا أن نضع قوتنا العربية الهائلة لصالح مشكلتنا القومية»[٦٤].

وكان المسؤولون السعوديون، في أيلول/سبتمبر ١٩٧٣، يوجهون تحذيرهم للولايات المتحدة لكي تغير من سياستها في الشرق الأوسط، دون الإفصاح عن استعدادهم لاستخدام النفط لخدمة أغراض سياسية. فقد قال الملك فيصل، في مقابلة مع مجلة «نيوزويك» الامريكية، محذراً بصراحة تامة: «يجب على الولايات المتحدة أن تحجم عن تقديم مساعدات غير محدودة الى اسرائيل - فإذا لم تستجب امريكا لهذا يكون أحد شروطنا لزيادة إنتاجنا من النفط قد بقي دون أن يلبّى»[٦٥].

وبعد أسبوعين من هذا الكلام، صرّح وزير النفط السعودي قائلاً إن بلاده «قد

(٦١) حديث السادات مع المؤتمر الوطني للاتحاد الاشتراكي العربي في ١٧ شباط/فبراير ١٩٧٢.

(٦٢) مقابلة مع فيصل في مجلة المصور (آب/اغسطس ١٩٧٢).

(٦٣) نقلاً عن: Lester A. Sobel, ed., *Israel and the Arabs: The October War 1973* (New York: Facts on File, Inc., 1974), p. 84.

(٦٤) خطاب السادات في ٢٣ تموز/يوليو ١٩٧٣.

(٦٥) *Newsweek* (3 September 1973).

تخفض انتاجها من النفط إذا لم يحل النزاع العربي ـ الاسرائيلي»[٦٦]. إن تحول الموقف العربي من التردد الى الاستعداد الصريح لاستخدام النفط كأداة سياسية ضد الولايات المتحدة يمثل، في رأيي، خيبة أمل العرب واستياءهم من عدم استجابة الولايات المتحدة لمبادراتهم المتكررة التي كان يقصد منها لفت انظارها الى النزاع العربي ـ الاسرائيلي. كان هذا الاحساس بخيبة الأمل واضحاً تماماً في تصريح السادات في ٢٧ أيار/مايو ١٩٧٣، قال: «ليس هناك من طريقة للضغط على الولايات المتحدة إلا إذا استطعنا تهديد مصالحها في المنطقة»[٦٧].

كان عدم استجابة الولايات المتحدة اكثر إحراجاً للسعوديين، لأنهم هم الذين لعبوا دوراً مهماً في طرد المستشارين السوفيات وفي إقامة الاتصالات المصرية ـ الامريكية الأولى. وعبّر الملك فيصل عن شعور السعوديين بقوله، في آب/اغسطس ١٩٧٣، إن بلاده «قلقة جداً لأنه إذا لم تغير الولايات المتحدة من سياستها في الشرق الأوسط وواصلت وقوفها الى جانب الصهيونية، عندئذٍ ـ سيؤثر مثل هذا العمل على علاقاتنا مع اصدقائنا الأمريكيين لأنه سيضعنا في وضع غير مقبول في العالم العربي»[٦٨].

ويكمن وراء هذا القلق السعودي خوف من أن المنطقة، وبسبب سياسة الولايات المتحدة المتصلبة، ربما تتجه الى مزيد من الراديكالية، فيفضي هذا الى أن يعود السادات فيميل بسياسته نحو الأقطار العربية الراديكالية، ونحو عودة السوفيات الى مصر. وكلا الاحتمالين لا يريده صانعو السياسة السعودية لأنه يمثل عودة الى العهد الناصري.

لذلك، وبالنظر الى هذا الاعتبار، تولى السعوديون الدور الرئيسي في استخدام النفط العربي كسلاح سياسي. وهذا الدور ينطوي، كما قال أحد المحللين لشؤون الشرق الأوسط، على استعداد حكومة الملك فيصل لتنصُّل السعودية من العلاقات الوثيقة التي كانت تربطها بالولايات المتحدة، إذا استمرت هذه العلاقات في أن تكون مصدر إحراج للسعوديين وعقبة في طريقهم ليتولوا دوراً أكثر نشاطاً في الشؤون العربية[٦٩]. وبالتالي، وبالنظر لما أعلن عن الشحنات العسكرية العاجلة من الولايات المتحدة الى اسرائيل خلال حرب تشرين الاول/اكتوبر، أعلن وزراء النفط العرب في ١٧ تشرين الأول/اكتوبر ١٩٧٣ عن شهر سلاحهم النفطي، وذلك بتقليل الإنتاج ثم بفرض حصار كامل يمنع تصدير النفط منعاً تاماً إلى الاقطار التي أيدت إسرائيل.

---

(٦٦) نقلاً عن: Sobel, ed., *Israel and the Arabs: The October War 1973*, p. 85.

(٦٧) Sadat's interview with the yugoslavian newspaper, in: *Viejsnik* (27 May 1973).

(٦٨) Sobel, ed., Ibid., p. 84.

(٦٩) Itayim, «Arab Oil: The Political Dimension,» p. 88.

وتقرر أن يستمر هذا الحصار الى حين التوصل الى حلٍ مرضٍ للنزاع العربي - الاسرائيلي.

أما وجهة النظر الاسرائيلية، فهي أن استعمال العرب الناجح لهذه الأداة سيضع اسرائيل تحت ضغط عظيم من أوروبا الغربية والولايات المتحدة، الى درجة قد تجبر اسرائيل على الانسحاب الى حدودها كما كانت في عام ١٩٦٧، وهو أمر لا يتفق مع مصالح اسرائيل. والادهى من هذا بنظر الاسرائيليين، هو ان ضغطاً فعالاً من أمريكا وأوروبا الغربية سيشجع العرب على العودة الى استخدام نفطهم كأداة للمساومة كلما اقتضت الضرورة، وهذا سيضع اسرائيل في موقف تساومي ضعيف، وبصورة مستمرة، في أية مفاوضات تجري في المستقبل.

رابعاً: العناصر الكامنة

١ - إدراك إمكانية إشراك الدول العظمى في الصراع

كان السادات على إدراك تام للهدف المتبادل لكلتا الدولتين الأعظم في تفادي مواجهة مباشرة في المنطقة. بل إنه حاول ان يطمئنها بعدم وجود أية نية لديه في إحداث مثل هذه المواجهة. فكان، مثلاً، يؤكد في خطبه مراراً وتكراراً رغبته في تحاشي مواجهة سوفياتية - امريكية: «إنني لن أسبب، تحت أي ظرف من الظروف، قيام مواجهة سوفياتية - أمريكية، وإن من يرغب بقيامها مجنون»[٧٠].

ومع أن السادات حاول أن يؤكد للدولتين الأعظم ان كل ما يحتاجه هو حل للنزاع، لكنه وجدهما غير متحمستين لذلك، فقد وضعتا مسألة الشرق الأوسط على الرف. وبما أن تجميدهما لهذه المسألة كان يهدف الى تجنب أي تصعيد قد يؤدي الى مواجهة، فإن قرار شن الحرب في تشرين الأول/اكتوبر كان يهدف كذلك الى الضرب على وتر مخاوفهما من مواجهة مباشرة. كان السادات يتصور أن الدولتين الأعظم لن تسمحا بتصعيد الحرب بين اسرائيل ومصر، وبالتالي فإن خطر التصعيد أو التخوف منه سيؤدي الى اهتمام متجدد منهما بحل مسألة الشرق الأوسط. وواقع الامر ان حرب تشرين الأول/اكتوبر كادت تسبب مواجهة بين الدولتين. ومع هذا قدمت كل منهما مقترحاً بوقف إطلاق النار.

---

(٧٠) خطاب السادات في ١٤ ايار/مايو ١٩٧٢.

وعلى أساس المحادثات التي جرت بين كيسنجر وبريجنيف يومي ٢٠ و٢١ تشرين الأول/اكتوبر١٩٧٣، تبنت الدولتان قراراً لمجلس الأمن الدولي يدعو الى وقف إطلاق نار يكون بضمانتهما. كذلك دعتا الى عقد مؤتمر سلام دولي لتطبيق قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢.

وكانت اسرائيل تجد في تورط الدول الكبرى في النزاع أمراً غير مرغوب فيه. بل إنها كانت تميل، نتيجة انتصارها الساحق في عام ١٩٦٧، الى مقاومة جهود الأمم المتحدة والدول الكبرى للتوسط لايجاد حل. ويمكن فهم معارضة اسرائيل للتورط الدولي، بمعنى انها لم تكن تريد إخضاعها لأي ضغط خارجي، كما كان عليه الحال في عام ١٩٥٦ حين ضغطت الولايات المتحدة على اسرائيل، وأجبرتها على سحب قواتها من سيناء.

٢ ـ ادراك علاقة اعتماد متبادل

كان ينظر للعلاقة السوفياتية ـ المصرية على انها علاقة اعتماد تبادلي (Interdependence). فبينما كانت مصر بحاجة للاتحاد السوفياتي كمصدر للسلاح والتأييد السياسي،كان الاتحاد السوفياتي بحاجة الى الاحتفاظ بعلاقات ودية مع مصر للحفاظ على نفوذه في المنطقة.

عبّر السادات عن ذلك بقوله: «صحيح اننا لسنا راضين تماماً من السوفيات، ولكننا لا حيلة لنا في هذا. فنحن لا يسعنا ان نفقد هذا الصديق، مهما كان تأييده لنا قليلاً. ونحن نعتقد كذلك انه إذا دعت سياسة الوفاق الاتحاد السوفياتي الى اهمال تأييده لحركات التحرير الوطني، فسيكون هذا ضاراً في النهاية بالاتحاد السوفياتي نفسه ويؤدي الى عزلته. والسوفيات يدركون هذا»[٧١].

لذا، وعلى الرغم من ان العلاقات المصرية ـ السوفياتية كانت مجمدة من تموز/يوليو ١٩٧٢ الى شباط/فبراير ١٩٧٣، كان السادات قد أعلن انه لن يسمح بوقوع قطيعة تامة مع موسكو[٧٢]. وهذا منطقي جداً لأن السادات لم يكن يستطيع الحصول على أي تعاون من الولايات المتحدة خلال تلك الفترة ذاتها. وقد اتخذت اجراءات عديدة للحيلولة دون وصول العلاقات مع الاتحاد السوفياتي الى مرحلة القطيعة التامة. منها، مثلاً، ما أوضحه المسؤولون المصريون، بعد قرار طرد المستشارين الروس، من أن هذا القرار يشمل المستشارين ولا ينطبق على المدربين

---

(٧١) خطاب السادات في ٢٣ تموز/يوليو ١٩٧٢.

(٧٢) خطاب السادات في ٢٣ تموز/يوليو ١٩٧٣.

السوفيات، وأن هؤلاء سيظلون في مصر لحين انتهاء عقودهم. كما أوضحوا ان السوفيات سيستمرون في تمتعهم بالتسهيلات البحرية في الاسكندرية ومرسى مطروح»[٧٣].

كذلك نشرت جريدة «الاهرام» في ٧ آب/اغسطس أن بريجنيف قد بعث برسالة الى السادات يطلب فيها عقد اجتماع عالي المستوى لتحسين العلاقات المتوترة بين القطرين. ومن جهته، أخبر السادات مجلس الشعب أنه سيسعى لتحسين العلاقات المتوترة مع السوفيات نتيجة إخراج المستشارين الروس من مصر[٧٤]. كذلك قرر السادات إرسال رئيس الوزراء المصري عزيز صدقي الى موسكو لبحث العلاقات الثنائية بين البلدين.

أما على الصعيد الداخلي فقد قرر السادات، تمشياً مع هذه التحركات التوفيقية، إقالة وزير الحربية الفريق محمد صادق في ٢٦ تشرين الأول/اكتوبر. ومع انه ذكر أن إقالته لهذا الوزير كانت بسبب عدم تنفيذه لأمره بتهيئة الجيش لشن الحرب ضد اسرائيل[٧٥]، فإن الوزير كان من كبار المعارضين للسوفيات في الجيش المصري، ويعتبره الروس شخصاً غير مرغوب فيه، مما جعل إقالته تبدو وكأنها خطوة توفيقية أخرى نحو موسكو.

وبدأت، نتيجة لهذه الخطوات، مرحلة أخرى من التعاون السوفياتي ـ المصري، حين قام حافظ اسماعيل مستشار الأمن القومي وكذلك وزير الدفاع الجديد بزيارات الى الاتحاد السوفياتي. وقد وصف السادات تلك الزيارات بأنها «تدشن فتحاً جديداً في علاقاتنا وأنها لقاءات حضرها الطرفان بكل جد وعناية»[٧٦]. كانت نتيجة تلك الزيارات عقد صفقات جديدة للأسلحة، كما وعد السوفيات فيها بالحفاظ على تأييدهم لمصر. إن قرار السادات بأن يتبع كل خطوة عدائية نحو السوفيات بأخرى توفيقية، يعكس بنظري تأثير كل من العوامل الشخصية وتلك المتعلقة بالموقف معاً. فعلى المستوى الشخصي، تعكس أعمال السادات، مرة أخرى، تقلبه وتخبطه، وهما من سمات أسلوبه كما رأينا سابقاً. أما على مستوى الموقف، فإن أعماله لا تعكس فقط حاجة مصر العسكرية والاقتصادية للسوفيات، بل تعكس كذلك الحقيقة القائلة بأن عدم وجود استجابة ايجابية من الولايات المتحدة لتحركات السادات، يعني عدم وجود خيار آخر له سوى

---

(٧٣) Sobel, ed., *Israel and the Arabs: The October War 1973*, p. 65.

(٧٤) M. El - Zayat's press conference in: *Economist* (29 July 1972), pp. 31 - 32.

(٧٥) خطاب السادات في ١٥ تشرين الأول/اكتوبر ١٩٧٢.

(٧٦) لمزيد من التفاصيل عن المواجهة بين السادات وصادق، انظر:
el - Shazly, *The Crossing of Suez: The October War 1973*, pp. 178 - 188.

تصحيح العلاقات المتدهورة مع السوفيات. ومع أن السادات لم يستعمل هذه الأداة استعمالاً تاماً، فإن استعداد السوفيات لتزويد مصر بالاسلحة خلال حرب تشرين الاول/اكتوبر عزّز من جدوى هذه الأداة بنظر اسرائيل. فلقد خلقت انطباعاً لدى الإسرائيليين بأن السوفيات مازالوا على استعداد لنجدة أصدقائهم. من جهة أخرى، فإن استعداد الولايات المتحدة لنجدة اسرائيل خلال الحرب، والمتمثل بالجسر الجوي الامريكي في الثالث عشر من تشرين الأول/اكتوبر، والذي بلغ اقصاه في إعلان الولايات المتحدة عن قيام حالة انذار نووي، هذا الاستعداد عزّز من تصور مصر لعلاقة اسرائيل القوية بالولايات المتحدة، ولقدرتها على التأثير في أعمالها، وهو أمر في صالح اسرائيل.

٣ ـ ادراك امكانية حدوث تغيرات محتملة في توازن القوى

نتيجةً للتضامن العربي خلال حرب تشرين الأول/اكتوبر، ولأداء العرب المتميز في تلك الحرب، ولاستعمالهم للنفط كسلاح سياسي، أدرك العالم كل الادراك النمو الحاصل في إمكانيات العرب. وقد عبّر السادات عن ذلك بقوله: «إن عالم ما قبل ٦ اكتوبر يختلف عن عالم ما بعد ٦ اكتوبر. إن العرب، بموجب تقدير معهد الدراسات الستراتيجية في لندن، قد أضحوا القوة السادسة في العالم، ولا يتقدم عليهم سوى الدولتين العظميين واوروبا الغربية والصين واليابان. إنهم يملكون النفط الذي هو مصدر الطاقة؛ ويسيطرون على رؤوس الأموال؛ والأهم من كل هذا أن لديهم إرادة لاستعمال هذه الاسلحة»(٧٧).

والواقع إن العرب كانت تتوافر لديهم جميع عناصر القوة قبل حرب تشرين الأول/اكتوبر؛ ومع هذا فقد كانت تعوزهم القدرة على تنسيق هذه العناصر وتعبئتها، بحيث يمكن تحويلها الى نفوذ حقيقي. أما بعد الحرب، فإن التضامن العربي واستخدام النفط كسلاح سياسي وتأسيس المنظمةالعربية للتصنيع، وكان الغرض منها انهاء اعتماد العرب على الأسلحة الأجنبية والبدء بصناعة أسلحة عربية بأيدٍ عربية، كل هذا قد أضفى على العرب مصداقية في عيون العالم، واضعف من صورة اسرائيل كأقوى دولة في المنطقة.

٤ ـ ادراك امكانية احداث عدم استقرار سياسي أو اقتصادي

كان على مصر قبل الحرب أن تطلب المعونة المالية من الأقطار العربية الغنية، وكانت هذه تتردد في العطاء لأنها كانت تظن ان مصر لن تقدم على الحرب أبداً.

---

(٧٧) خطاب السادات في ٢٣ تموز/يوليو ١٩٧٢.

ولكن، ونتيجةً للحرب، تغيرت صورة مصر في الوطن العربي من بلد يرسل وزراءه يشحذون الأموال من أجل البقاء الى بلدٍ يتطلب من الأقطار العربية الأخرى أن تقف فتقدم مساهماتها طوعاً(٧٨). وهكذا، قدمت، مثلاً، حكومة الكويت سبعمائة مليون دولار لإعادة تسليح مصر في تشرين الأول/اكتوبر ١٩٧٣، ومئة وخمسين مليون دولار أخرى في حزيران/يونيو ١٩٧٤ لإعادة بناء مدن القناة. وبلغ تمويل الحكومة السعودية لمصروفات مصر العسكرية بين ١٩٧٤ و١٩٧٧ مبلغ ٧,٢ مليارات دولار. كما وعدت دولة الامارات العربية المتحدة بمبلغ ٢٥٠ مليون دولار لمساعدة الاقتصاد المصري(٧٩).

٥ ـ ادراك وجود اتجاهات عامة إيجابية أو سلبية

ثمة أداة أخرى كانت متاحة للسادات نظرياً ولكنه لم يستخدمها قط. تلك هي شعبية السادات بعد الحرب. كان قراره باستخدام القوة والقدرة لتغيير صورة العرب من كونهم غير قادرين على القتال ولا على استعمال الأسلحة الحديثة، الى صورة جديدة تماماً تمثل العرب كمقاتلين جيدين قادرين على استعمال اسلحة حديثة معقدة، كان كل ذلك ذا تأثير عظيم في جماهير الأقطار العربية. فقد كانوا يتصورون السادات كصورة جديدة من صلاح الدين أو على الأقل كعبدالناصر آخر قادر على تحريك الجماهير والتفاعل مع آمالها وطموحاتها. هذه الحالة أعطت للسادات، نظرياً، القدرة على توجيه السياسات الداخلية للأقطار المنتجة للنفط، وذلك لكسب تأييد زعمائها لسياسته، وكذلك لزيادة قدرته على التأثير في اعمال تلك الدول بصفته زعيماً لكل العرب.

مع هذا لم يستعمل السادات هذا المجال (Leverage). فهو نتيجة لرؤيته الذاتية لنفسه كزعيم غربيّ الهوى أو الاتجاه، لم يتق قط كونه زعيماً لكل العرب فقط. لقد كان طموحه منصباً على المستوى الدولي اكثر من المستوى العربي. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن علاقة السادات بالسعوديين منذ عام ١٩٥٨، وبموجبها كان السادات أشبه بعميل (Client) لهم منه بوليّ عليهم (Patron)، إن هذه العلاقة لم تدع السعوديين ينظرون إليه كعبدالناصر آخر قادر على تهديد سياساتهم الداخلية.

وكان وضع اسرائيل في المجتمع الدولي قد أخذ بالتدهور منذ اندلاع حرب تشرين الأول/اكتوبر. كانت إسرائيل، بعد حرب الأيام الستة، عام ١٩٦٧، مباشرة

---

(٧٨) Anthony McDermott, «Sadat Shakes off the Past,» *Middle East International,* no. 31 (January 1974), pp. 15 - 16.

(٧٩) *African Contemporary Records* (1973), p. B31.

تتمتع بتأييد المجتمع الدولي وعطفه. بل استطاعت اسرائيل ان تستغل بذكاء الرأي العام العالمي لصالحها، فرسمت لنفسها صورة دولة صغيرة وقفت بوجه قوة جبارة لثلاثة أقطار عربية. مع هذا فإن هذه الصورة الشبيهة بصورة (David and Goliath)، كانت قد أخذت بالانحسار حتى قبل حرب تشرين الأول/اكتوبر، ويعود ذلك الى حدٍ كبير الى استمرار الاحتلال الاسرائيلي للأراضي العربية التي احتلتها في حرب ١٩٦٧.

وباندلاع حرب تشرين الأول/اكتوبر، وفي الفترة التي تلتها، أمست إسرائيل موضع إدانة على نطاق واسع. فباستثناء خمس دول افريقية (جنوب افريقيا، ملاوي، ليسوتو، بوتسوانا وسوازي) قطعت جميع الدول الأفريقية الأخرى علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل، معبّرة بذلك عن تأييدها اللامحدود للعرب ولقضيتهم. ثم حدث، في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٣، ان استنكر المجلس الوزاري لمنظمة الوحدة الأفريقية «مخططات اسرائيل التوسعية»[٨٠]. أما التحول في موقف الجماعة الأوروبية فقد كان أكبر أثراً في اسرائيل، بالنظر لمستوى التأييد الأوروبي الذي كانت تتمتع به قبل حرب تشرين الأول/اكتوبر. إذا لم تكتف الدول الأوروبية برفض السماح باستخدام تسهيلاتها ومطاراتها لنقل المؤن الى اسرائيل خلال الحرب، بل إنها تبنت كذلك بياناً مشتركاً يدعوها للانسحاب من الأراضي العربية المحتلة والى الاعتراف بحقوق الفلسطينيين[٨١].

خامساً: منظومة عناصر الموقف التفاوضي المصري - صورة ديناميكية

لا بد للمرء ان يستنتج، بعد استعراض أهداف السادات واستراتيجيته من خلال منظومة العناصر التفاوضية المصرية، أنه رأى في حرب تشرين الأول/اكتوبر ١٩٧٣ عملاً يهدف الى تحسين موقف مصر التفاوضي وتقويته. فحرب تشرين الأول/اكتوبر واستخدام النفط كسلاح سياسي قد حققا أغراضاً معينة هي كسر حالة الجمود، وإجبار الدول العظمى على توجيه اهتمامها عاجلاً لإيجاد تسوية سلمية للمشكلة، ووضع العرب في مركز تفاوضي يمهّد لهم السبيل الى تسوية مقبولة. فالحرب، بهذا المعنى، كانت نجاحاً استراتيجياً واضحاً. إن مقارنة موجزة بين عناصر الموقف التفاوضي المصري قبيل الحرب، أي في ايلول/سبتمبر ١٩٧٣، وبعدها

---

(٨٠) خطاب السادات في احدى القواعد الجوية في الخطوط الامامية في ٦ حزيران/ يونيو ١٩٧٤.

(٨١) انظر: Lawrence L. Whetten, *The Canal War: Four-Power Conflict in the Middle East* (Cambridge, Mass.: MIT Press, 1974), chap. 4, p. 33.

مباشرةً، تبيّن هذا النجاح كما تبيّن كذلك دور السادات في خلق هذا المركز التفاوضي القوي.

كان لدى كل من اسرائيل ومصر قبل الحرب أداتان أو مصدران للقوة: (أ) القدرة على اللجوء الى الحرب (ب) القدرة على التأثير في سياسات طرف ثالث.

وكان لإسرائيل في الابتداء اليد العليا فيما يتعلق بكلتا الأداتين. إنها، نتيجة لانتصارها في سنة ١٩٦٧، كانت تميل الى التقليل (Underestimate) من شأن القدرات المصرية، وبالتالي من قدرتها الحقيقة في اللجوء الى الحرب بنجاح.

من جهة أخرى كان المصريون يرفعون (Overestimate) من شأن القدرات الاسرائيلية، ولكن ليس الى الحد الذي يبعدهم عن اللجوء الى الحرب، بل الى الحد الذي يجعلهم يخططون لحرب ذات أهداف محدودة جداً. لذلك، فإن قرار الدخول في حرب وقدرة الجيش على عبور القناة قد خلقا عنصراً (Leverage) مؤثراً، وقوياً وذا مصداقية لصالح مصر. فقد أظهرت، مثلاً، منظومة العناصر التفاوضية المصرية ـ الاسرائيلية، في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٣، ان فائدة مصر فيما يتعلق بالقدرة على اللجوء الى الحرب قد تزايدت نتيجة لأدائها غير المتوقع، كما أن ذلك قلّل أيضاً من فائدة اسرائيل السابقة من الامر المذكور، لأن النتيجة أظهرت إمكانية تعرض اسرائيل لهزيمة عسكرية، إن لم يكن في هذه الجولة، ففي جولة قادمة.

كما كان لاسرائيل اليد العليا فيما يتعلق بالقدرة على التأثير في سياسات طرف ثالث. فهي تحتفظ بعلاقات قوية مع الولايات المتحدة، وتتمتع بتأييد غير محدود، وهذا أمر كان يفهمه السادات كل الفهم. أما فائدة مصر الرئيسية من هذا العنصر (Leverage)، فقد جاءت نتيجة لاستخدام النفط العربي كسلاح سياسي. إن قدرة الأقطار العربية المنتجة للنفط على فرض حظر نفطي قد أضفت مصداقية على تهديدها بمعاقبة الأقطارالتي أيدت اسرائيل ضد العرب. وكذلك أدت الى الانقسام في صفوف الحلفاء الغربيين، وأجبرت الولايات المتحدة، مع عوامل اخرى، على التدخل في النزاع. من جهة أخرى، على العكس من استراتيجية عبدالناصر في حرب الاستنزاف التي أدت الى زيادة الوجود العسكري السوفياتي في مصر، وأجبرت اسرائيل، على حد قول لورنس وتين[٨٢]، على ان توقف غاراتها في العمق المصري، فإن قرار السادات بطرد المستشارين السوفيات من مصر قد أزال أي تهديد حقيقي لاسرائيل من جراء نجدة الروس لمصر. والواقع ان الاسرائيليين تصوروا قرار السادات بطرد المستشارين السوفيات كعلامة على قرار مصر بعدم اللجوء الى الحرب.

---

(٨٢) المصدر نفسه، ص ٣٤.

مـع هـذا يمكن القـول ان السلوك السـوفيـاتي خـلال الحـرب واستجـابتهم لمسـاعـدة الأصدقاء، وتزويدهم بالاسلحة خلال الحرب، عـزز من تصور قـدرة مصر في التأثـير في سياسة دولة عظمى. كما عزز كـذلك التصـور الخاص بـالاعتماد التبـادلي بين مصر والاتحـاد السوفيـاتي. ومع ان السـادات لم يستعمل هـاتين الأداتـين كـل الاستعـمال، ولكنهـما كانتـا مع ذلـك، من الناحيـة النظريـة، جزءاً من منـظومـة أدوات المسـاومـة المصرية.

وإضافة الى الأداة آنفة الذكر إزاء اسرائيل، حاول السادات كثـيراً أن يستخدم أداة أخـرى إزاء الولايـات المتحدة، وهي الاستعـداد لتغيير نمط العـلاقة الأمـريكية ـ المصرية. إلا أنه لم يكن لهذه الأداة أي أثر يذكر، لأن الولايات المتحـدة لم تكن تأخـذ السادات في ذلك الـوقت مأخـذ الجد. ولكن الحـرب غيّرت من الصـورة التي تحملها الـولايات المتحـدة عن مصر باعتبـارها أمـراً ميؤوسـاً منـه. بـل إن كيسنجـر أضحى مقتنعـاً، خـلال اتصــالات السـادات بــالـولايــات المتحـدة إبــان حــرب تشرين الأول/اكتـوبر، بـأهمية الـدور الذي سيلعبـه السـادات في المنـطقـة مستقبـلاً، وبنيّتـه الحقيقية في تغيير التحالفات[٨٣].

إن الحرب جعلت مصر تتمتع باليد العليا في استعمال هذه الأدوات، وليس هذا فقط، بل إنها خلقت لها عناصر قوة جديدة. . فلم تكن إمكـانية إشراك الـدول الكبرى في النزاع متصورة قبل الحرب، وذلك لأن الدولتـين الأعظم كـانتا أكـثر اهتماماً بسياسـة الـوفاق منهـما بالسيـاسات الأقليميـة، كما أن الشرق الأوسط كـان يفتقر عـلى الصعيد الاقليمي الى التوتر الذي يجبرهما على التدخل. مـع هذا، وكـما بينت سابقـاً، خلقت الحرب أزمة وتوتراً في المنطقة الى درجة كادت تؤدي الى مواجهة بين الدولتين الأعظم. لذلك فمن الإنصـاف القول إن السـادات نجح في تحقيق إشراكهـما في النزاع، الأمـر الذي كان في صالح مصر. فالحرب في الأساس قد مهدت الطريق لعقـد مؤتمر سـلام شامل وهو ما كانت اسرائيل تحاول تفاديه منذ عام ١٩٦٧ . هذا من جهـة، ومن جهة أخرى زودت الحرب مصر بأداة كامنة خاصـة بالتغيـيرات المحتملة في توازن القـوى. كما أنها حسنت من صورة السـادات في عيون الجـماهير. إن هـذه الصورة المحسنـة قد حولته، نظرياً، من مهرج في سيرك الى زعيم على غرار عبدالناصر ذي شعبية كبيرة في الوطن العربي. وباختصار، انتقل السادات بنجاح من مركز تفاوضي ضعيف جـداً الى مركز قوي.

---

(٨٣) Henri Kissinger, *Years of Upheaval* (Boston: Little, Brown, 1982).

جدول رقم (٤ ـ ١)

منظومة الأدوات التساومية المصرية، أيلول/سبتمبر ـ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٣

الأدوات	ايلول/سبتمبر ١٩٧٣	تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٣
القدرة على اللجوء الى الحرب	↓	↑
القدرة على التأثير في سياسات طرف ثالث	↓	↑
القدرة على تغيير نمط العلاقات	↓	↑
القدرة على فرض عقوبات اقتصادية (النفط)	↓	↑
ادراك امكانية اشراك الدول العظمى في النزاع		↑
إدراك علاقة اعتماد متبادل		↑
إدراك إمكانية حدوث تغييرات محتملة في توازن القوى		↑
إدراك إمكانية إحداث عدم استقرار سياسي واقتصادي	↑	↑
إدراك وجود إتجاهات عامة، إيجابية وسلبية	↓	↑

بعد الانتهاء من موضوع تحديد السادات للموقف، وموضوع استراتيجيته بشأن مجال الفعالية، سأحاول الآن أن أنظر في تأثير العوامل الشخصية و/أو العوامل المتعلقة بالموقف في دور السادات، أي في تحديده للموقف في استراتيجيته.

إن من الفرضيات الأساسية التي استرشدت بها هذه الدراسة، كما جاء في المقدمة، ما يلي:

١ ـ الزعماء يعملون وفقاً لتعريفهم للموقف وتحديدهم له.
٢ ـ تحديدهم للموقف هو محصلة التداخل بين العوامل الشخصية والعوامل المتعلقة بالموقف.

وقد أظهر التحليل حتى الآن أن كلاً من هذه العوامل الشخصية والموضوعية المتعلقة بالموقف أثّر في قناعة السادات بأن الولايات المتحدة هي الطرف المؤثر في الموقف. فالولايات المتحدة، من الناحية الموضوعية، تملك القدرة على التأثير في اسرائيل. وفي الوقت ذاته كان استعداد السادات للتحالف مع الولايات المتحدة متمشياً مع إعجابه الشخصي بهذا الطرف. كذلك قد يجد المرء ان الموقف قد أجبر السادات على اتخاذ القرار الذي لم يكن يرغب باتخاذه، والذي حاول ان يتفاداه منذ

تولى السلطة، وهو اللجوء الى الحرب. ولكن رؤية السادات الذاتية ورغبته في إشراك الولايات المتحدة في النزاع، تعنيان أنه إنما اختار حرباً محدودة جداً لا تهدف الى تحرير سيناء، بل إلى تحريك الوضع وتحسين مركز مصر التفاوضي في مفاوضات قادمة.

إن أسلوب السادات، ودبلوماسيته في إحداث الصدمة الكهربائية، وقدرته على قول شيء وفعل آخر، وافتقاره لإيديولوجية محددة، كل ذلك أعطاه مرونة سياسية قصوى في الحركة. كان هذا واضحاً في قدرته على تحويل وجهته سريعاً من السوفيات الى الأمريكيين، ثم الى السوفيات مرة أخرى.

إن رؤية السادات لذاته كزعيم متحضر، غربيّ الهوى، كان لها أثرها في تكوين تصوره لكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي والأقطار العربية. ولكن العوامل الموضوعية المتعلقة بالموقف مثل سياسة الوفاق، وحاجة مصر للأسلحة السوفياتية، وحاجتها للموارد العربية مالياً وسياسياً، أصبحت أكثر أهمية، وطغت الى حدٍ ما على تصور السادات الشخصي، بحيث كادت تحجب العناصر السلبية التي كان يراها في العرب، كما أبقت العلاقة المصرية ـ السوفياتية في أدنى مستوى.

الفَصْلُ الخَامِسُ

المَوْقِفُ السِّيَاسِيُّ فِي ١٩٧٣ - ١٩٧٥

إن حرب اكتوبر قد جعلت من السادات بطلاً، ليس في داخل مصر وحدها، بل في الأقطار العربية الأخرى ايضاً. وبلغت شعبية السادات مبلغاً بعيداً لم تبلغه من قبل. وطوى النسيان جميع أحكامه الخاطئة السابقة، فبرز كنموذج جديد لصلاح الدين الأيوبي.

ولا شك ان الحرب، كما أقر عدد من المراقبين، قد عبدت الطريق لأساس شرعية السادات. فهو لم يعد مجرد وريث لعبدالناصر يستمد شرعيته من مجرد كونه نائباً له، بل هو الآن «بطل العبور»، البطل الذي قاد الجيوش العربية في «معركتها المصيرية». والحرب، على كل حال غيرت الموقف السياسي كله تغييراً جذرياً.

نجح الهجوم العربي في تعبئة الرأي العام العالمي لتأييد تسوية عاجلة للنزاع العربي ـ الاسرائيلي. كما حقق الاستخدام الناجح للنفط، كسلاح سياسي، مزيداً من التفهم والتأييد للقضية العربية في أوروبا الغربية واليابان. فعلى سبيل المثال، أصدرت الجماعة الاوروبية في ٦ تشرين الثاني/ نوفمبر بياناً عن الشرق الأوسط، يحث بقوة على انسحاب اسرائيل الفوري الى خطوط وقف اطلاق النار كما كانت عليه في ٢٢ تشرين الأول/ اكتوبر. بل ذهبت الجماعة الى أبعد من ذلك بتأييدها التفسير العربي لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢، والذي دعا الى انسحاب اسرائيلي تام الى حدود ما قبل ١٩٦٧. وكان من شأن تبادل الرسائل الحادة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، وحالة التأهب العسكري المؤقت التي أعلنتها الولايات المتحدة، أن أدركت الدولتان الأعظم انه من الممكن بسهولة أن تستدرجا الى حرب، بطريق الخطأ، في المنطقة. لذا كان لا بد لهما من العمل من أجل تحقيق تسوية للنزاع. وقد أثبت الاتحاد السوفياتي

خلال الحرب أنه الحليف المطلق للعرب. فقد دلّ الجسر السوفياتي الجوي واستعداد الروس لارسال قواتهم الى مصر لضهان وقف إطلاق النار، سواء بتعاون الولايات المتحدة أم من دونه، دلّ كل ذلك على أن مصر كانت تحتفظ بدعم السوفيات.

كان الموقف من الناحية العسكرية خطراً جداً وغير مستقر. ومع أن الحرب توقفت إلاّ ان قوات الطرفين كانت لا تزال متشابكة. فحاصرت اسرائيل الجيش الثالث ومدينة السويس على الضفة الغربية من القناة. وفي الوقت ذاته، اصبحت هذه القوات الاسرائيلية نفسها محاطة بقوات مصرية كبيرة العدد(١). وكانت نتيجة الحرب العسكرية مثار خلاف وأخذ ورد: فقد كان الموقف العسكري يمثل بالنسبة لبعض المراقبين هزيمة عسكرية لمصر. وهذا الرأي يستند الى نجاح اسرائيل في تطويق الجيش الثالث، وقطع الامدادات عنه وتهديده بالإبادة. اما بالنسبة للبعض الآخر، فقد كان عبور الاسرائيليين الى ما وراء خطوط الجيش المصري مجرد عملية نفسية، والغرض منها تزويد الاسرائيليين بشيء من الثقة، لا سيما بعد نجاح الهجوم العربي الأول، وكذلك تعزيز موقف اسرائيل في المفاوضات. إلا انه يمكن القول إن أثر العملية كان محدوداً جداً من الناحية العسكرية، لأن الجيش المصري كانت لديه الفرصة لتدمير الوجود الاسرائيلي، أو على الأقل البدء بحرب استنزاف، والخياران ضاران باسرائيل(٢).

والواقع ان الموقف العسكري تضمن عناصر ضارة بالطرفين: فهو من جهة كان يمثل حالة قلق في مصر، وكان من جهة أخرى وضعاً باهظ التكاليف بالنسبة لإسرائيل، فمحافظتها على هذا الوضع العسكري كانت تتطلب منها استمرار تعبئتها العسكرية ودعوتها للاحتياط لأجل طويل، وهذه ضرورة حاولت اسرائيل ان تتحاشاها دائماً. وعلى أي حال، كان الموقف محفوفا بامكانية استئناف القتال بين الطرفين في أية لحظة، وبخاصة بعد فشل محادثات الكيلومتر ١٠١ بين اسرائيل ومصر.

كان الرأي السائد يرى ان حرب تشرين الأول/ اكتوبر قد خلقت وضعاً

---

(١) Marvin Kalb and Bernard Kalb, *Kissinger* (Boston: Little, Brown, 1974), p. 50.

(٢) للاطلاع على أمثلة عن الرأي الأول، انظر:

Shlomo Aronson, *Conflict and Bargaining in the Middle East: An Israeli Perspective* (Baltimore, Maryland: Johns Hopkins University Press, 1978), and Golda Meir, *My Life* (London: Weidenfeld and Nicolson, 1975).

وللاطلاع على امثلة عن الرأي الثاني، انظر:

Saadeldine el - Shazly, *The Crossing of Suez: The October War 1973* (London: Third World Center for Research and Publishing, 1980), and

محمد حسنين هيكل، في مفترق الطرق (بيروت: شركة المطبوعات، ١٩٨٣).

ملائماً جداً لبدء المفاوضات بين طرفي النزاع. وبما أن احدهما لم يحرز نصراً واضحاً فبإمكانهما ادعاء نصر نسبيّ. فالمصريون قد استعادوا شرفهم وغيّروا الموقف وكسبوا ثقتهم المفقودة بأنفسهم وذلك بعبور القناة. أما الاسرائيليون، فانهم لم يحرزوا نصراً ساحقاً كما كان الأمر في عام ١٩٦٧، إلا انهم صدّوا السوريين وعبروا القناة الى ما وراء الخطوط المصرية، واقتربوا جداً من القاهرة نفسها. ويذهب بعض المراقبين حتى الى أبعد من هذا، فيقولون إن كيسنجر قصد الى خلق حالة جمود في الموقف العسكري، وذلك لكي يقنع العرب والاسرائيليين معاً بالجلوس الى مائدة المفاوضات[3]. قال كيسنجر ما نصه: «إذا أردنا أن نحل نزاعاً خطيراً فيجب ان تكون النقطة التي نبدأ منها هي النقطة التي يشعر عندها كل من الطرفين أنه قد حاز شيئاً، وانه إذا اكتفى به فهذا الاكتفاء ليس هزيمة له»[4].

ولم يكن الموقف ملائماً لتحقيق تسوية فحسب، بل كانت كل من مصر وإسرائيل مستعدة لقبول دور فعال تلعبه امريكا لحل النزاع. والذي جرى في نهاية شهر تشرين الأول/ اكتوبر هو ذهاب كل من غولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل واسماعيل فهمي وزير الخارجية المصرية بالوكالة الى واشنطن للاجتماع بهنري كيسنجر. كان على اسرائيل، من جهة، وقد انعزلت دولياً، ان تعتمد على الولايات المتحدة من أجل مساعدتها دبلوماسياً وعسكرياً واقتصادياً[5]. وفي المقابل فإن السادات أدرك منذ البداية الدور الذي بوسع الولايات المتحدة أن تلعبه، ولذا فان الاتصالات بين البلدين لم تنقطع حتى خلال الحرب. فالسادات، الذي خاض حرب تشرين الاول/ اكتوبر لكي يلفت انتباه الولايات المتحدة، بدأ منذ عشية السادس من تشرين الاول/ اكتوبر في إجراء الاتصالات، فقام وزير خارجية مصر حينئذٍ، محمد حسن الزيات، بإبلاغ كيسنجر بأهداف مصر المحدودة من الحرب، وبنيّتها في عدم إثارة القضية أمام الأمم المتحدة[6]. وقد اقترح عليه الوزير كذلك ان تقدم الولايات المتحدة

---

(٣) للاطلاع على امثلة عن الداعين الى هذه الحجة، انظر:
Edward R. Sheehan, *The Arabs, Israelis and Kissinger: A Secret History of American Diplomacy in the Middle East* (New York: Reader's Digest Press, 1976), p. 479, and Insight Team of the London Sunday Times, *The Yom Kippur War* (New York: Doubleday, 1974), p. 254.

(٤) قول كيسنجر منقول عن محادثات هيكل معه، انظر:
Journal of Palestine Studies, vol. 3, no. 2 (Winter 1974), p. 210, and
هيكل، في مفترق الطرق، ص ١٦٣ ـ ١٨٤.

(٥) William Baur Quandt, *Decade of Decisions: American Policy toward the Arab - Israeli Conflict, 1967 - 1976* (Berkeley, Calif.: University of California Press, 1977), p. 209.

(٦) Mohammed Hasanayn Heikal, *The Road to Ramadan* (London: Collins; New York: Quadrangle; New York Times Book Co., 1975), p. 43.

اقتراحاً للسلام قائلاً: «هذه هي فرصتك الآن أن تتكلم مع كل من مصر واسرائيل بدون الثقة الكبيرة بالنفس التي كانت تشعر بها اسرائيل وبدون الافتقار للثقة بالنفس الذي كنا نشعر به نحن»[٧]. وفي السابع من تشرين الأول/ اكتوبر، اوضح له حافظ اسماعيل، مستشار السادات للأمن القومي، شروط مصر لإنهاء الحرب، فذكر أن مصر لا مصلحة لها «في زيادة الاشتباكات أو توسيع المواجهة»[٨]. وقد استعمل عبارة فهمها كيسنجر حين اضاف: «إن مصر لا تنوي السير في العمليات الهجومية ضد اسرائيل الى ما وراء الأرض التي استردتها أو ان تستخدم امريكا بمثابة كبش فداء»[٩]. وفي الخامس عشر من تشرين الأول/ اكتوبر أكد السادات، عن طريق حافظ اسماعيل، من بين امور اخرى، تصميم مصر على القيام بإجراء حوار مع الولايات المتحدة، ودعا كيسنجر لزيارة مصر: «إن مصر سترحب بالدكتور كيسنجر تقديراً لجهوده. سيكون الجانب المصري مستعداً لبحث أي موضوع أو اقتراح أو مشروع في نطاق مبدأين اثنين ـ واعتقد ان الدكتور كيسنجر لا يرفضها الآن ـ هما أن مصر لا يمكنها ان تقدم أية تنازلات تتعلق بالأرض أو بالسيادة»[١٠].

وكانت إدارة الرئيس نيكسون تبحث، وقد أضعفتها أزمة ووترغيت، عن أي نجاح في السياسة الخارجية كقضية النزاع العربي ـ الإسرائيلي، فيرفع ذلك من شأنها داخلياً ودولياً[١١]. ثم إن الحرب والضغط الدولي الذي نجم عنها كانا من العوامل الأخرى التي أقنعت الإدارة الأمريكية بوضع الشرق الأوسط على لائحة أسبقياتها. وبالتالي، كانت، استراتيجية الولايات المتحدة تتلخص في أن تلعب دوراً فعالاً في الدبلوماسية الخاصة بالنزاع العربي ـ الاسرائيلي، وذلك بأن تلتزم بالقيام بعملية معينة دون أن تلتزم بنتيجتها. وهذا يعني أن الولايات المتحدة ستقوم بجهدٍ ما دون أي ضمان لانسحاب اسرائيل من الأرض العربية المحتلة أو الإقرار بحقوق الفلسطينيين. وبهذا ستهدىء الولايات المتحدة من خواطر مصر والأنظمة الصديقة «المعتدلة» في المنطقة دون أن تفرض على اسرائيل تسوية بعينها[١٢]. وقد تحدث كيسنجر، عما أسماه باستراتيجية عالمية تهدف الى تقليص النفوذ السوفياتي في المنطقة، في اجتماع لمجموعة رجال الأعمال عقد في واشنطن يوم الثاني من تشرين الثاني/ نوفمبر قائلاً: «إننا نستطيع أن نقلل من النفوذ السوفياتي في المنطقة ونستطيع أن نرفع الحصار النفطي إذا استطعنا ان نحقق برنامجاً معتدلاً، ولسوف نحققه. وإلا فسيضطر العرب الى العودة الى أحضان السوفيات، وسنخسر

(٧) Henri Kissinger, *Years of Upheaval* (Boston: Little, Brown, 1982), p. 476.
(٨) المصدر نفسه، ص ٤٨٢.
(٩) المصدر نفسه، ص ٤٨٢.
(١٠) المصدر نفسه، ص ٥٢٧.
(١١) Quandt, *Decade of Decisions: American Policy toward the Arab - Israeli Conflict, 1967 - 1976*, p. 208.
(١٢) المصدر نفسه، و Kissinger, *Years of Upheaval*.

النفط، وسيكون العالم بأسره ضدنا، ولن نحصل على صوت واحد في الأمم المتحدة الى جانبنا. إن علينا أن نثبت للعرب ان من الأفضل لهم ان يتعاملوا معنا حول برنامج معتدل من أن يتعاملوا مع الروس حول برنامج راديكالي»[١٣].

وجاءت زيارة كيسنجر للشرق الأوسط كخطوة أولى نحو تحقيق هذه الاستراتيجية. وفي اجتماعه الأول مع السادات، أوضح ان السلام في المنطقة لا يعتمد فقط على استعداد امريكا بالدخول في عملية السلام، بل يعتمد كذلك على وجود زعيم عربي مستعد للالتزام بالسلام[١٤]. ثم مضى قائلاً للسادات إن سياسة عبدالناصر المتمثلة في ابتزاز التنازلات بتعبئة العالم الثالث ضد الولايات المتحدة، وبتأييد سوفياتي، لم تنجح في الماضي، ولن يفسح لها المجال لتنجح في المستقبل. وليس هناك لدى الولايات المتحدة ما يدفعها الى أن تكون مستعدة لمساعدة زبائن الاتحاد السوفياتي. ولكن مصر إذا ما نهجت سياسة قومية خاصة بها فإنها ستجد الولايات المتحدة مستعدة للتعاون.

وقد وعد السادات بإنهاء الموروث الناصري، وبإعادة العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة. وذهب الى أبعد من هذا فأفصح عن عدائه للسوفيات، وحث الولايات المتحدة على أن تنتهج، هي ومصر، «استراتيجية مشتركة» في الشرق الاوسط[١٥]. ولا أرى في استجابة السادات شيئاً مستغرباً، لأن فحوى المحادثات مع كيسنجر كانت نسخة طبق الأصل عن رسالته الى نيكسون في عام ١٩٧٠.

أما بشأن قضية الجيش الثالث وعودة الاسرائيليين الى المواقع كما كانت في ٢٢ تشرين الأول/ اكتوبر، فقد قدم كيسنجر للسادات مشروعاً إسرائيلياً في شكل اقتراح امريكي، وأصبح يعرف باسم «مشروع النقاط الست». ويستند هذا المشروع الى مباحثات غولدا مائير مع كيسنجر خلال زيارتها لواشنطن[١٦]. وبموجب هذا المشروع:

١ - توافق مصر وإسرائيل على الالتزام بوقف إطلاق النار الذي دعا إليه مجلس الأمن الدولي التزاماً دقيقاً.

---

(١٣) Kissinger, Ibid., p. 616.

(١٤) المصدر نفسه، ص ٦٣٨.

(١٥) المصدر نفسه، ص ٦٤٠، و Sheehan, *The Arabs, Israelis and Kissinger: A Secret History of American Diplomacy in the Middle East,* p. 49.

(١٦) تستند النقاط الست الى مباحثات مئير مع كيسنجر خلال زيارتها لواشنطن، انظر: Quandt, *Decade of Decisions: American Policy toward the Arab - Israeli Conflict, 1967 - 1976,* p. 217, and Kissinger, *Years of Upheaval,* pp. 639 - 642.

٢ ـ يوافق الطرفان على أن يبدآ فوراً مباحثات لتسوية مسألة العودة إلى مواقع ٢٢ تشرين الأول/ اكتوبر في نطاق اتفاقية لفك الاشتباك والفصل بين القوات تحت إشراف الأمم المتحدة.

٣ ـ تتلقى مدينة السويس مؤونة يومية من الطعام والماء والدواء. ويرحّل جميع الجرحى المدنيين عن المدينة.

٤ ـ لا يسمح بأية إعاقة لحركة التجهيزات غير العسكرية إلى الضفة الشرقية.

٥ ـ تحل نقاط حراسة تابعة للأمم المتحدة محل نقاط الحراسة الاسرائيلية على طريق القاهرة ـ السويس. وفي نهاية الطريق من جانب السويس، يمكن للضباط الاسرائيليين ان يشتركوا مع الأمم المتحدة في مراقبة الطبيعة غير العسكرية للحمولة عند ضفة القناة.

٦ ـ ما أن تقام نقاط الحراسة التابعة للأمم المتحدة على طريق القاهرة ـ السويس، حتى يتم تبادل أسرى الحرب جميعاً، ومن ضمنهم الجرحى.

كان لمصر خياران في نظر كيسنجر: الأول أن تعتمد على الموقف الدولي، أي البيان الأوروبي والتأييد السوفياتي، فتصر على انسحاب اسرائيلي الى خطوط ٢٢ تشرين الأول/ اكتوبر. وهذا الأمر سيكون صعباً جداً، ومحرجاً للولايات المتحدة ويأخذ وقتاً طويلاً، ولكن كيسنجر افترض أن الولايات المتحدة ستجبر في نهاية المطاف على مسايرته[١٧]. والاحتمال الثاني هو ترك مسألة خطوط تشرين الأول/ اكتوبر، والتطلع الى شيء أكبر ذي نتائج أكبر، أي تحقيق فك اشتباك القوات من خلال دبلوماسية الولايات المتحدة، وبموجبه تنسحب اسرائيل من منطقة محدودة قبل الممرات.

وبقبول السادات للخيار الثاني، وبالتالي قبوله بمشروع النقاط الست، فإنه بذلك يبني الثقة بين مصر وإسرائيل، فيعالج الجانب النفساني من النزاع العربي ـ الاسرائيلي[١٨].

وفي الثالث عشر من تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٣ وقّع الجانبان المصري والاسرائيلي مشروع النقاط الست في الكيلومتر ١٠١. وبقبول السادات بالمشروع، يكون قد تخلّى عن إصراره السابق بانسحاب اسرائيل الى مواقع ٢٢ تشرين الأول/ اكتوبر حيث كانت إسرائيل في وضع سيء نسبياً. وظل الجيش الثالث محاصراً. ووعد

---

(١٧) Kissinger, Ibid., p. 639.
(١٨) المصدر نفسه.

السـادات سراً بـإنهاء الحصـار المفـروض عـلى مضيق بـاب المنـدب ضـد السفن الاسرائيلية. مع هذا ضمنوا له مؤونة للجيش الثالث وحمايـة من قوات الأمم المتحـدة على طريق القاهرة ـ السـويس. كانت هـذه صيغة لانقـاذ ماء الـوجه، وذلـك بإتـاحة الفرصة له حتى يقول علناً ان الطريق هو تحت سيطرة الأمم المتحدة، في حين كـان في واقـع الامر تحت سيـطرة الاسرائيليين الـذين سمـح لهم، رغم وجـود الأمم المتحـدة «بمراقبة الطبيعة غير العسكرية للحمولة»[19]. يضاف الى هذا أن التوقيـع على المشروع وضـع الولايات المتحدة في النهاية في صلب الدبلوماسية الخاصة بالنزاع العـربي ـ الاسرائيلي، وهذا تطور كان السادات تواقاً لتحقيقه.

لم تحقق زيارة كيسنجر الأولى للمنـطقة مشروع النقـاط الست فحسب، بل إنها كذلك كانت بداية لعلاقات حميمة وإعجاب متبادل بـين السادات وكيسنجـر الى درجة أن هذا الأخير اعتبر هذه العلاقة إحدى «الفتوحـات الكبرى» في دبلومـاسيته. إنها من جهة حققت تحولاً رئيساً في سياسة مصر الخارجية، ومن جهة أخرى، غيرت الصـورة التي يحملها كيسنجر عن السادات من صورة مهرج في سيرك الى صورة رجل دولة.

يقول برنـارد ومارفن كـالب: «إن كيسنجر كـان كله ثناء عـلى الزعيم المصري. وقـال، أظهر السادات حكمة عظيمة؛ وعليكم ان تسندوا إليه كثيراً من الفضـل!»[20]. وتحدث كيسنجـر في مذكراته عن اسلوب السادات فقال: «كان السادات يتبع طريقة ما لبثت ان تعرفت عليهـا جيداً: إنه ينطلق سريعاً من توافه الأمور الى أعاظمهـا، لكي يقدم تنـازلات تكتيكية رئيسيـة، لا بل مذهلة، لقاء إحداث زخم نفساني لا رجعة فيه»[21].

امـا على الجـانب الاسرائيلي، فـإن مشروع النقـاط الست ضمن إطـلاق سراح أسرى الحـرب الاسرائيليين دون أن يستخـدم هذا كـأداة مساومـة من مصر للحصول عـلى تنـازلات إقليميـة من إسرائيـل. كـذلـك أعفى اسرائيـل من الضغط عليهـا للانحساب إلى مواقع ٢٢ تشرين الأول/أكتوبر، كـما انه لم يـدع إلى رفع الحصـار عن الجيش الثالث، الأمر الذي كان، بالطبع، في صالح إسرائيل.

ولم يكن من شأن زيارة كيسنجر للمنطقـة أن تحقق فقط مشروع النقاط الست، وأن تؤدي الى تطوير علاقات خاصة مع السادات، بـل إنها كذلـك كانت نقـطة البدء في تضاؤل العلاقات السوفياتية ـ المصرية. وقد نظر السوفيـات الى زيارة كيسنجـر الى القاهرة، والى قرار مصر باستئناف العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة، كدليل واضح آخر على نية السادات في الانفصال عنهم، وبالتالي استبعادهم من دبلوماسية ما

(١٩) المصدر نفسه، ص ٦٤٢.

(٢٠) Kalb and Kalb, *Kissinger*, p. 510.

(٢١) Kissinger, *Years of Upheaval*, pp. 642 - 643.

بعد حرب تشرين الأول/ اكتوبر. فقد انتقدت، مثلا، جريدة «برافدا»، في مقالين لها ظهرا في العاشر والسادس عشر من تشرين الثاني/ نوفمبر، انتقدت السادات ضمناً لقبوله «بمشروع كيسنجر» وعزوفه عن تأييد المبادرة السوفياتية المطالبة بانسحاب إسرائيل الى خطوط وقف اطلاق النار في ٢٢ تشرين الاول/ اكتوبر[٢٢]. بل إن السادات نفسه أقرّ بهذه الحقيقة، حين ذكر أن السوفيات اعتقدوا انه انحاز الى الجانب الأمريكي ضدهم.

اما على الصعيد الإقليمي، فقد انعقد مؤتمر القمة العربي في الجزائر في ٢٦ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٣ لتنسيق استراتيجية عربية للسلام. وبعد ان استعرض الزعماء العرب الموقف، وافقوا على تعزيز التضامن العربي، والاستمرار في تأييد سوريا ومصر، ومواصلة الحظر النفطي[٢٣]. كذلك عبّر رؤساء الاقطار العربية عن امتنانهم للمساعدة السياسية والعسكرية التي قدمها الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الاخرى للعرب[٢٤]. ومع أنهم سجلوا تقديرهم لبيان الجماعة الأوروبية، الصادر في السادس من تشرين الثاني/ نوفمبر، فقد طالبوا الاقطار الاوروبية بالتخلي عن بيع الأسلحة الى اسرائيل. كذلك لفتوا انتباه الولايات المتحدة الى أن تحالفها المطلق مع إسرائيل سيضر بمصالحها في المنطقة[٢٥]. وبعد أن تدارس الزعماء العرب عناصر الموقف، وضعوا استراتيجيتهم للسلام، وكانت تدور حول عنصرين هما: انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية وإعادة حقوق الفلسطينيين.

إن نظرة ثاقبة الى القمة العربية وقراراتها تكشف عن أن المشاركين كانوا يدركون كل الإدراك اتجاهات الموقف الرئيسة وهي اتجاهات في صالح الأمة العربية. وكان تقديرهم الشامل للأمور يميل الى تسوية سلمية شاملة للنزاع. وقد نقل عن الرئيس الجزائري بومدين قوله عن الموقف: «ان الجزائر مستعدة لتمويل المزيد من صفقات السلاح لكل من مصر وسورية إذا اقتضت الحاجة، ما دامتا تصران على تسوية شاملة ولا تنخدعان باقتراحات كيسنجر في الموافقة على انسحابات محدودة»[٢٦].

وفي حين كانت الاقطار العربية مهتمة بتسوية شاملة، كانت إسرائيل من جانبها غير مهتمة سوى بتسوية جزئية مع مصر، على أساس مقترحات دايان ـ السادات لسنة

---

(٢٢) للاطلاع على تفاصيل الموقف السوفياتي، انظر:
Robert Owen Freedman, *Soviet Policy toward the Middle East since 1970* (New York: Praeger, 1982), and Mahmoud Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East* (New York: Quartet Books, 1981), pp. 263 - 268.

(٢٣) Riad, Ibid., pp. 264 - 265.

(٢٤) Freedman, Ibid., p. 155.

(٢٥) Riad, Ibid., p. 265.

(٢٦) نقلاً عن: المصدر نفسه.

١٩٧١[٢٧]. وكانت استراتيجية اسرائيل تستند الى عنصرين عبر عنهما شلومو أرونسون كما يلي: «إن اسرائيل ستحاول الحصول على أقصى التنازلات السياسية من مصر لقاء أدنى التنازلات الإقليمية من جانبها. فحكومة اسرائيل تريد أن تجعل النزاع أقل أهمية بالنسبة لمصر، لكي لا تكون طرفاً بعد ذلك في المطالب المقدمة من الائتلاف العربي»[٢٨].

وعلى الرغم من مشروع النقاط الست، ظلت الحالة على خطورتها السابقة. فقد بلغت المحادثات المصرية ـ الاسرائيلية لتطبيق المشروع طريقاً مسدوداً، لا سيما ما يتعلق بالنقطة الثانية. ففي حين اراد الوفد المصري انسحاباً إسرائيلياً الى خط يمتد من العريش الى رأس محمد في جنوب سيناء، كما في مبادرة السادات المعلنة في الرابع من شباط/ فبراير ١٩٧١، كان الموقف الاسرائيلي يتأرجح بين انسحاب متبادل الى حدود ما قبل حرب تشرين الأول/ اكتوبر، وبين الانسحاب من ضفة القناة الغربية بشرط تخفيف عدد القوات المصرية في ضفتها الشرقية[٢٩]. وأخيراً قطع الوفد المصري المفاوضات.

ويمكن إرجاع فشل المحادثات المباشرة الأولى بين اسرائيل ومصر الى عدد من العوامل: كانت حكومة غولدا مائير التي زعزعتها الحرب، غير مستعدة، لاعتبارات تتعلق بالسياسة الداخلية، للالتزام بأي انسحاب قبل الانتخابات الجديدة في ٣١ كانون الاول/ ديسمبر[٣٠]. كما كان السادات، من جهة أخرى، يتعرض لضغط من القيادة العسكرية لتصفية الجيب الاسرائيلي، وهذا أمر كان يلقى التأييد في وزارة الخارجية ايضا على اساس انه سيحسن من مركز المفاوض المصري في مؤتمر جنيف القادم[٣١]. أما على الصعيد الإقليمي، فقد كان اشتراك مصر في محادثات الكيلو ١٠١ عرضة للهجوم من عدد من الأقطار العربية، على اساس ان اسرائيل ليست راغبة في السلام، وبالتالي فإن مثل هذه المحادثات ستكون مضيعة للوقت، ولن تحقق شيئاً

---

(٢٧) للاطلاع على تفاصيل اقتراح دايان في ١٩٧١ ومقترحات اسرائيل في محادثات الكلم ١٠١، انظر:
Moshe Dayan, *Story of My Life* (New York: William Morrow, 1976).

(٢٨) Aronson, *Conflict and Bargaining in the Middle East: An Israeli Perspective,* p. 205.

(٢٩) للاطلاع على مزيد من التفاصيل عن الموقف الاسرائيلي، انظر:
Dayan, Ibid., and Quandt, *Decade of Decisions: American Policy toward the Arab - Israeli Conflict, 1967 - 1976.*

(٣٠) Kissinger, *Years of Upheaval*, p. 752.

(٣١) للاطلاع على تفاصيل الموقف المصري، انظر:
Ismail Fahmy, *Negotiating for Peace in the Middle East,* and Raid, *The Struggle for Peace in the Middle East.*

سوى إضعاف التضامن العربي[٣٢]. وأما على الصعيد الدولي، فقد لعب كيسنجر دوراً كبيراً في إبطاء سير تلك المحادثات. بل إنه أقر انه كان يخشى، عند نقطة معينة، أن تتوصل مصر واسرائيل الى اتفاق قبل عقد مؤتمر جنيف وهو ما لا ينسجم مع استراتيجته.

قال كيسنجر: «إننا، بصراحة، لم نكن تواقين جداً للتوصل الى مخرج في محادثات الكيلو ١٠١ قبل انعقاد مؤتمر جنيف. كانت استراتيجيتنا تتطلب أن يجتمع المؤتمر أولاً لنزع فتيل التوتر من الموقف السائد فنشير بذلك الى حدوث تقدم، ومن ثم نستخدم المؤتمر لتثبيت دورنا المركزي. فإذا اختفى البند الخاص بفك الارتباط من جدول اعمال المؤتمر، فسنساق الى مداولات لا نهاية لها حول قضايا الحدود، والتي كنت أعلم اننا لن نكون قادرين على تحقيق شيء بشأنها سريعاً، هذا إن كنا قادرين على ذلك على الاطلاق»[٣٣].

كان الجمود في الموقف خطيراً جداً. فوزارة الخارجية المصرية تصر على فك ارتباط القوات قبل مؤتمر جنيف. وقد ذهب وزير الخارجية الى أبعد من ذلك، فألمح لسفير الولايات المتحدة في القاهرة أن مصر قد تناشد الحكومتين السوفياتية والأمريكية، أو مجلس الأمن الدولي، بأن يكسروا حالة الجمود[٣٤]. وهذا التلميح ينطوي على تهديد «باستعمال الورقة السوفياتية» في اللعبة. فضلاً عن هذا ألمحت مصر الى أنها تدرس إمكانية استئناف العمليات العسكرية.

كان رد الولايات المتحدة متمثلاً في سياسة تجمع بين الإكراه والإقناع. فقد أكد نيكسون في رسالة بعثها الى السادات التزام الولايات المتحدة بالسلام من خلال مؤتمر جنيف، قائلاً: «إن الولايات المتحدة ستكون في مؤتمر السلام في مركز يمكننا من ممارسة نفوذنا البناء نحو سلام قائم على قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢٤٢»[٣٥]. وحذر كذلك من استئناف القتال واشراك الدولتين الأعظم في النزاع قائلاً: «أرى، مع كل الاحترام اللازم، أن الطلب الى الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بالمجيء الى المنطقة لضمان تطبيق قرار مجلس الأمن سيكون خطوة أدهى وأمرّ، خطوة لن تخدم مصالح بلادكم ولا السلام العالمي عموماً. إن فشل وقف إطلاق النار سيضعنا مرة أخرى مع الأسف في حالة مواجهة فتضيع علينا الفرصة بشكل لا رجوع فيه»[٣٦].

وهذه الرسالة لم تكن، في رأيي، موجهة في واقع الأمر الى السادات بل الى

(٣٢) للاطلاع على مزيد من التفاصيل عن المواقف العربية ازاء محادثات الكلم ١٠١، انظر: ابراهيم كروان، «الموقف العربي والتحرك نحو السلام،» السياسة الدولية، السنة ١٠، العدد ٣٦ (نيسان/ ابريل ١٩٧٤)، ص ٦٨ - ٨٠.

(٣٣) Kissinger, *Years of Upheaval*, p. 752.

(٣٤) المصدر نفسه، ص ٧٥٤.

(٣٥) المصدر نفسه.

(٣٦) المصدر نفسه.

الصقور في الحكومة المصرية، أي وزارة الخارجية ووزارة الدفاع. بل إن رسالة مشابهة أرسلت من كيسنجر الى اسماعيل فهمي.

أولاً: مؤتمر جنيف

وبغية تحاشي المزيد من التدهور في الموقف، عاد كيسنجر الى المنطقة ليهيء لمؤتمر جنيف. واجتمع السادات مرةً أخرى به، فأفصح عن شكوكه تجاه السوفيات، وعن رغبته في انهاء وجودهم في مصر، وذلك بإلغاء معاهدة الصداقة السوفياتية ـ المصرية. وأشار كذلك الى حاجته لنهاية سريعة لعملية السلام لكي يتاح له تحقيق أهدافه نحو السوفيات[٣٧]. ولم يكن السادات يلمح إطلاقاً إلى استخدام السوفيات كورقة للمساومة في مواجهة الولايات المتحدة، بل إنه استرسل فيما كان قد حدّث به كيسنجر سلفاً خلال اجتماعهما الأول.

قال كيسنجر، وهو يتحدث عن أسلوب السادات: «كان مفتاح استراتيجية السادات هو أن يعرض ما هو محتم على شكل تنازل، ويثبت دعواه في المقابلة بالمثل، والأهم من ذلك وضع الأساس للثقة المتبادلة»[٣٨].

وقد انعقد مؤتمر جنيف برئاسة الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة معاً، وحضرته كل من اسرائيل ومصر ورفضت سوريا الحضور، ولم تكن هناك أية إشارة صريحة للفلسطينيين.

وعلى الرغم من عدم تحقق أية نتائج ملموسة في المؤتمر بشأن الانسحاب الاسرائيلي، فقد كان أثره في السياسات العربية واضحاً. فقد أدّى قرار مصر بالحضور، الى تصدع في صف حلفاء الحرب. قال السادات عن الموقف السوري:
«إن وزير خارجية سوريا ذهب الى أمير الكويت والى الملك فيصل برسالة تقول إن مصر قد تخلت عن القتال، وإن مصر كانت على اتفاق مع الاسرائيليين وانها إنما تذهب الى جنيف لاعلان ذلك على رؤوس الاشهاد»[٣٩].

ثانياً: اتفاقية سيناء الأولى ـ فك الارتباط الأول

رغبةً من السادات في أن يثبت أن رهانه على الولايات المتحدة كان صحيحاً،

---

(٣٧) المصدر نفسه، ص ٧٦٨.

(٣٨) المصدر نفسه.

(٣٩) مقابلة للسادات مع جريدة السياسة الكويتية في ١٧ ايلول/ سبتمبر ١٩٧٥.

قام بإخبار كيسنجر خلال زيارته لأسوان في كانون الثاني/ يناير انه سيحدد موعداً نهائياً، هو الثامن عشر من كانون الثاني/ يناير لتحقيق فك الارتباط بين القوات المصرية والاسرائيلية. كان السادات يرجو من التزامه بتاريخ محدد، أن يحقق فك الارتباط قبل قيامه برحلته في الوطن العربي. إن هذا سيثبت للعرب أنه كان على صواب، ليس هذا فقط بل سيتيح له كذلك ان يعمل من أجل رفع الحصار النفطي. وقد كان السادات مستعداً ليروّج لرفع الحصار بطريقة «تعطي الفضل في ذلك امام الناس لنيكسون»[40]. ويمكن القول إن محاولة السادات تضمنت عنصري الإقناع والمكافأة للولايات المتحدة. كما كانت تعكس إدراكه لما كان يضغط على الولايات المتحدة آنئذٍ (أزمة النفط وفضيحة ووترغيت). كما كانت تعكس رغبته في المساعدة في عكس أثر هذه الامور. ومحاولة السادات هذه، إنما كانت بمثابة رسالة موجهة الى أمريكا. غير أن قيمة أية رسالة وأثرها يتوقفان على كيفية فهم الطرف الآخر لها. والذي جرى هو أن كيسنجر لم ينظر الى الموعد النهائي الذي وضعه السادات كوسيلة تدفعه الى العمل بشكل أسرع؛ كما انه لم يجد في «جزرة» السادات شيئاً مهماً.

وقد وصف كيسنجر الموقف بقوله: «إن الجزرة التي لوّح لنا بها السادات كانت في الواقع أقل أهمية بكثير من أهمية الموعد النهائي الذي حدده لنفسه. إن المفاوض الذي يحدد مهلة زمنية يضعف، في العادة، من موقفه إلا إذا اقتنع الوسيط، بدوره، أن فشل المفاوضات اكثر خطراً لبلاده منه لطرفي التفاوض، وهي حالة غير نادرة، لذا فإن موعد السادات النهائي قد ضمن بأنه سيمضي الى نهاية التنازلات الممكنة»[41].

والحق ان ما اعتبره كيسنجر عنصراً رئيساً في أسلوب السادات خلال المفاوضات، أي تقديم تنازلات مذهلة، كان واضحاً جداً خلال مفاوضات اتفاقية سيناء الأولى. لقد جاء كيسنجر مرة أخرى باقتراح اسرائيلي تحت غطاء اقتراح امريكي، وكان هذه المرة اقتراح دايان. وهو يدعو الى انسحاب اسرائيلي محدود (٢٠ كلم الى الشرق من القناة)، وتقليص عدد القوات المصرية، وإنشاء مناطق عازلة بين الطرفين، وإعادة فتح قناة السويس[42]. ان نظرة ثاقبة الى عملية التفاوض تكشف عن تصميم السادات على إبرام اتفاقية بأي ثمن.

---

(٤٠) Kissinger, Ibid., p. 811.

(٤١) المصدر نفسه.

(٤٢) لمزيد من التفاصيل، انظر:

Sheehan, *The Arabs, Israelis and Kissinger: A Secret History of American Diplomacy in the Middle East,* pp. 159 - 165, and Matti Golan, *The Secret Conversations of Henry Kissinger: Step by Step Diplomacy in the Middle East,* translated by Ruth Geyra Stern and Sol Stern (New York: Quadrangle, 1976), pp. 144 - 159.

كـان مطلب مصر الأول هـو أن تتراجـع القوات الاسرائيليـة الى ما وراء ممـري الجدي ومتلا، وهو تغيير كانت إسرائيل تعتـبره مستحيلاً. وبينـما كان كـل من الفريق الجمسي والوزير فهمي يصر على ذلك، أقنع كيسنجر السادات بقبول انسحاب محدود جـداً (٢٠ كلم الى الشرق من القناة)(٤٣). وقـد أدهش السـادات الجميـع، بمن فيهم كيسنجر، حينما قرر تخفيض عدد الدبابات المصرية من ٢٦٠ الى ٣٠ دبـابة، في حـين كان كيسنجر يحاول إقناع الاسرائيليين بأن السادات لن يقبل بتخفيض يقـل عن ٢٥٠ دبـابة(٤٤). وكـانت جسامـة تصرف السادات كبـيرة عـلى الفـريق جمسي، وقـد وصف اسماعيل فهمي ذلك، فيما بعد قائلاً: «كان الفريق جمسي مستاءً جـداً، ولم يكن قد استشـير، فشعر بأن الجيش المصري قـد أذل. اغرورقت عيناه بالـدموع، فنهض من كـرسيه مسرعـاً، وانتحى بركن قصيّ من الردهة وأجهش بالبكاء»(٤٥).

إن الاتفاقية قد حققت شيئاً للجميع: فقد استطاعت إسرائيل أخـيراً ان تسرّح الاحتياطي وتتفادى العواقب الاقتصاديـة التي تنجم عن استمرار التعبئـة العسكريـة. وانقذ السادات الجيش الثالث وأثبت ان الحرب قـد اكسبته أرضـاً(٤٦). إلا ان التقويم الشامل يظهر أن اتفاقية فك الارتباط الأولى كانت في صالح اسرائيل بشكـل واضح، ذلـك لأنها خففت الضغط عليها وجنبتهـا أية منـاقشة عن حـدود اسرائيـل النهـائيـة، والأهم من هذا أنها جعلت من الصعب على مصر أن تلجأ الى الحرب(٤٧). فضـلاً عن أن هذه الاتفاقية قد وسعت من شقة الخلاف بين مصر وسوريا. بل إن سوريا نـظرت الى ما قام به السادات كمؤشر على اتجاهه نحو حل ثنائي(٤٨).

ومع أن ثمة تفاهماً بين الرئيسين السادات والأسـد على أن فـك ارتباط القـوات يجب ان يكون على كلتا الجبهتين في نفس الوقت، فقد رفض السادات، في مفاوضتـه لكيسنجـر، أن يربط فـك الارتبـاط عـلى الجبهـة المصريـة بـالموقف السـوري. قـال كيسنجر: «كان السادات على قناعة بأنه ما لم تمْضِ مصر لوحدها فإن الرئيس حـافظ الأسد سيجـد دائماً ذريعةً ما للتأخير أو لطرح مطالب مستحيلة»(٤٩).

ولم تؤدِّ الاتفـاقية الى إضعـاف التحـالف المصري ـ السـوري فحسب، بـل إنها

---

(٤٣) Sheehan, Ibid., p. 161.
(٤٤) Kissinger, *Years of Upheaval,* and Fahmy, *Negotiating for Peace in the Middle East.*
(٤٥) Fahmy, Ibid., p. 73.
(٤٦) Sheehan, *The Arabs, Israelis and Kissinger: A Secret History of American Diplomacy in the Middle East,* p. 112.
(٤٧) المصدر نفسه، ص ٧٠٣.
(٤٨) للاطلاع على تفاصيل الموقف السوري، انظر:
Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East.*
(٤٩) Kissinger, *Years of Upheaval,* p. 815.

كانت كذلك بداية التدهور في الدور السوفياتي في عملية السلام. وعلى نقيض ما كـان في مؤتمـر جنيف، حيث شارك في رئـاسته كلتـا الدولتـين الأعظم، كـانت دبلومـاسيـة الخطوة خطوة عرضاً أمريكياً محضاً أنهى كل حديث عن مؤتمر جنيف.

ومن مراقبة سلوك السادات خلال عملية المفاوضات، يمكن للمرء ان يلاحظ ما يلي: أولاً، كان السـادات يثق ثقة عميـاء بكيسنجر الى درجـة أنه كـان يوافق عـلى ما يطرحه من اقتراحات دون أن يقرأها بعناية. ويقول اسماعيل فهمي ان كيسنجر قـدّم، خلال زيارته الثانية لأسوان، اقـتراحاً إسرائيليـاً حسن الصياغـة ولكنه يخفي في ثنـاياه إنهاء حـالة الحـرب، وهو أمـر كانت مصر تـرفضه وقتـذاك. ويضيف فهمي قـائـلاً: «وكالعادة نظر السادات الى الاقتراح ووافق عليه». فلما لفت نـظره الى ما خفي في النص قـال يخاطب كيسنجر مستغرباً: «آه يا هنري، ظننتك صديقي»[٥٠].

ثانياً، لم يكن السادات يتمتع بأي حس تفاوضي، بل إنه كـان صريحاً وصـادقاً مـع كيسنجر، ولم يستعمـل أوراقه في المفـاوضات إلا قليـلاً ممـا أدهش كيسنجـر كـل الدهشة. وقد تساءل كيسنجر فيما بعـد عن سبب عدم استغـلال السادات لأوراقـه في اللعبة[٥١]. فهو لم يناقش قط تهديدات كيسنجر ولكنه كان يصدقها على ظاهـرها، غـير قادر على إدراك كونها جزءاً من عملية المساومة، وأنه كان بوسعه أن يقابلها بمساومـات أخرى. أوضح كيسنجر، مثلاً، خلال المراحل الأولى من المفاوضات، وهو يحـاول أن يوحي للسادات بعدم وجود خيار عسكري لديه في مواجهة الجيب الاسرائيلي، أوضح للسادات أنه إذا استعمل القوة ضد القوات الاسرائيلية في الضفة الغربية للقنـاة، فإن الولايات المتحدة ستتدخل لأنها لن تسمح لسلاحها أن يهزم من سلاح سوفياتي. وقـد قبل السادات ذلك المنطق من دون نقاش. وفي الحقيقة، فإنه يمكن القول إن السادات قد خالف أبسط قـواعد التفـاوض، فبدلاً من ان يستمـع أولاً الى كيسنجر لـيرى ماذا يمكنـه ان يحصل عليـه منه من تنـازلات، كان دائمـاً هـو البـادىء بـالكـلام وتقـديم التنازلات. لقد كان هذا واضحاً، على سبيـل المثال، عنـدما وعـد السادات كيسنجـر بـاستئناف العـلاقات الـدبلومـاسيـة مـع الـولايـات المتحـدة دون أن يـطلب شيئـاً في المقابل[٥٢]. (علماً بأن الولايات المتحـدة كانت ولمـدة أربع سنـوات تحاول إقنـاع مصر باستئناف العلاقات). كما انه ايضـا وعد كيسنجـر بإنهاء الـوجود السـوفياتي في مصر، دون ان يستعمل ذلك كورقة يساوم بها من اجل تسويـة شاملة. وهنـاك واقعة اخـرى

(٥٠) Fahmy, *Negotiating for Peace in the Middle East,* p. 70.

(٥١) Aronson, *Conflict and Bargaining in the Middle East: An Israeli Perspective,* p. 224.

(٥٢) Kissinger, *Years of Upheaval,* p. 641.

حدثت اثناء المفاوضات حول شكل مؤتمر جنيف ومضمونه، فقد وعد السادات كيسنجر بعدم إثارة موضوع الفلسطينيين على مائدة المفاوضات أثناء فترة فض الاشتباك، كما أنه أبدى استعداده للذهاب الى جنيف سواء حضر الأسد أم لم يحضر، وبالطبع تعتبر هذه الوعود مخالفة صريحة لمقررات قمة الجزائر العربية(٥٣).

كما انه على النقيض مما تدعو إليه قواعد التفاوض الأساسية التي تتطلب من المفاوض ان يطرح في البداية اقصى ما لديه من مطالب، ثم من طريق المفاوضات يصل تدريجياً الى موقفه الرسمي، فإن السادات كان يطرح موقفه الرسمي منذ البداية، وهو أمر لم يترك له مجالاً للمساومة أو المناورة، ودفعه الى سلسلة من التنازلات حول بعض القضايا الاساسية.

إضافة الى كل ذلك، كان السادات تهادنياً تجاه المقترحات الاسرائيلية، غير قادر على التمييز بين ما يمثل مطالب قصوى ومطالب دنيا، وهو ما أدى به الى قبول بعض المقترحات الاسرائيلية المتشددة، والمجحفة، من منطلق ان ذلك أقصى ما يمكن لاسرائيل قبوله.

يقول متي غولان: «خلال زيارة غولدا مائير لواشنطن في تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٧٣، قدمت مطالب للسادات اعتبرها كيسنجر مطالب قاسية ومتهورة، ومع هذا قبل بها السادات»(٥٤).

وخلال المفاوضات بشأن اتفاقية فك الارتباط الأولى، قدم الاسرائيليون لكيسنجر مشروع دايان، فخشي كيسنجر ألا يستطيع الحصول على موافقة السادات عليه. وبما أن اسرائيل قدمت ذلك المشروع على أساس قبوله كله أو رفضه كله، فسيكون أصعب على كيسنجر أن يقنع السادات بقبوله. فطلب كيسنجر من الاسرائيليين ان يقدموا اقتراحاً أكثر تشدداً ليقدمه للسادات على أن يستخدم مشروع دايان كخط للرجعة، عسى أن يقنع السادات بقبوله باعتباره الحد الأدنى الذي يمكن أن توافق اسرائيل عليه. يقول كيسنجر في هذا الصدد وهو يروي ما حدث في اجتماعه بالسادات: «بما أنني كنت أعلم أن مشروع خط الرجعة المزعوم كان هو الطلب الاسرائيلي الحقيقي الوحيد، فقد مررت على المشروع البديل المتشدد مرّ الكرام لخشيتي أن يستاء السادات منه»(٥٥). ولكن المدهش هو ان السادات قبل بالمشروع المتشدد. فلما عاد كيسنجر الى اسرائيل لإبلاغ موقف السادات، وللحصول على الموافقة الرسمية، قال لآلون: «إنه

---

(٥٣) المصدر نفسه، ص ٨١٤.

(٥٤) Golan, *The Secret Conversations of Henry Kissinger: Step by Step Diplomacy in the Middle East*, p. 159.

(٥٥) Kissinger, Ibid., p. 822.

لنصر كبير أن نحصل على موافقة اسرائيل على اقتراحها ذاته»، فضحكنا معاً[٥٦]. إن ملاحظة كيسنجر لا تعكس فقط استسلام السادات، بل تعكس كذلك موقف اسرائيل المتشدد خلال المفاوضات.

ثالثاً، يعبّر تصرف السادات خلال المفاوضات، والى حد كبير، عن اسلوب علاقته بمستشاريه. فعلى خلاف الاسرائيليين الذين كانوا يتفاوضون بواسطة فريق يتألف من دايان وإيبان وآلون ودنيتز، سفيرهم في الولايات المتحدة، كان السادات يستبعد الوفد المصري من المفاوضات. والمرة الوحيدة التي اجتمع فيها الوفد المصري كفريق كانت حين طلب السادات من كيسنجر ان يقنعهم بقبول مشروع دايان. لقد كان السادات ميالاً، كالعادة، الى قبول مقترحات كيسنجر ضد رغبة مستشاريه. وليس مشروع النقاط الست واتفاقية سيناء الأولى إلا مثالين على ذلك.

ما ان حقق السادات فك الارتباط الأول حتى كان عليه ان يدفع الثمن: كان عليه على الصعيد الدولي ان يحوّل ولاءه من الاتحاد السوفياتي الى الولايات المتحدة، وهو تحوّل انعكس في قراره بتنويع مصادر السلاح لمصر. وبما أن الاتحاد السوفياتي كان قد استبعد من عملية السلام، في وقت يشهد تقارب السادات مع الولايات المتحدة، فقد قرر رفض تأييد مصر عسكرياً، وهو قرار منطقي[٥٧]. والواقع ان تدهور علاقات مصر مع السوفيات يرجع اساساً الى السادات. فبعد ان وعد كيسنجر بانهاء الوجود السوفياتي في المنطقة، استخدم السادات مسألة الأسلحة كذريعة لتغطية دافعه الحقيقي. وقد غضب السوفيات من جهتهم بسبب تصريحات السادات العلنية. ومع هذا وصل غروميكو الى القاهرة في الثاني من آذار/ مارس، أي بعد يوم واحد من استئناف العلاقات الدبلوماسية بين مصر والولايات المتحدة في محاولة غير ناجحة لرأب الصدع بين البلدين. والواقع ان السوفيات كانوا في وضع لا يحسدون عليه. فاستئناف العلاقات الدبلوماسية بين مصر والولايات المتحدة، قبل تحقيق تسوية شاملة للنزاع، لم يكن فقط ضاراً بالموقف التفاوضي المصري، بل أضعف كذلك دور الاتحاد السوفياتي. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الاتحاد السوفياتي «لا يمكنه أن يدير ظهره لمصر كلياً، فهو رغم كل ما جرى قد استثمر من الجهد ما استثمر في تأييد مصر سياسياً واقتصادياً وعسكرياً»[٥٨].

---

(٥٦) المصدر نفسه، ص ٨٣١.

(٥٧) للاطلاع على تفاصيل الموقف السوفياتي، انظر:

Alvin Z. Rubinstein, «Egypt since the October War,» *Current History,* vol. 70, no. 412 (January 1976), pp. 14 - 17.

(٥٨) انظر تفسير غروميكو لمحمود رياض، في:

Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East,* p. 278.

اما على الصعيد الإقليمي، فقد كان على السادات أن يسعى لرفع الحصار النفطي ضد الولايات المتحدة، وهذه فكرة كان قد رفضها كل من الملك فيصل والرئيسين الأسد وبومدين خلال قمتهم المصغرة في الجزائر. بل إن الأسد تمسك بحجته قائلاً إن العرب «سيجانبون الحكمة إذا تغاضوا عما تبقى لديهم من أدوات الضغط مقابل وعود مراوغة وغامضة يقطعها كيسنجر على نفسه رافضاً بعناد ان يقدم التأكيدات بأن الانسحاب الاسرائيلي سيشمل جميع الأراضي العربية المحتلة»[٥٩]. وأخيراً رفع الحصار النفطي بعد التوقيع على اتفاقية فك الارتباط في الجبهة السورية. ومع أن رفع هذا الحصار يمكن النظر اليه كثمن لفك ارتباط آخر، ولكنه مع هذا ثمن باهظ جداً، ذلك أن كيسنجر كان سيعقد اتفاقية فك الارتباط في الجولان على أي حال. كانت الحالة هناك، حيث يشن السوريون حرب استنزاف ضد اسرائيل، من الخطورة القابلة للانفجار بحيث لا يسع كيسنجر الا عقد تلك الاتفاقية[٦٠].

واما على الصعيد الداخلي، فقد بدأ السادات بالوفاء بوعده لكيسنجر «بأن ينهي الموروث الناصري». فبدأ أولاً بإجراء تغيير رئيسي في بنية مصر الاقتصادية والسياسية، فوضع كبديل للتخطيط الاقتصادي الاشتراكي، سياسة اقتصادية جديدة هي سياسة الانفتاح التي شكلت الأساس، كما أشار عدد من المراقبين بحق، لاعتماد مصر التام على الولايات المتحدة والغرب. وكان عماد تلك السياسة فتح أبواب مصر للاستثمار الأجنبي، لا سيما من الغرب والاقطار العربية الغنية. والواقع ان السادات قد شُجِّع من السعودية والولايات المتحدة معاً على تقوية القطاع الخاص في مصر على حساب القطاع العام. وقد شهدت سنة ١٩٧٤، مثلاً، زيارات متعددة قام بها خبراء أمريكيون مختصون بالشؤون المالية للمساعدة على إعادة صياغة الاقتصاد المصري، وذلك لربطه ربطاً كاملاً باقتصاد الولايات المتحدة. ولعب أشخاص مثل روكفلر ومكنمارا وسيمونز، وزير الخزانة الأمريكية، أدواراً فعالة في تلك العملية. قال روكفلر، مثلاً، بعد اجتماعه بالسادات: «أظن ان مصر قد أدركت الآن أن الاشتراكية والقومية العربية المتطرفة لم تساعدا الثلاثين مليوناً من سكانها، فإذا اراد السادات ان يساعدهم فما عليه إلا أن يتطلع الى المشاريع الخاصة والى العون»[٦١].

وأصبحت مصر تدريجياً مرتبطة باقتصاديات السوق، فغرقت في الديون

---

(٥٩) المصدر نفسه، ص ٢٧٧.

(٦٠) Sheehan, *The Arabs, Israelis and Kissinger: A Secret History of American Diplomacy in the Middle East.*

(٦١) Middle East Research and Information Project, *Middle East and the Oil Crisis,* MERIP Reports, no. 21 (Washington, D.C.: MERIP, 1974), part 2, p. 25.

الأجنبية[٦٢]. أما على الصعيد السياسي، فقد قدم السادات فكرة «المنابر» داخل الاتحاد الاشتراكي العربي كخطوة نحو إلغاء الاتحاد، وإقامة نظام متعدد الأحزاب. والواقع ان خطوات السادات الداخلية كانت تميل الى أن تضفي على مصر شكل الديمقراطية الليبرالية دون جوهرها.

وجاءت الخطوة الأخيرة في تحوّل مصر نحو الغرب مع زيارة نيكسون في الثاني عشر من حزيران/ يونيو ١٩٧٤. لقد وجد الرئيس الامريكي، الذي كان يعاني من فضيحة ووترغيت، وسيلة لتحسين صورته بزيارته للشرق الأوسط. ولم يدع السادات فرصةً الا اقتنصها ليجعل من هذه الزيارة مناسبة عامة يثني فيها على دور نيكسون، مؤكداً بانه مفتاح عملية السلام. قال كيسنجر عن ذلك: «اصطف ما لا يقل عن مليون مصري هاتفين في الشوارع عند مرور نيكسون والسادات في سيارة فارهة مكشوفة. ومن الواضح ان التظاهرات قد نظمت بعناية، فمن غير الممكن أن عشرات الألوف من المصريين كانوا قد احتفظوا بصور لنيكسون في خزاناتهم خلال كل تلك السنين التي لم يكن فيها بين مصر والولايات المتحدة علاقات دبلوماسية»[٦٣].

ولعب السادات شخصياً الدور الرئيسي في هذه المسرحية. قال: «وكما تلاحظون يا سيادة الرئيس فإن الشعب المصري الذي قدم للعالم أولى حضاراته سيعبّر لكم وللشعب الأمريكي من خلالكم عن مشاعر الصداقة»[٦٤]. وأضاف: «إني لعلى ثقة ان زيارة الرئيس نيكسون ستضع حجر الأساس على طريق تطبيع العلاقات الأمريكية ـ المصرية»[٦٥].

وهكذا انتهز السادات الفرصة ليبين لنيكسون أن مصر، وهي قطر متحضر كالولايات المتحدة نفسها، تضع كل ثقتها به وبقدرته على حل النزاع. كذلك قال لنيكسون، الذي كان في واقع الامر يواجه خطر محاكمة برلمانية وعلى وشك الاستقالة من الرئاسة، إن مصر تطالب بانسحاب اسرائيلي الى حدود عام ١٩٦٧، وبإقرار حقوق الفلسطينيين. ويقول كيسنجر إن السادات «شدّد بصورة خاصة على المطالبة بحدود مصر كما في ١٩٦٧»[٦٦]. وكان السادات كذلك يؤيد تأخير مؤتمر جنيف، وذلك لسد الطريق في وجه أي دور يمكن أن يلعبه السوفيات في المستقبل. وما هي إلا بضعة

---

(٦٢) للاطلاع على أثر سياسة الانفتاح على اقتصاد مصر، انظر: عادل حسين، **الاقتصاد المصري من الاستقلال الى التبعية، ١٩٧٤ ـ ١٩٧٩** (القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٢).

(٦٣) Kissinger, *Years of Upheaval*, p. 1126.

(٦٤) خطاب السادات، في: **خطب ومقابلات الرئيس السادات** (القاهرة: وزارة الاعلام، ١٩٧٠ ـ ١٩٨١).

(٦٥) المصدر نفسه.

(٦٦) Kissinger, *Years of Upheaval*, p. 1127.

أشهر حتى أجبر نيكسون على الاستقالة لدوره في فضيحة ووترغيت، واصبح جيرالد فورد رئيساً للجمهورية.

وعلى المستوى الاقليمي، تعالت الأصوات العربية مشككة في شرعية مصالحة مصر مع الولايات المتحدة، وبطريقة كيسنجر من دبلوماسية الخطوة خطوة. فقد عبّر الرئيس بومدين، خلال اجتماع القمة الأفريقية في مقديشو، عن مخاوفه من المصالحة المصرية ـ الأمريكية التي إنما تعبّد الطريق، في نظره، لسيطرة الولايات المتحدة على المنطقة بأسرها(٦٧).

وفي محاولة لرأب الصدع بين مصر وسوريا من جهة، ولتنسيق استراتيجية عربية لمواجهة المرحلة الجديدة من عملية السلام من جهة أخرى، عقد اجتماع قمة عربي في الرباط في ايلول/ سبتمبر. وفي هذا الاجتماع حذر الرئيس حافظ الأسد العرب مما يجري من تضليل يزعم أن الولايات المتحدة قد أضحت صديقة العرب وستتخلى عن اسرائيل(٦٨). واقترح السادات من جانبه إقامة حكومة فلسطينية في المنفى تخول أن تأخذ أية قطعة من الأرض تعرض عليها سواء من «كيسنجر أو من الشيطان»(٦٩). وفي ختام الاجتماع اتفق المشاركون على أهمية استمرار المعركة، ومواصلة تأييد مصر وسوريا عسكرياً، وتعزيز دور منظمة التحرير الفلسطينية بصفتها الممثل الوحيد للفلسطينيين.

وبإلقاء نظرة على مؤتمر الرباط يمكن للمرء أن يقول إن السادات وافق بالفعل مع المشتركين في المؤتمر على إبقاء الخيار العسكري مفتوحاً، لا بل ذكر مراراً أنه مصمم على استئناف القتال. ومع هذا فقد كشفت جميع الدلائل على أن تعهداته كانت جعجعة فارغة، وأنه لم يكن ينوي قط أن يشن الحرب مرة أخرى(٧٠). فقد قرر مؤتمر الرباط منح دول المواجهة مبلغاً قدره ٢٣٥٠ مليون دولار للمساعدة العسكرية، فقرر السوريون تعيين حصتهم منها، أما السادات فقد ترك الأمر كله بيد وزير الخارجية السوري، مما يدل ضمناً على عدم اهتمام السادات بأي عمل عسكري(٧١).

وفي رأيي ان عدم استعداد السادات لبحث الخيار العسكري ينسجم تماماً مع

---

(٦٧) Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East,* p. 280.

(٦٨) المصدر نفسه، ص ٢٨٢.

(٦٩) المصدر نفسه، ص ٢٨٣.

(٧٠) مقابلة مع حافظ اسماعيل في ١٧ تموز/ يوليو ١٩٨٣، وقد عبّر لي محمود رياض عن الرأي ذاته خلال مقابلة معه في ٢٠ حزيران/ يونيو ١٩٨٣.

(٧١) مقابلة شخصية مع محمود رياض، السكرتير العام السابق لجامعة الدول العربية. كذلك اكد لي حافظ اسماعيل في مقابلة شخصية معه ان السادات لم يكن ينوي قط ان يخوض الحرب مرة أخرى.

موقفه قبل حرب تشرين الأول/ اكتوبر. كان الخوف من هزيمة أخرى كالتي حدثت في عام ١٩٦٧ ماثلاً في ذهنه، لا سيما بعد ان صار ينظر اليه باعتباره «بطل العبور». لذا يمكن القول ايضاً إن السادات، وهو الذي أجبر على شن الحرب لكي يلفت انتباه الولايات المتحدة لا لكي يحرر أرضه بالقوة، لن يغامر بحرب أخرى لأنه حقق هدفه المتمثل في لفت انتباه الولايات المتحدة الى النزاع.

إن اقتراح السادات بإقامة حكومة فلسطينية في المنفى تكون مسؤولة عما قدمه لها كيسنجر، يكشف الى حد كبير تفضيل السادات لفك ارتباط تدريجي غير مربوط بالتزام اسرائيلي جازم بالانسحاب من جميع الأراضي المحتلة.. وهذا يعكس انحرافاً واضحاً عن وجهة النظر العربية في البحث عن تسوية شاملة.

ثالثاً: اتفاقية سيناء الثانية

وجد كيسنجر منذ اجتماع قمة الرباط وتصاعد دور الفلسطينيين دولياً وظهور عرفات امام الامم المتحدة، أن الفلسطينيين صاروا في صلب عملية السلام. ولم يكن كيسنجر مستعداً لهذا التطور، لأن دبلوماسيته كانت تقوم أساساً على تحاشي القضية المركزية في النزاع، وهي قضية الفلسطينيين، وعلى معالجة القضايا الهامشية[٧٢]. وبعد أن ثبت أن تحقق فك ارتباط على الجبهة الأردنية هو أمر مستحيل لأنه سيمس قضية شائكة مثل قضية الفلسطينيين، ولأنه سيجبر اسرائيل على التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية، وهذا مستحيل بالنسبة للاسرائيليين، فكر كيسنجر في فك ارتباط ثانٍ على الجبهة المصرية وذلك للحفاظ على زخم عملية السلام.

إن نجاحاً آخر في سيناء سيرفع من شأن إدارة فورد داخلياً وخارجياً معاً. ففي الداخل، ستساعد خطوة ناجحة أخرى في قضايا السياسة الخارجية على إزالة الأثر السلبي الناجم عن ووترغيت واستقالة نيكسون. وفي الخارج، ستعزز تلك الخطوة من نفوذ الولايات المتحدة في الشرق الاوسط، وتحافظ على مصداقيتها في المنطقة، والتي ربما كانت تزعزعت بعض الشيء على الصعيد الاقتصادي في قضايا مثل الزيادة في أسعار النفط. ومع أن كيسنجر كان يرى أن تخفيضاً في سعر النفط لا يتحقق إلا بواسطة قوى السوق، لا من طريق مبادرات سياسية[٧٣]، فإنه، لا يمكن للمرء ان

(٧٢) Quandt, *Decade of Decisions: American Policy toward the Arab - Israeli Conflict, 1967 - 1976*, p. 257.

(٧٣) خطاب كيسنجر عن الطاقة في جامعة شيكاغو في ١٤ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٦، كما ورد في: المصدر نفسه، ص ٢٥٩.

يستبعد الصلة بين تقدم يجري في عملية السلام وتحققه الولايات المتحدة وبين إمكانية تخفيض أسعار النفط من منتجيه العرب(٧٤).

من جهة أخرى أوضح السوفيات بجلاء، وذلك خلال اجتماع القمة في فلادفستك بين فورد وبريجنيف، أنهم يفضلون مؤتمر جنيف على استمرار دبلوماسية الخطوة خطوة(٧٥). كان مؤتمر جنيف بالنسبة للسوفيات هو المنبر المثالي، لما يوفره لهم من اشتراك في عملية السلام والتأثير فيها. مثل هذا المؤتمر سيحول دون احتكار الولايات المتحدة لعملية السلام، ليس هذا فقط، بل إنه سيحقق كذلك، في حالة إجراء تقدم نحو السلام، شيئاً آخر هو الحيلولة دون تفاقم التدهور في العلاقات السوفياتية مع زبونها الرئيسي في المنطقة، وهو مصر. فلما فشل السوفيات في تحقيق هدفهم هذا، شهدت العلاقات المصرية ـ الروسية فعلاً المزيد من التدهور، حين ألغى بريجنيف زيارته لمصر في كانون الثاني/ يناير ١٩٧٥.

أما عن اسرائيل فقد أدركت حكومة رابين انها لا تتمتع بتأييد داخلي قوي لعقد اتفاقية فك ارتباط على الجبهة الأردنية، وأن فك ارتباط في سيناء سيعتبر أمراً آمناً في الداخل لأنه لا يمس قضايا حساسة كالتي تثار على الجانب الأردني. وليس هذا فقط، بل سيساعد هذا الامر كذلك على أن تُفرق إسرائيل بين مصر وسوريا، فتقلل بذلك من إمكانية قيام هجوم سوري ـ مصري مشترك شبيه بحرب تشرين الأول/ اكتوبر(٧٦). وبغية إجراء انسحاب محدود آخر من سيناء، طلب رابين إنهاء حالة الحرب، الأمر الذي أدى الى تحييد مصر في النزاع العربي ـ الاسرائيلي(٧٧).

ومن جهة أخرى، أعلن السادات في كانون الثاني/ يناير ١٩٧٥ قائلاً: «إني لن أقبل بأقل من تحرك اسرائيلي في الجبهات الثلاث، سيناء والجولان ونهر الأردن، فإذا لم يتحقق شيء سريع في غضون ثلاثة أشهر، وسريعاً جداً، فسنذهب الى جنيف، سنذهب بأجمعنا، مع الفلسطينيين، ونفجر الموقف هناك»(٧٨). لقد قال السادات لكيسنجر انه سيقبل بانسحاب اسرائيلي من ممري الجدي ومتلا ومن حقول النفط وكلاهما من المواقع الاستراتيجية

---

(٧٤) William Baur Quandt, «U.S. Energy Policy and the Arab - Israeli Conflict,» in: Naiem A. Sherbiny and Mark A. Tessler, eds., *Arab Oil: Impact on the Arab Countries and Global Implications* (New York: Praeger, 1976).

(٧٥) Quandt, *Decade of Dicisions: American Policy toward the Arab - Israeli Conflict, 1967 - 1976,* p. 261.

(٧٦) Yitzhak Rabin, *The Rabin Memoirs* (Boston: Little, Brown, 1979), and Aronson, *Conflict and Bargaining in the Middle East: An Israeli Perspective.*

(٧٧) Sheehan, *The Arabs, Israelis and Kissinger: A Secret History of American Diplomacy in the Middle East.*

(٧٨) David Hirst and Irene Beeson, *Sadat* (London: Faber and Faber, 1981), p. 191.

المهمة[٧٩]. كان السادات كذلك غير مستعد لإلزام نفسه علناً بإنهاء حالة الحرب، لئلا يثبت صحة ما يتهمه به منتقدوه العرب من أنه يتخلى عن القضية العربية.

أقنع كيسنجر السادات بأن يعطي لإسرائيل البديل العملي لحالة إنهاء الحرب، وهو «عدم استخدام القوة». يقول كوانت: «كان السادات مستعداً أن يقول بأن النزاع مع اسرائيل لن يحل بالوسائل العسكرية، وان مصر لن تلجأ الى القوة؛ وأنها ستحترم وقف إطلاق النار وتمنع جميع القوات العسكرية وشبه العسكرية من العمل ضد اسرائيل من الاراضي المصرية، وان اتفاقية جديدة ستظل نافذة حتى تحل محلها اتفاقية أخرى؛ وأن الدعايات المعادية ضد اسرائيل من وسائل الاعلام المصرية التي تسيطر عليها الدولة سوف تخفف؛ وان المقاطعة الاقتصادية سيجري التخفيف منها على اساس انتقائي»[٨٠].

وعلى الرغم من ذلك بلغت المفاوضات طريقاً مسدوداً. فقد اتخذت اسرائيل موقفاً متشدداً جداً، واصرت على إنهاء حالة الحرب لقاء انسحاب اسرائيلي الى منتصف الممرات. كذلك أصرت على الاحتفاظ بسيطرتها على محطة الانذار المبكر في أم خشيبة. كما انها أوضحت لكيسنجر ان على مصر ان تقبل (إضافة الى المطالب السابقة) بالنقاط الست في المقترح الاسرائيلي الذي يضمن، من بين أمور أخرى، حرية مرور الحمولات الاسرائيلية في قناة السويس، وإنشاء مناطق عازلة تابعة للأمم المتحدة تكون بين قوات الطرفين[٨١]. فإذا ما وافقت مصر على هذه المطالب، ستكون إسرائيل مستعدة لأن تقدم لكيسنجر خارطة تبين فيها خط الانسحاب الذي تقبل به اسرائيل.

ومع ان المفاوضات بلغت مرحلة متأزمة في آذار/ مارس، إلا أن كيسنجر استطاع في النهاية بحلول آب/ اغسطس أن ينجح في جمع الطرفين، ولم يمض شهر واحد، أي في أوائل آب/ اغسطس، حتى وقعت كل من اسرائيل ومصر على الاتفاقية رسمياً. والسؤال المحيّر هو: لماذا نجح كيسنجر في آب/ اغسطس في حين فشل في آذار/ مارس؟ يقول السير بيلي في محاولة للجواب عن هذا السؤال: «إن التعديلات التي أجريت على الشروط كما قبلتها حكومتا الطرفين لم تكن تعديلات جوهرية تكفي لتفسير الاختلاف، كما لا يمكن وصف الجولة الثانية على أنها نصر أحرزه أي من الطرفين. إننا يجب بالأحرى ان ننظر الى العلاقة بين اسرائيل والولايات المتحدة للبحث عن تفسير»[٨٢].

لقد كانت الجولة الثانية، خلافاً لما يقوله بيلي، نجاحاً إسرائيلياً واضحاً. إن القاء نظره فاحصةعلى الاتفاقية النهائية، تبين ان الاتفاق الأساسي يحتوي على التزام

---

(٧٩) Sheehan, Ibid., pp. 154-155, and Quandt, *Decade of Decisions: American Policy toward the Arab-Israeli Conflict, 1967-1976*, p. 260.

(٨٠) Quandt, Ibid., p. 265.

(٨١) Sheehan, Ibid., p. 156, and Quandt, Ibid., p. 265.

(٨٢) Howard Beeley (Sir), «Sadat's Unpopular Choice,» *Middle East International*, no. 52 (October 1975), pp. 4-5.

الطرفين بحل سلمي للنزاع العربي ـ الاسرائيلي. وسوف لا يكون هناك أي تهديد باستخدام القوة أو أي حصار، وأن الحمولات غير العسكرية من اسرائيل أو اليها يجوز لها أن تمر في قناة السويس، وستكون هناك منطقة عازلة جديدة أوسع تابعة للأمم المتحدة مع مناطق مصرية واسرائيلية على كلا الجانبين، وسيكون لكل من مصر واسرائيل اسلحة وقوات محدودة في مناطقهما، وتقام محطتان للإنذار المبكر لكل طرف. فإذا قارنا الاتفاق الأساسي مع اقتراح اسرائيل ذي النقاط الست، نجد أن اسرائيل قد حققت اكثر مطالبها. فالنقطة الأولى حققت البديل العملي لإنهاء حالة الحرب، والثانية تبيح للحمولات الاسرائيلية أن تمر في قناة السويس، والثالثة رسمت منطقة عازلة أكبر حجماً (يتراوح عمقها من ٨ اميال الى ٣٥ ميلاً) بين قوات الطرفين، وهذه مسألة كانت من مبادىء اسرائيل الرئيسة منذ عقدت اتفاقية سيناء الأولى، والنقطة الرابعة حفظت لإسرائيل محطتها للإنذار المبكر في أم خشيبة على الرغم من أنها تدار بأيدٍ أمريكية، والخامسة ضمنت لاسرائيل ان تظل مصر ملتزمة بهذه الاتفاقية حتى تحل محلها اتفاقية اخرى.

لم تحقق اسرائيل نقاطها الرئيسة فقط، بل انها تفادت، وهو الأهم، أي انسحاب الى حدود عام ١٩٦٧. كانت اسرائيل تخشى دائماً من ذلك، لا سيما خلال إعادة مراجعة السياسة الامريكية نحو إسرائيل والتي اجرتها ادارة الرئيس فورد. إن اسرائيل استطاعت بنجاح، عن طريق التشدد في موقفها، «أن تنزع من الولايات المتحدة معونة وافرة معنوية ونقدية وعسكرية لم تستطع ان تحققها أية دولة أجنبية أخرى»(٨٣). وقد جاء في المذكرة النهائية الأمريكية ـ الاسرائيلية عن الاتفاقية: «ان حكومة الولايات المتحدة وحكومة اسرائيل ستوقعان على مشروع للطوارىء لغرض الامدادات العسكرية لاسرائيل في حالة الضرورة الطارئة. وستسعى حكومة الولايات المتحدة الى الحيلولة دون أية اقتراحات تتفق هي واسرائيل على انها ضارة بمصالح الدولة الأخيرة. إن الولايات المتحدة عازمة على الحفاظ على قوة اسرائيل الدفاعية عن طريق تزويدها بمعدات من النوع المتقدم مثل طائرات إف ١٦، وعلى القيام بدراسة مشتركة لمواد ذات تقنية عالية وبالغة التعقيد من ضمنها صواريخ أرض ـ أرض من نوع برشنغ ذات رؤوس تقليدية. والولايات المتحدة لن تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية أو تتفاوض معها طالما كانت هذه المنظمة لا تقبل بقراري مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨. وستقوم حكومة الولايات المتحدة بالتشاور التام مع حكومة اسرائيل وتسعى لتنسيق موقفها واستراتيجيتها معها في مؤتمر جنيف للسلام»(٨٤).

لذا فالاتفاقية، في نظري، تعكس نصراً واضحاً لاسرائيل، وهو نصر يضيف

(٨٣) Sheehan, Ibid., p. 192.

(٨٤) United States, Library of Congress, Congressional Research Service, Foreign Affairs and National Defense Division, *The Search for Peace in the Middle East, Documents and Statements, 1967-1979* (Washington, D.C.: U.S. Govt. Print. Off., 1979), p. 27.

الى حجمه الضمان الأمـريكي (أي العلاقـة الأمريكيـة ـ الاسرائيلية عـلى حـد تعبـير بيلي). وقد صرح مسؤول اسرائيلي كبير الى مجلة «تـايم» الأمريكيـة بخصوص مـوقف اسرائيل من الاتفاقية تصريحاً ينسجم مع تحليلي إذ قـال: «بالنـظر لعدم قبـول اسرائيل من العرب فقد كنا نناور منذ ١٩٦٧ لكسب الوقت ولإعادة أقل ما يمكن. وكان الرأي السائد ان حالات الجمود هي في صالحنا. وكان اكبر تهديد لنا يتجلى في مشروع روجرز والسياسة الأمـريكية الـرامية الى إرجاعنا الى أيام ١٩٦٧. والاتفاقية الأخيرة مع مصر هي مسمار آخـر في نعش تلك السياسـة. ونحن ندرك ان العالم بأسره ضدنـا في موضـوع الحدود وانـنـا نعتمد كـل الاعتماد عـلى دولة واحـدة من اجل الأسلحة المتقدمة. مع هـذا فقد نجحنـا في السنين الثمانية المـاضية، وربمـا يترتب علينـا أن نمضي في مناوراتنا لعشر سنين أخرى. ولو أعطتنا الاتفاقية الموقتة ستة أشهر فقط لا ثلاث سنين لعقدناها ايضاً لأن البديل هو جنيف ومزيد من الضغط لارجاعنا الى حدود ١٩٦٧. إن الاتفاقية قـد أخّرت جنيف، في حين انها ضمنت لنا السـلاح والمال وسيـاسة منسقـة مع واشنـطن وهدوءاً في سينـاء. لقد أعـطينا القليل لقاء الكثير»(٨٥). حقاً، لقد أعطت اسرائيل القليل لقاء الكثير.

ومن جهـة أخرى فـإن مصر لم تسيطر فعـلاً على الممـرات. فـالجيش المصري لم يحتل الممرات، ولكن كيسنجر، في صياغة أخرى منه لانقاذ مـاء الوجـه، سمح لكـل من الطرفين بالبقاء في الـطرف الآخر من الممـرات بحيث تستطيـع مصر ان تقول إنها أجبرت إسرائيل على الانسحاب منها، وتستطيع اسرائيل كذلك ان تقـول إنها لم تتخل عنها كلياً، إذ لا يزال لها وجود فيها. وقد استرجعت مصر ايضـاً حقول النفط، ولكن مـداخلها لم تكن تحت سيـطرة مصر بل تحت سيـطرة الامم المتحدة. أمـا في ما يتعلق بالأراضي، فإن ما استرجعته مصر منها يبلغ عشرة كيلومترات تقريباً.

وعنـد تقويم مـا كسبته مصر من الاتفـاقية، يمكن القـول ان حجم المكاسب لم تكن من الضخـامة بحجم مـا قدمتـه مصر من ثمن يتجلى في إنهاء حـالة الحـرب مـع اسرائيـل، وتقديم الـوعد لكيسنجـر «بالامتنـاع عن القتال إذا هـاجمت اسرائيل سـوريا»(٨٦). والسادات لم يسترجع سيناء حقيقة بل بضعة كيلومترات فقط. ويصبـح حجم الخسارة أكبر بكثير إذا تذكرنا أن عبدالناصر كان قـد عرض عليـه إرجاع سينـاء بأسرهـا، لقاء إنهاء حـالة الحـرب مع اسرائيـل، ولكنه رفض ذلـك لأنه لم يكن مقـترنـاً بـانسحـاب اسرائيلي كامل من جميع الأراضي العربية المحتلة.

والغريب أن السادات قال في خطابه في الرابع من ايلول/ سبتمبر ما يلي: «لقـد عرضت علينا سيناء بأسرها كثمن لانهاء حالة الحرب مـع اسرائيل، ولكننـا قلنا لا لأننـا نتفاوض من أجل السوريين والفلسطينيين ومن أجل مصلحتنا أيضاً»(٨٧).

---

(٨٥) نقـلاً عن: Sheehan, *The Arabs, Israelis and Kissinger: A Secret History of American Diplomacy in the Middle East,* p. 192.

(٨٦) المصدر نفسه، ص ١٩٤.

(٨٧) خطاب السادات في ٤ ايلول/ سبتمبر ١٩٧٥، في: خطب ومقابلات الرئيس السادات.

الفَصْلُ السَّادِسُ

تَحْدِيدُ السَّادَاتِ لِلموقِفِ وَلأهْدَافِهِ والاسْتراتيجيّتهِ

لقد حققت حرب تشرين الأول/ اكتوبر أهدافها الرئيسة من وجهة نظر السادات. فقد أوجدت وضعاً دولياً جديداً أكثر ميلاً لصالح مصر من «عالم ما قبل تشرين الاول/ اكتوبر». فالتضامن العربي، وأداء العرب في الحرب، ومكاسبهم العسكرية في المراحل الأولى، واستخدامهم للنفط سياسياً، كانت العوامل الرئيسة التي غيّرت من صورة العرب وجذبت انتباه الولايات المتحدة للنزاع.

مع هذا، لم تكن نظرة السادات للوضع بعد الحرب تلك النظرة الزاهية تماماً. فالحرب، بعد كل الذي تم، لم تنته، والجيش الثالث محاصر نتيجة للهجوم الاسرائيلي المضاد وخرق وقف اطلاق النار. كل هذا أخضع السادات لضغط كبير. وقد وصف شخصياً شعوره تجاه الوضع الجديد فقال في مذكراته: «كنت اشعر بألم عظيم، وكنت أعاني يومياً، وفي كل ساعة. لم أستطع أن أرى مخرجاً - وبدا لي كل شيء وكأنه انتهى نهاية خاطئة»[1]. وقال الفريق الشاذلي إن السادات كان على حافة انهيار عصبي. وقد رفض حتى قبول نصيحة الشاذلي بسحب قسم من الجيش المصري من ضفة القناة الشرقية لمواجهة الثغر الاسرائيلي في الدفرسوار[2]. ويمكن إرجاع الحالة النفسية للسادات الى شبه الوضع القائم عام ١٩٧٣ بالوضع الذي حصل في الحرب العربية - الإسرائيلية في ١٩٤٨، وفيها خالف اليهود وقف إطلاق النار وحاصروا فوج المشاة السادس المصري في الفالوجة. كان السادات كذلك تحت ضغط من القيادة العسكرية التي كانت على

---

(١) Anwar el-Sadat, *In Search of Identity: An Autobiography* (New York: Harper and Row, 1978), p. 269.

(٢) Saadeldine el-Shazly, *The Crossing of Suez: The October War 1973* (London: Third World Center for Research and Publishing, 1980).

استعداد للانقضاض لفض الثغرة، وكانت تنتظر أوامر السادات[٣]. والواقع ان الجيش المصري قد دُرِّب منذ عام ١٩٦٨ على معالجة هجوم إسرائيلي مضاد يقع في الدفرسوار. كذلك كان الجيش المصري قد قام، في مناورات آذار/ مارس ١٩٧١، بعملية نجحت في إفشال هجوم إسرائيلي مرتب يشابه تماماً الهجوم الذي وقع فعلاً في عام ١٩٧٣[٤].

ولم يكن الموقف العسكري وحده المصدر الرئيس لقلق السادات بل يضاف اليه الموقف الاقتصادي ايضاً. فالسادات يعرف جيداً ان شعبه، بعد أن ضحّى ما ضحّى من أجل المعركة، كان ينتظر منه «عبوراً» آخر في الجبهة الاقتصادية. كانت مصر، في نظر السادات، مصابة «ببطاعون» الأزمة الاقتصادية الحادة، كنتيجة لسبع سنين عجاف من التقشف والانهاك الاقتصادي التام، وكان السادات يرى ان وجود فرصة كبيرة لحل مشاكل مصر الاقتصادية يتوقف على قدرته للتوصل الى تسوية مع إسرائيل.

كانت خطب السادات في الفترة بين ١٩٧٣ و١٩٧٥ تعكس المشاكل التالية: كيف يمكن تحقيق تسوية مع إسرائيل تحافظ في الوقت ذاته على حجم «انتصاره» من جهة، والاستقرار الاقتصادي من جهة أخرى. أو كما قال السادات: «إننا في مرحلة تجري فيها مهمتان بصورة متوازية: التحرير وإعادة التعمير»[٥].

سأحاول في عرضي لتحديد السادات للموقف ان أبين إلى أي مدى ربط السادات تحقيق هذه الأهداف بالأطراف الرئيسة في الموقف، وهي الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وإسرائيل والاقطار العربية.

أولاً: تحديد السادات للموقف

مع أن الولايات المتحدة تدخلت الى جانب إسرائيل في حرب تشرين الأول/ اكتوبر بشكل مباشر ومنظور أكثر من تدخلها في حرب عام ١٩٦٧، والى درجة دعت السادات لأن يذكر أكثر من مرة «أن الولايات المتحدة كانت تنوي إبادة قواتي إبادة تامة»[٦]. على الرغم من ذلك توصل الى نتيجة مفادها أن تغييراً جوهرياً قد حدث في سياسة

---

(٣) el-Sadat, Ibid., p. 269.

(٤) لمزيد من التفاصيل، أنظر:

Mahmoud Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East* (New York: Quartet Books, 1981), pp 245-247.

(٥) مقابلة السادات مع: الحوادث (١٩ تموز/ يوليو ١٩٧٤).

(٦) مقابلة السادات مع: البيرق (٩ كانون الثاني/ يناير ١٩٧٥).

الولايات المتحدة. ففي رأيه ان الولايات المتحدة، على رغم تزويدها لإسرائيل بكثير من الاسلحة المتقدمة والمعدات العسكرية، قد فهمت سريعاً جداً ما تنطوي عليه حرب تشرين الأول/ اكتوبر. وأدى هذا بالولايات المتحدة إلى أن تنظر نظرة جديدة للنزاع، وتسارع بالعمل نحو السلام في المنطقة(٧).

هذا الموقف الجديد مهد الطريق الى عهدٍ جديد في العلاقات الأمريكية ـ المصرية. ولم يكن هذا ليمثل، بنظر السادات، سوى عودة الى ما ينبغي أن تكون عليه الأمور بين مصر والولايات المتحدة. قال السادات في مقابلة أجراها معه ولتر كرونكايت: «أنا أتساءل ما هو البديل الآخر يا ترى أمامنا نحن الاثنين، الولايات المتحدة ومصر، إلا أن تسود بيننا أحسن العلاقات، لأن هذا هو الأمر الطبيعي جداً. ولم يكن طبيعياً أن تحدث مواجهة فيما بيننا، إذ لم تكن هناك قط أية مشكلة فيما بيننا سوى انحياز الولايات المتحدة الأعمى الى إسرائيل»(٨).

وجاء كيسنجر فعزّز قناعة السادات بأن فرصة مصر الحقيقية في تحقيق تسوية مقبولة مع إسرائيل، إنما تكمن فقط في التعاون مع الولايات المتحدة. كان كيسنجر بنظر السادات «رجلاً ذا رؤية استراتيجية وأهلاً للثقة» وهو «يمثل الوجه الحقيقي للولايات المتحدة»، ذلك الوجه الذي أراد السادات دائماً أن يراه(٩). ومنذ الاجتماع الأول بين الرجلين، شعر السادات أن بوسعه أن يعتمد عليه. قال ما نصه: «منذ أن التقيت بالدكتور كيسنجر في شهر تشرين الثاني/ نوفمبر، بعد ثلاثة أيام فقط من الحرب، شعرت منذ الساعة الأولى لمحادثتنا التي دامت ثماني ساعات أن بوسعي أن أثق بهذا الرجل وأننا نستطيع أن نعمل معاً من أجل السلام. ومنذ ذلك الاجتماع فصاعداً وضعت ثقتي فيه»(١٠).

ومنذ ذلك الاجتماع الأول، اكتشف كلا الرجلين أنهما يشتركان في بعض الأمور. فكلاهما يولي أهمية كبرى لشخصية «الزعيم» أو «رجل الدولة» وقدرته على تغيير التاريخ. وكما أوضحنا في الفصل الثالث كانت قدرة السادات في توجيه الأحداث والسيطرة عليها وتغييرها تشغل موقعاً مركزياً في تصوره لذاته. كذلك يتجه الباحثون الذين درسوا ما يتصف به كيسنجر الى التركيز على إيمانه بقدرة رجل الدولة على السيطرة على الأحداث التاريخية والإمساك بقيادها(١١). كان السادات، وهو يتصور

---

(٧) Sadat's interview with Arnaud de Borchgrave, *Newsweek* (25 March 1974).

(٨) Sadat's interview with Walter Cronkite, broadcasted on CBS News, 21 June 1974.

(٩) el-Sadat, *In Search of Identity: An Autobiography*, p. 291.

(١٠) Sadat's interview with the Hearst newspapers network, 9 July 1975.

(١١) للاطلاع على دراسات عن منظومة معتقدات كيسنجر، انظر:

Stephen Granbard, *Kissinger: Portrait of a Mind* (New York: W.W. Norton, 1973), and S. Walker, «The Interface between Beliefs and Behavior: Henry Kissinger's Operational Code and the Vietnam War,» *Journal of Conflict Resolution*, no. 21 (March 1971).

نفسه مفكراً استراتيجياً، قد وجد من اليسير عليه ان يجلس الى كيسنجر، المفكر الاستراتيجي الآخر، فيبحث معه في الاستراتيجية العالمية. وقد كتب إدوارد شيهان يقول: «كان السادات يتخيل نفسه مفكراً استراتيجياً موهوباً؛ وكان يحب، مثله في ذلك مثل كيسنجر، أن يلهو بالفرضيات الفكرية. وكان كيسنجر سريعاً في إدراك هذا فسرّه أن يتلاعب بغرور السادات المولع بالاستراتيجية»(١٢). وتمكن كيسنجر الذي فهم شخصية السادات أن يستغل حب السادات للثناء والإعجاب. ففي مقابلة أجراها موسى صبري مع السادات سأله موسى: «سمعت أن كيسنجر قال لك أمام اسماعيل فهمي أنك أول شخص تغلبت عليه في الاستراتيجية»(١٣). فأجابه السادات: «أرجو الا تنشر هذا، فأنا لا أحب أن أتكلم عما يجري في الاجتماعات الخاصة»(١٤). ومن الواضح ان كيسنجر كان يستخدم الإطراء الذي يضرب على أوتار الغرور في محادثاته مع الزعيم المصري.

كان السادات، الذي يميل الى اعتبار شخصية المرء أهم من مناهج العمل، ينظر الى علاقته الشخصية مع كيسنجر كعاملٍ مهم جداً في تحقيق اهدافه، فقد سئل السادات: لماذا يبدو تحقيق فك الارتباط على الجبهة السورية أكثر صعوبة منه على الجبهة المصرية؟ فأجاب: «من وجهة نظري الشخصية توجد بيني وبين الدكتور كيسنجر علاقة شخصية وتفاهم شخصي»(١٥). بالتالي فإن كيسنجر، ذلك الرجل الذي استطاع أن يعمل «ما لا يخطر على بال» مع الصين والاتحاد السوفياتي قبل بضع سنين، سيتمكن من ان يعمل الشيء ذاته في الشرق الأوسط(١٦). واعتقد السادات ان كيسنجر بصفته يهودياً سيستطيع أن يتعامل مع الاسرائيليين ويؤثر في أعمالهم(١٧).

وهكذا كانت الولايات المتحدة، بنظر السادات، تقوم بدور مزدوج، فهي من جهة تفي بالتزامها نحو إسرائيل، وتفي بالتزامها، من جهة أخرى، نحو السلام العالمي(١٨). ولم يجد السادات أي تناقض في هذا ولا أية صعوبة في تقبله. وهو على كل حال لم يتخيل أبداً ان الولايات المتحدة ستكون معه ضد اسرائيل، فقد كان يدرك كل الادراك معنى الضمان الأمريكي لاسرائيل. ولكنه كان يرى «أن ضمان أمن اسرائيل يختلف كل الاختلاف عن ضمان ما تحتله اسرائيل. لذا فإذا أرادت الولايات المتحدة ان

---

(١٢) Edward R. Sheehan, *The Arabs, Israelis and Kissinger: A Secret History of American Diplomacy in the Middle East* (New York: Reader's Digest Press, 1976), p. 88.

(١٣) موسى صبري، وثائق حرب اكتوبر، ط ٢ (القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٩٧٤)، ص ٣٣.

(١٤) المصدر نفسه، ص ٣٣.

(١٥) Sadat's interview with *Time Magazine* (25 March 1974).

(١٦) Sadat's interview with Arnaud de Borchgrave, *Newsweek* (24 March 1974).

(١٧) مقابلة مع حافظ اسماعيل في ١٧ تموز/ يوليو ١٩٨٣.

(١٨) المؤتمر الصحفي الذي عقده السادات في الرباط في ٢٣ كانون الثاني/ يناير ١٩٧٤.

تضمن وجود اسرائيل، حسناً، فنحن لسنا ضد هذا. أما إذا أرادت أن تضمن ما اكتسبته اسرائيل عن طريق العدوان فهذا شيء آخر»[19].

ومع أن السادات كان يعتقد بوضوح وقوة أن مفتاح المشكلة بيد الولايات المتحدة بصرف النظر عمن هو رئيسها، ولكنه لم يكن لديه، بنظري، رأي واضح عن دور الولايات المتحدة بالضبط[20]. هل كانت الولايات المتحدة طرفاً في النزاع أم وسيطاً أم ضامنة للتسوية؟ فقد وصف السادات اتفاقية فك الارتباط مع اسرائيل في كانون الثاني/ يناير ١٩٧٤ بأنها فك ارتباط بينه وبين أمريكا لإنهاء حالة المواجهة بين الدولتين[21].

ومن جهة أخرى، رأى السادات في الوجود الأمريكي في محطات «الانذار المبكر» بين مصر واسرائيل عنصراً مهماً في ضمان السلام في المنطقة. قال: «ليس لدينا اعتراض على إقامة محطات من هذا النوع والتي بواسطتها تستطيع الولايات المتحدة أن تكون شاهداً لنا على ما يجري بين اسرائيل ومصر لأنها الطرف الأساسي أمامنا»[22].

والسادات لم يجد أي تناقض في أن تقوم الولايات المتحدة بثلاثة أدوار. ولكن التناقض كان قائماً، إذ كيف يمكن لها أن تكون طرفاً في النزاع وتكون في الوقت ذاته كفيلة تضمن التسوية؟ كيف يمكن لها أن تلعب دور الوسيط، الذي يفترض فيه درجة معينة من الحياد، في حين أنها، بنظره، لا تستطيع أن تكون محايدة بشأن اسرائيل؟

ومهما يكن التناقض في رأي السادات عن دور الولايات المتحدة، فإن حجر الزاوية في تحديده للوضع هو قناعته، أساساً، بقدرة الولايات المتحدة على تحقيق السلام في المنطقة. لقد كان يعتقد أنه سيتمكن، من طريق التعاون مع هذه الدولة العظمى، ان يحقق تسوية مع اسرائيل. قال السادات عن ذلك: «يتهمني البعض بأنني وثقت بأمريكا ووعودها. ولكن عليّ أن أتعاون مع أمريكا كما هي، بصرف النظر عما إذا كان ذلك عن طريق نيكسون أو فورد أو كيسنجر، وعليّ أن أتجاهل الصداقات والعداوات، المشاعر والعواطف. يجب أن أتعاون مع أمريكا لأن جميع أوراق هذه اللعبة في يدها»[23]. وبالتالي فقد عمل السادات كل ما في وسعه لكي لا يعادي الولايات المتحدة، وقد تجلى دوره التوفيقي في الأحداث التالية:

١ ـ قبل بوقف إطلاق النار، ضد رغبة جيشه، لأنه لا يريد مواجهة الولايات

---

(١٩) Sadat's interview with Walter Cronkite, broadcasted on CBS News, 21 June 1974.

(٢٠) مقابلة السادات مع: الحوادث (١٥ آب/ أغسطس ١٩٧٥).

(٢١) مقابلة السادات مع: البيرق (٩ كانون الثاني/يناير ١٩٧٥).

(٢٢) مقابلة السادات مع: السياسة (الكويت)، (٨ ايلول/ سبتمبر ١٩٧٥).

(٢٣) مقابلة السادات مع: الحوادث (١٥ آب/ اغسطس ١٩٧٥).

المتحدة. قال في أحد مؤتمراته الصحفية: «إن ما دفعني الى قبول وقف إطلاق النار هو تدخل أمريكا الفظيع، وذلك بوفائها لالتزامها نحو اسرائيل. قلت إني غير مستعد لقتال الولايات المتحدة»[٢٤].

٢ ـ قرر ألا يصفّي الجيب الإسرائيلي في الدفرسوار لأن كيسنجر أخبره بأن ذلك سيثير عداء وزارة الدفاع الأمريكية التي كانت مصممة على ألا تهزم أسلحتها من أسلحة سوفياتية الصنع[٢٥]. وقد بيّن السادات هذه النقطة مراراً في خطبه. قال، مثلاً، يوضح تردده في قتال الوجود الاسرائيلي في الدفرسوار: «كان يمكن ان تغريني حلاوة النصر العسكري فأشن معركة تكون من أعظم معارك العرب فخراً في تاريخهم. كان انتصارنا مضموناً ١٠٠٪. كان عندي ٨٠٠ دبابة مقابل ٤٠٠ لدى اسرائيل، أي دبابتان ضد كل دبابة من دباباتهم، وصاروخ ونصف لكل دبابة من دباباتهم، وذلك حسب إحصاء الرؤوس الذي أجريناه. وكانت هذه الحقيقة معروفة لوزارة الدفاع الامريكية، فقد صوروا ذلك فوتوغرافياً كما أقر لي كيسنجر. لماذا إذن لم أدخل المعركة؟ السبب بسيط. لأنني لم أرد أن أدخل حرباً مع أمريكا وأضحي بحياة أولادي»[٢٦].

٣ ـ عين اسماعيل فهمي، الذي كان معروفاً بتأييده لقيام امريكا بدور رئيس في سياسة مصر الخارجية، وزيراً لخارجية مصر.

٤ ـ استأنف العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة.

٥ ـ أطلق سراح مصطفى أمين الذي أدين في الستينات لكونه أحد عملاء وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية في مصر.

٦ ـ عين الأخوين مصطفى وعلي أمين لرئاسة تحرير كل من جريدة «الأهرام» و«الأخبار» اللتين تعتبران أكبر الجرائد المصرية، مما أشار الى بداية هجوم صريح على نموذج عبدالناصر في التغيير الاجتماعي. كان السادات في تشجيعه لمثل تلك الهجمات إنما يفي بوعده لكيسنجر «بتقويض النظام الناصري»[٢٧].

٧ ـ سعى لرفع الحظر النفطي.

٨ ـ غيّر بنية مصر السياسية والاقتصادية ليجعلها أكثر انسجاماً مع التوجه الجديد المؤيد لأمريكا.

ولم يكتف السادات بالاحتفاظ بصورة ذهنية للولايات المتحدة باعتبارها قادرة

---

(٢٤) مؤتمر السادات الصحفي في الرباط في ٢٣ كانون الثاني/ يناير ١٩٧٤.

(٢٥) el-Sadat, *In Search of Identity: An Autobiography*, pp. 268-269.

(٢٦) مقابلة السادات مع: الحوادث (١٥ و٢١ آب/ أغسطس ١٩٧٥).

(٢٧) Henri Kissinger, *Years of Upheaval* (Boston: Little, Brown, 1982), p. 640.

على حل النزاع العربي - الاسرائيلي، بل اعتقد أن حل مشاكل مصر الاقتصادية هو كذلك بيدها. وكان يشبه الدور الذي لعبته الولايات المتحدة في أوروبا من طريق مشروع مارشال بعد الحرب العالمية الثانية، بالدور الذي يمكنها أن تلعبه في مصر.

وختاماً يمكن القول إن تصريحات السادات تعبر عن صورة إيجابية، تتزايد إيجابيتها بنظره، للولايات المتحدة وقدرتها على حل نزاع الشرق الأوسط. إن صورتها عنده تحولت من كونها حليفاً للعدو (قبل حرب تشرين الأول/ اكتوبر) الى صديق لمصر وكذلك لاسرائيل. وهكذا فبدلاً من ان يرى السادات صديق عدوه عدواً له، رأى فيه صديقاً له عزيزاً عليه.

من جهة أخرى، وفي حين التزم السوفيات جانب العرب خلال حرب تشرين الأول/ اكتوبر، فأرسلوا مساعداتهم جواً لكل من مصر وسوريا، واشتركوا مع الولايات المتحدة في الدعوة لوقف إطلاق النار، وكانوا مستعدين لإرسال قواتهم مع القوات الامريكية لضمان وقف إطلاق النار، كان رأي السادات يزداد سوءاً، ويمكن القول ان صورة الاتحاد السوفياتي عنده تحولت من صورة «حليف لا يعوّل عليه» الى أخرى تقارب صورة «عدو».

وقد عكست تصريحات السادات منذ شهر تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٣ حتى نهاية عام ١٩٧٥ هذا التطور في رأيه. فقد عبّر في تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٧٣ عن امتنانه للسوفيات، مقراً لهم بمساعدتهم العسكرية القيّمة خلال الحرب فقال: «إن صديقنا الاتحاد السوفياتي يفي بالتزاماته بشأن حفظ السلام في العالم»[٢٨]. وكان قد كرّر كذلك مراراً أن مصالح مصر تقتضي المحافظة على علاقات طيبة مع كلتا الدولتين الأعظم. مع هذا فإن السادات شن علناً، في آذار/ مارس ١٩٧٤، هجوماً عنيفاً على الاتحاد السوفياتي متهماً السوفيات بأنهم حاولوا أن يخدعوه لكي يوافق على وقف مبكرٍ لإطلاق النار في تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٧٣[٢٩].

واستطرد السادات في مذكراته ليوضح الكثير عن نية السوفيات ودورهم خلال الحرب، فقال: «إن الجميع يعتقدون أن الاتحاد السوفياتي قد دعمنا وأقام جسراً جوياً لمساعدتنا، ولكن الحال لم يكن على هذا المنوال. إني واجهت الولايات المتحدة وإسرائيل بينما وقف الاتحاد السوفياتي ورائي على أهبة الاستعداد لطعني من الخلف لو خسرت ٨٥ أو ٩٠٪ من سلاحي، تماماً كما في ١٩٦٧»[٣٠]. والواقع ان السادات أخذ يعتقد أنه في حين كانت الولايات المتحدة وإسرائيل تواقتين لهزيمته، فإن الاتحاد السوفياتي كان أكثر توقاً لذلك[٣١]. وقال في

---

(٢٨) مؤتمر السادات الصحفي في تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٧٣.

(٢٩) مقابلة السادات مع: **الأنوار** (٢٩ آذار/ مارس ١٩٧٤).

(٣٠) el-Sadat, *In Search of Identity: An Autobiography*, p. 263.

(٣١) المصدر نفسه، ص ٢٦٤.

حزيران/ يونيو ١٩٧٥ : «إني في حالة حرب مع بعض القوى الدولية التي تشن حربها ضدي بواسطة عملاء عرب»[٣٢].

ولتفسير أسباب التغيّر في رأي السادات، أرى أنه يعود الى عاملين:

أولاً، لقد أستمر السادات في شكوكه التي كانت تساوره قبل تشرين الأول/ اكتوبر بشأن نيات الاتحاد السوفياتي وقدراته معاً. والواقع ان شك السادات بالسوفيات وعدم ثقته بهم قد تزايدا كثيراً، لاعتقاده بأنهم لم يكونوا مرتاحين الى سياساته الخارجية والداخلية، أي الى جهوده لإعادة رسم سياسة مصر بطريقة تتيح مجالاً أكبر لدور أمريكي في عملية السلام وفي سياسة مصر الاقتصادية. كان اعتقاده هذا جلياً حين اتهم موسكو بأنها «استخدمت شحنات الأسلحة كأداة ضغط للتأثير في اعمال مصر. إن هذا العمل السوفياتي غير مقبول»[٣٣]. لذا فإن قرار السادات في نيسان/ ابريل ١٩٧٤ بالتوقف عن الاعتماد على الاتحاد السوفياتي كمصدر لجميع أسلحتها الحديثة إنما يعبر بالأساس عن هذا التصور تعبيراً واضحاً.

فالسوفيات، بنظره، لم يضغطوا فقط عليه بل هم كذلك أرادوا أن يقوّضوا التحالف بين مصر وسوريا ويحدثوا تصدعاً بين القطرين. وهو يلاحظ عند مقارنته للأمريكيين بالسوفيات «وأن الأمريكيين لم يحاولوا قط أن يحرضوا مصر ضد سوريا كما فعل السوفيات». والسادات كان يرى أن السوفيات يعطون وزناً أكبر للسوريين، وأنهم على استعداد لمساعدتهم عسكرياً، خلافاً للأمريكيين الذين يعاملونه باعتباره زعيم الوطن العربي.

والسادات لم يشك فقط في نوايا السوفيات، ولكنه كان يرتاب كذلك في قدراتهم. فالذي توصل أخيراً الى النقاط الست معه ونفذ وقف إطلاق النار هو كيسنجر وبالتالي الولايات المتحدة، وليس الاتحاد السوفياتي. ومما عزز قناعة السادات بعدم قدرة السوفيات على تحقيق السلام في المنطقة، ما صرح به كيسنجر بأن السوفيات إنما يستطيعون تقديم السلاح، أما الولايات المتحدة فهي وحدها التي تستطيع تقديم الأرض[٣٤]. وقد صرّح السادات أنه حتى الروس أنفسهم قد أقروا بهذه الحقيقة، حين قال غروميكو لاسماعيل فهمي «إن أمريكا تحمل بيدها أوراق الكسب في هذه اللعبة»[٣٥].

---

(٣٢) Sadat's interview with the *New York Times* (22 April 1974).

(٣٣) Kissinger, *Years of Upheaval*, p. 632.

(٣٤) مقابلة السادات مع: الحوادث (١٥ آب/ اغسطس ١٩٧٥).

(٣٥) Sadat's interview with Arnaud de Borchgrave, *Newsweek* (25 March 1974).

كذلك فإن وجود السوفيات في عملية السلام قد أمسى، بحد ذاته، أمراً غير مرغوب فيه عند السادات. وقد كان من العوامل الكامنة وراء قرار السادات بإزاحة دور السوفيات في جنيف خوفه من حدوث استقطاب بين الدولتين الأعظم في المؤتمر، فيأخذ الاتحاد السوفياتي جانب العرب وتأخذ الولايات المتحدة جانب اسرائيل، مما قد يؤدي الى الجمود في الموقف.

ثانياً، إن العامل الرئيس الذي كان يجعل السادات ينأى عن الإفصاح عن عدائه للسوفيات بقوة لم يعد موجوداً خلال هذه الفترة. وبعبارة أخرى جاء التحسن في العلاقات الامريكية ـ المصرية ليساعد بشكل جوهري على إزالة أي تردد من جانب السادات في الإفصاح عن أفكاره بشأن السوفيات.

وهكذا بلغ تهجم السادات الكلامي على السوفيات ذروته بعد التوقيع على اتفاقية سيناء الأولى في عام ١٩٧٤، ثم تجاوز الذروة كثيراً بعد التوقيع على اتفاقية سيناء الثانية في عام ١٩٧٥. ثم جاء قرار السادات بإنهاء معاهدة الصداقة المصرية ـ السوفياتية في عام ١٩٧٦ لينهي رسمياً العلاقات الودية بين الطرفين.

كان السادات يعتقد، على الصعيد الاقليمي، أن اسرائيل قد أرجعت الى حجمها الحقيقي كنتيجة لحرب تشرين الأول/ اكتوبر. وأن مصر، بنظره، قد أفهمت ما تريده للإسرائيليين في هذه الحرب. وقد أثبت ذلك أن أمن إسرائيل لا يكمن في أراضٍ احتلت أو في تفوقٍ عسكري. لذا، فلا غرض يرجى من وراء مزيد من الحروب[٣٦].

ولقد ساعد السادات سقوط نظريات الأمن الاسرائيلية، وتحسن الصورة الذاتية وتزايد الثقة على الجانب المصري، وجعل من السهل عليه أن يصف الاجتماعات التي جرت بين المسؤولين الإسرائيليين والمصريين في مفاوضات الكيلو ١٠١ بأنها «من الأمور الطبيعية جداً تحت راية الأمم المتحدة»، وهذا بعد سنين من رفض مصر إجراء مفاوضات مباشرة[٣٧].

وبينما رأى السادات في شخصه رجل سلام مستعداً لاتخاذ جميع الخطوات الضرورية نحو السلام، فإنه رأى في إسرائيل دولة غير مستعدة للسلام أو على الأقل خائفة منه[٣٨]. والأسباب الكامنة وراء ذلك الموقف الاسرائيلي تعود بنظر السادات الى الحقائق التالية:

---

(٣٦) *African Contemporary Records: Egypt, 1973-1974,* p. 325.

(٣٧) خطاب السادات خلال مأدبة غذاء مع الرئيس فورد في سالزبورغ، في ٢ حزيران/ يونيو ١٩٧٥، في: خطب ومقابلات الرئيس السادات (القاهرة: وزارة الاعلام، ١٩٧٠ ـ ١٩٨١).

(٣٨) مقابلة مع السادات مع التلفزيون اللبناني في ٤ حزيران/ يونيو ١٩٧٥.

١ ـ منذ تأسيس دولة إسرائيل، قامت استراتيجيتها بالأساس على تفوقها عسكرياً وسياسياً على العرب، وعلى قدرتها على تصوير ذاتها كبلد مستعد للسلام في حين يرفض العرب ذلك. والآن فإن اسرائيل، بنظر السادات، تواجه الدهشة والبلبلة لأن الحرب قد اضعفت من هذه الصورة، والسادات يظهر لأول مرة استعداداً عربياً لتحقيق السلام مع اسرائيل والقبول به.

٢ ـ رأى السادات في اسرائيل دولة تفتقر إلى زعماء أقوياء يمكنهم أن يجعلوها تلتزم بالسلام، وهذا خلافاً لما هو عليه الحال في مصر. قال السادات: «بما أن أبواب السلم مفتوحة أمامهم، فإنهم بحاجة الى زعامة قوية تستطيع أن تحثهم على تعلم دروس أكتوبر، خاصة أن لا حل للمشكلة إلا بالسلام. مثل هذه الزعامة لم تظهر بعد»(٣٩). لقد كان السادات، بالتالي، على استعداد لقبول أية ضمانات أمريكية لاسرائيل طالما ساعدها ذلك في التغلب على مخاوفها وعلى الانطواء داخل حدودها كما كانت في عام ١٩٦٧. وهكذا فإذا كان المزيد من الأسلحة الأمريكية سيساعد اسرائيل في تزويدها بما يكفي من الثقة لصنع السلام فلا مانع لدى السادات.

وفي رأيي أن صورة السادات عن إسرائيل جعلته يفسر موقفها المتشدد في المفاوضات بأنه لا يعكس عدم قدرتها على إبداء قدر من المرونة (Compromise) وإنما يعكس شعورها بعدم الأمن. وقد انعكس استنتاجه هذا في سلوكه في المفاوضات. لذا فبدلاً من أن يتشدد في مطالبه أخذ يتساهل.

وهكذا أضحى النزاع العربي ـ الاسرائيلي، من وجهة نظر السادات، عبارة عن صراع نفسي، لذا كان عليه أن يكسر هذا الحاجز النفساني، وذلك بأن يظهر لإسرائيل أنه يعني حقاً ما يقوله عن السلام، وأنه يريد الحصول عليه(٤٠). وفيما يتعلق بهذه النظرة للصراع يبدو تأثير كيسنجر في تفكير السادات واضحاً جداً. فقد شدد كيسنجر في اجتماعهما الأول على الحاجة الى بناء الثقة بين طرفي النزاع، وحث السادات على أن يفكر بالسلام مع إسرائيل «كمشكلة نفسانية وليست دبلوماسية»(٤١).

واستناداً بالتالي الى هذه الصورة النفسانية للنزاع، ولهفة السادات بأن يثبت للولايات المتحدة أن مصالحها إنما تخدم خير خدمة بواسطته هو لا بواسطة إسرائيل، يمكن النظر الى «مرونة» السادات القصوى خلال المفاوضات على أنها سبيل لبناء الثقة

---

(٣٩) للاطلاع على رأي السادات في النزاع من الناحية النفسية، انظر:
el-Sadat, *In Search of Identity: An Autobiography*.

(٤٠) Kissinger, *Years of Upheaval*, p. 639.

(٤١) خطاب السادات في مجلس الشعب في ١٩ شباط/ فبراير ١٩٧٤، انظر ايضاً مؤتمر السادات الصحفي في الجزائر في ٢٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٥.

في الجانب الاسرائيلي، ولكي يظهر لكيسنجر أنه على استعداد للتعاون معه فعلاً. وهذا الأمر يضمن، بنظره، انسحاب اسرائيل من سيناء.

أما فيما يتعلق بالاقطار العربية، فإننا نجد السادات بعد الحرب يقر بأن القومية العربية كانت أحد العوامل التي حققت انتصار تشرين الأول/ اكتوبر. قال مثلاً في عام ١٩٧٤: «إني أعلن لشعبنا ولأمتنا بأسرها أن مئات السنين من التخلف والهزيمة قد انتهت حين حققت قواتنا المسلحة في مصر وسوريا، تساعدها قوات شعبية عربية، أول انتصار عربي حقيقي منذ قرون»(٤٢).

مع هذا، فالتضامن العربي كان، بنظر السادات، فريسة «للعقلية العربية». إذ كان من الصعب على بعض الأقطار العربية أن تتخلص، في رأيه، من «عقدة النقص» مما قبل تشرين الأول/ اكتوبر، الأمر الذي انعكس في تشكيكها بقرار السادات بقبول وقف إطلاق النار، وبثقته التامة بالولايات المتحدة، وبقدرتها على تحقيق السلام في المنطقة. قال السادات ما نصه: «إن الجانب النفساني يلعب دوراً مسيطراً في العلاقات العربية. لذا فحتى يقظة أكتوبر عجزت عن أن تفك العرب من عقدهم التي تراكمت في الخمسين سنة الماضية، وذلك لأنهم تعودوا أن يقولو (لا). فلما اقترحت عليهم أنه يجدر أحياناً أن نقول (نعم) تعقدت الأمور كثيراً»(٤٣).

والواقع ان السادات كان ميالاً الى النظر الى الاقطار العربية التي اختلفت معه في سياسته، مثل سوريا وليبيا والعراق، باعتبارها عميلة للاتحاد السوفياتي. وحتى حين كان موقف السوريين الرسمي، مثلاً، إزاء مؤتمر جنيف يتناقض مع موقف السوفيات، فقد رأى السادات في ذلك التناقض مجرد عملية لتقسيم الأدوار بين السوريين والروس(٤٤).

ومع أن السادات وافق على التعاون مع سوريا لإقامة استراتيجية للسلام يتبعها الطرفان، فإنه كان يشك في وجود محاولة سورية لتقييد حريته في العمل. قال السادات، مثلاً، في مقابلة له مع جريدة القبس الكويتية وهو يتحدث عن غضبه من السوريين انهم يصرّون: «إني لم أتدخل قط في شؤون الأسد رغم انهم يصرّون على أنني يجب أن أتشاور معهم حول أي قرار من قراراتي. لهذا، وقبل قبولي بقرار وقف إطلاق النار مثلاً، أرادوا مني أن انتظر حتى يجتمع حزب البعث ويناقش القضية، ثم يوافق على العرض أو يرفضه»(٤٥).

وفي رأيي أنّ تنصل السادات من هذه الأنظمة جاء نتيجة منطقية لعاملين:

---

(٤٢) مقابلة السادات مع: الحوادث (٣١ تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٧٥).
(٤٣) المصدر نفسه.
(٤٤) مقابلة السادات مع: القبس (٢٢ تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٧٥).
(٤٥) مقابلة السادات مع: الأنوار (٨ كانون الثاني/ يناير ١٩٧٥).

استراتيجية كيسنجر لفصل مصر عن سوريا، واعتقاد السادات بأن تلك الأنظمة مكروهة من الولايات المتحدة بسبب راديكاليتها وصلتها بالسوفيات.

إن مصر، بنظر السادات، قد ضحت من أجل الفلسطينيين وبذلت من الجهود في سبيلهم أكثر من جميع الأقطار العربية الأخرى[٤٦]. ومع هذا فإن الأقطار العربية الشقيقة لم تعترف لها بذلك. وقد قال السادات وهو يتحدث عن هذه المسألة في مقابلة صحفية له: «يمكنني أن أقول بصراحة، ومع كل تقديري لما أعطاه لنا أشقاؤنا العرب، إني لم أتسلم ما يكفي لتلبية حاجاتي»[٤٧].

وهكذا، فإن من مسؤولية الأقطار المنتجة للنفط، والتي انتفعت من حرب تشرين الأول/ اكتوبر فرفعت أسعار النفط، أن تساعد مصر في إعادة بناء اقتصادها. قال السادات ما نصه: «إن الأقطار العربية المنتجة للنفط ملزمة بتزويدنا بالمساعدة لأننا حملنا عبء أربعة حروب ضد اسرائيل في الخمس والعشرين سنة الماضية بتكلفة تقدر بأربعين بليون دولار. وقد ازدادت عوائد النفط العربية بعد الحرب الأخيرة بأربعة أضعاف ـ ومصر تريد الأربعين بليون دولار بقروض أو مساعدة مباشرة أو مشاريع مشتركة ـ إن مصر بحاجة ماسة لمثل هذا العون لدفع عملية التنمية»[٤٨].

ويمكن القول إن السادات كان ينتظر من تلك الاقطار العربية الغنية أن تؤيده ليس مالياً فقط بل وسياسياً أيضاً. لقد كان يعتقد، بالنظر لكون تلك الأنظمة قريبة جداً من الولايات المتحدة، أن ليس أمامها بديل سوى تأييد المدخل الأمريكي، وبالتالي تأييد موقفه بالذات.

ثانياً: الدبلوماسية المصرية بين الحل الجزئي والحل الشامل (دبلوماسية الخطوة خطوة ـ مؤتمر جنيف)

أظهرت المناقشات حول كيفية تحقيق التسوية السلمية في المنطقة (مؤتمر جنيف أو دبلوماسية الخطوة ـ خطوة)، أظهرت مرة أخرى تقلب السادات وعدم اطراده. والواقع ان تصريحات السادات تدل على تأييده لكلتا الوسيلتين. قال، مثلاً، في مقابلة له مع جريدة البيرق اللبنانية: «إني أعتقد بقوة أن علينا أن نذهب الى جنيف لأن هذا المؤتمر هو المنبر الوحيد الذي نستطيع فيه أن نلتقي ونحل المشكلة ونتفق»[٤٩]. على أنه إذا تمكنت الولايات

(٤٦) المصدر نفسه.
(٤٧) مقابلة السادات مع: السياسة (٨ كانون الثاني/ يناير ١٩٦٧).
(٤٨) مقابلة السادات مع: البيرق (٩ كانون الثاني/ يناير ١٩٧٥).
(٤٩) خطاب السادات امام الحقوقيين الفرنسيين في ١٤ كانون الثاني/ يناير ١٩٧٥.

المتحدة من تحقيق أية تسوية من طريق استراتيجيتها القائمة على الخطوة ـ خطوة، فإن السادات سيرحب بذلك كل الترحيب(٥٠).

مع هذا فإن تصريحات السادات الخاصة مع كيسنجر ونيكسون وفورد تدل على نفوره من مؤتمر جنيف. ومن السهولة تفسير عدم الاتساق هذا بالقول إن تصريحات السادات العامة لم تكن تعكس موقفه الحقيقي، وإنما كان تهدف الى الاستهلاك المحلي فقط. لذا فإن موقفه الخاص كان تعبيراً عن السادات الحقيقي. وبالتالي فإنه لم يكن يرى في هاتين الوسيلتين أمرين يكمل احدهما الآخر، بل يستبعد أحدهما الآخر.

إلّا أن نظرة فاحصة في سلوك السادات تكشف اتباعه لكلتا الوسيلتين في آن واحد. فقد قام مثلاً بالتفاوض على النقاط الست مع كيسنجر (وهذه وسيلة الخطوة ـ خطوة)، ثم حضر مؤتمر جنيف، ثم عاد فاتبع وسيلة الخطوة ـ خطوة وتفاوض على اتفاقية سيناء الأولى مع كيسنجر. لذلك فإني أكثر ميلاً الى القول إن السادات كان يرى أن الوسيلتين إحداهما مكملة للأخرى، لأن تصريحاته العامة وتصرفاته تنحو الى تأييد هذا الرأي. أما تصريحاته الخاصة فكانت فيما أعتقد لمجرد التعبير عن تفضيله لإحدى الوسيلتين.

وهكذا فالسادات في تلهفه على التسوية اعتبر هاتين الوسيلتين مكملتين لبعضهما. وبالنظر لافتقاره الى إطار مرجعي أو منهاج متماسك يمكنه من تقويم هذين البديلين لاختيار أحدهما، فقد فشل في إدراك التناقض الكامن في معطياتها الأساسية. فبينما كان مؤتمر جنيف، الذي يشترك في رئاسته كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة، يضم جانباً سلبياً وفقاً لرؤية السادات، الا وهو الوجود والمشاركة السوفياتية في المؤتمر، الأمر الذي حاول السادات دائماً تفاديه. إلا أنه على الجانب الآخر، يضم عاملاً إيجابياً الا وهو اشتراك بلدان عربية اخرى فيه، الأمر الذي يبعد عن السادات شبهة السير في طريق حل منفرد.

من جهة أخرى فإن طريقة الخطوة ـ خطوة تمتاز بكونها برعاية أمريكية محض، وهي تنهج بالتأكيد كما يشتهي السادات لأنه يعتبر الولايات المتحدة العنصر الوحيد القادر على حل المشكلة. على أن هذه الطريقة لا تخلو من ضرر لكونها طريقة دبلوماسية مصرية منفصلة، الأمر الذي يعني بدوره خسارة تأييد العرب وثقل السوفيات مما يضعف كثيراً من الموقف التفاوضي المصري.

بعد أن عرضنا لأهداف السادات وتحديده للوضع، سنحاول النظر في مدى

---

(٥٠) Henry Tauner, «Some in Cairo Feel Kissinger Misled Them,» *New York Times* (27 September 1975).

استعمال السادات لعناصر الموقف التفاوضي المصري لتحقيق أهدافه، وهل تعززت هذه الأهداف أم وهنت نتيجة لدبلوماسية ما بعد حرب تشرين الأول/ اكتوبر؟

ثالثاً: عناصر الموقف التفاوضي

١ ـ العناصر الفعالة

أ ـ القدرة على اللجوء الى الحرب

إن تصرفات السادات السياسية منذ نهاية حرب تشرين الأول/ اكتوبر قد قوّضت تماماً فاعلية هذا العنصر. ويمكن القول إن سوء تصرفه قد حرم مصر من بديل عسكري في حال فشلت عملية السلام.

والواقع ان السادات أنقص من قدرة مصر العسكرية وبالتالي قدرة العرب، وذلك بانفصاله عن الاتحاد السوفياتي مصدره الوحيد للسلاح. وعلى الرغم من انسجام قرار السادات في تنويع مصادر السلاح مع صورته عن السوفيات، ورغبته في إنهاء اعتماد مصر عليهم، الا انه يمكن القول إن القرار لم يكن أفضل خيار ممكن في هذه الفترة. وبما أن قوات الجيش المصري كانت تستعمل الأسلحة السوفياتية منذ عام ١٩٥٥، فإن قرار تنويع مصادر السلاح يعني تغيير وجهة المؤسسة العسكرية المصرية تغييراً تاماً. وهذا يؤثر تأثيراً مباشراً في حالة استعداد القوات العسكرية، إذا فشلت عملية السلام أو اقتضت الضرورة اختيار بديل عسكري. فإذا قارنا، مثلاً، بين قدرة مصر العسكرية وقدرة إسرائيل (الجدول رقم ٦ ـ ١) يتضح أن قدرة إسرائيل العسكرية في الفترة من ١٩٧٣ الى ١٩٧٨ قد ازدادت، في حين انخفضت قدرة مصر. وحتى بالقياس الى أقطار عربية أخرى مثل سوريا والعراق، يلاحظ المرء تدهوراً نسبياً في القدرة العسكرية المصرية، وزيادة نسبية في القدرة العسكرية لكل من العراق وسوريا.

أما التقويم الشامل لقدرة العرب العسكرية إزاء قدرة إسرائيل، فإنه يظهر نقصاً في الأولى بحلول سنة ١٩٧٨. ويبين الجدول رقم (٦ ـ ٢) مثلاً أن نسبة دبابات القتال قد انخفضت الى أقل من النسبة المعتادة البالغة ٢ الى ١ ضد إسرائيل. وعلى عكس ما كان عليه الأمر سنة ١٩٧٣ فإن نسبة حاملات الجنود المدرعة والطائرات المقاتلة قد انخفضت في سنة ١٩٧٨.

جدول رقم (٦ - ١)

التغيير في القدرات العسكرية لدى الاقطار العربية واسرائيل (١٩٧٣ - ١٩٧٨)

البلـد	دبابات	مدفعية	طائرات مقاتلة	حاملات جنود مدرعة
اسرائيل				
١٩٧٣	٢٠٠٠	٤٠٠	٣٤٠	١٠٠٠
١٩٧٨	٣١٧٥	١٢٠٠	٦٢٠	٤٧٠٠
سوريا				
١٩٧٣	١٦٠٠	٥٧٥	٢٩٠	١٠٠٠
١٩٧٨	٢٥٠٠	٨٠٠	٣٩٢	١٧٠٠
العراق				
١٩٧٣	٨٦٠	٣٠٠	٢١٨	٣٠٠
١٩٧٨	١٨٠٠	٨٠٠	٣٢٧	١٠٠٠
مصر				
١٩٧٣	١٩٦٠	١٦٩٠	٥٦٨	٢٠٠٠
١٩٧٨	١٦٠٠	١٣٠٠	٤٧٥	٣٠٠٠

المصـدر: International Institute for Strategic Studies [IISS], *The Military Balance, 1973-1974,* and *1978-1979* (London: IISS, 1973, 1978).

جدول رقم (٦ - ٢)

معدلات القوة العسكرية بين العرب وإسرائيل (١٩٧٣ - ١٩٧٨)

معدلات الأسلحة	بين العرب وإسرائيل (١٩٧٣)	بين العرب وإسرائيل (١٩٧٨)
دبابات	٢,٢١ الى ١,٠٠	١,٨٥ الى ١,٠٠
مدفعية	٦,٤١ الى ١,٠٠	٢,٤١ الى ١,٠٠
طائرات مقاتلة	٣,١٦ الى ١,٠٠	١,٩٣ الى ١,٠٠
حاملات جنود مدرعة	٣,٣٠ الى ١,٠٠	١,٣٤ الى ١,٠٠

المصدر: المصدر نفسه، ١٩٧٣ - ١٩٧٤، و ١٩٧٨ - ١٩٧٩.

يعكس هذا التدهور في قدرة مصر العسكرية، وبالتالي في قدرة العرب، التجمد في نمو الترسانة المصرية «Zero growth» والتي سببها الانفصال عن الممول الرئيس، وهو الاتحاد السوفياتي.

ولم يكتف السادات بالانفصال عن مصدر أسلحته الوحيد، بل انشق كذلك عن شركائه السوريين في الحرب. وكان التحالف مع سوريا قد مكّن الجيوش العربية من مهاجمة إسرائيل على جبهتين في حرب تشرين الأول/ اكتوبر، وأجبر اسرائيل على القتال لأول مرة على جبهتين في آن واحد. ويمكن النظر الى ذلك الانشقاق كعامل مساعد آخر في إضعاف القدرة العسكرية العربية. إن السادات، بتوقيعه على اتفاقية سيناء الأولى، وقبوله تحديد قوات الجيش، وإقامته مناطق عازلة، قد جعل من الصعب جداً على مصر أن تلجأ الى الحرب.

أما اتفاقية سيناء الثانية، على الأخص، فقد أسهمت في تقويض فعالية العرب، وذلك بتجميد الجبهة المصرية وإتاحة الفرصة لاسرائيل لتركز عسكرياً على الجبهة السورية. إن إقامة مناطق عازلة جديدة أوسع حجماً تابعة للأمم المتحدة تفصل بين مصر وإسرائيل من جهة ومحطات الانذار المبكر الأمريكية من جهة أخرى، جعلت أي هجوم مباغت، كما في حرب تشرين الأول/ اكتوبر، أكثر صعوبة إن لم نقل مستحيلاً.

وإذ انخفضت قدرة مصر في اللجوء الى الحرب، بلغت إسرائيل مركزاً أفضل بكثير نتيجة انسحاب أقوى الأقطار العربية من الجبهة المضادة لإسرائيل. فضلاً عن ذلك، تزايدت قدرة اسرائيل العسكرية بتسلمها ما قيمته ٢,٣ مليار دولار من الأسلحة المتقدمة من الولايات المتحدة وضمنها صواريخ برشنغ. كان من شأن هذه الصواريخ التي يبلغ مداها ٤٥٠ ميلاً أنها وضعت القاهرة في مرمى القواعد الاسرائيلية[٥١]. وجاء الهدوء على جبهة إسرائيل الجنوبية ليعفيها من الضغط الناشيء عن مواجهتها لأقطار عربية متعددة في آن واحد، مما أطلق يد إسرائيل على الجبهتين الشرقية والشمالية. وما قصف المفاعل الذري العراقي في عام ١٩٧٨ وغزو لبنان في عام ١٩٨٢ إلا من الأمثلة القليلة على ذلك.

ب ـ القدرة على فرض عقوبات اقتصادية (النفط)

مع ان الاقطار العربية المنتجة للنفط قد قررت بعد حرب تشرين الأول/ اكتوبر أن تواصل الحظر النفطي حتى يمكن تحقيق «حل عادل» على أساس قرار الأمم

(٥١) Sadat's interview with Walter Cronkite, CBS News, 21 June 1974.

المتحدة رقم ٢٤٢، فقد سعى السادات بقوة لـرفع الحصـار واستئناف شحنـات النفط الى الولايات المتحدة بعد فك الارتباط الأول عـلى الجبهة المصريـة. ولم يكن هناك من سبب، بنظر السادات، يدعو لـلاستمرار في استخـدام أداة الضغط هذه، وذلـك «لأن الحظر البترولي كان عبارة عن رسالة موجهة الى الشعب الأمريكي أردنا منها ان يعلم ان لديـه في هذه المنطقة اصدقاء، وان لا يكـون متحامـلاً (prejudiced) عليهم»[٥٢]. وبما أن السـادات اعتقد ان موقف الولايات المتحدة إزاء النزاع العربي ـ الاسرائيـلي قد تغـيّر، فلا حـاجة إذن لاستخـدام هذه الأداة. وبنـظري ان اعتقـاد السـادات بمـوقف أمـريكي إيجـابي نحـو النزاع، وبقدرة أمريكا على اتباع سبيل متوازن في المنطقة، يتصل بقناعتـه بقدرة مصر على أن تلعب دوراً مشابهاً لدور إسرائيل وإيران في حماية مصالح الولايات المتحـدة في المنطقة. وكـان الضغط الذي قـام به السـادات لرفـع الحصار، فـرصة لـه لكي يثبت ذلك. وقد بيّن هذا الموقف بوضوح في مذكراته حين قال: «أنا أقول إن ٩٩٪ من مصـالح الـولايات المتحـدة في الشرق الأوسط هي في أقطار عـربية. ونحن أصـدقاء ونـريد أن نـظل أصدقـاء للولايات المتحدة. نحن نحمي مصالحها. إننا كأصدقاء لها نهتم بمصالحها. ومثلٌ جاهز على ذلك هـو قرارنا برفع الحصار النفطي، حين أدركنا أن الحصار أخذ يؤثر على مصالح الشعب الأمريكي»[٥٣].

وإضافة الى العوامل المذكورة آنفاً، لا يمكن للمرء ان يتجاهل تهـديد كيسنجـر لاسماعيل فهمي بأنه ما لم يرفع الحصار النفطي، فستوقف الولايات المتحـدة جهودهـا الدبلوماسية[٥٤].

إن السادات، بعد أن وضع ما وضع من ثقة كبيرة بالـولايات المتحـدة وقدرتهـا على الضغط على إسرائيل، لا يستطيع ان يبعد (Alienate) أهم طرف في المفاوضات. ولئن كان رفع الحظر النفطي هو السبيل الى تفادي انعزال الولايات المتحدة وابتعادهـا فإنه سيكون مستعداً للسعي إلى رفعه.

وموقف السادات بشأن رفع الحـظرِ النفطي يخرج بوضـوح على الإجماع العربي حـول هذه القضيـة. فـالسـوريـون مثـلاً كـانـوا يحبـذون استمـرار الحـظر حتى تحقق «الأهداف العربية». اما السعوديون فكانوا يـرون ضرورة استمرار الحـظر على الأقـل حتى يتم فك الارتباط على الجبهة السورية[٥٥]. بل إن الملك فيصل أصر، حـين طلب السادات في البداية رفع الحظر، أن يقدم السادات ذلك الـطلب خطيـاً لتحاشي أي اتهام في المستقبل للسعوديين بأنهم الذين دعوا الى رفع الحظر.

---

(٥٢) el-Sadat, *In Search of Identity: An Autobiography*, p. 300.
(٥٣) Kissinger, *Years of Upheaval*, p. 619.
(٥٤) Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East*, p. 277.
(٥٥) المصدر نفسه، ص ٢٧٧.

أما مسألة جدّية الأنظمة العربية المحافظة في استعدادها لدعم السادات، إن اختار أن يتبع خطاً متشدداً، فهي مسألة ستظل، فيما أعتقد، في نطاق التكهن. فإنّا نجد، على سبيل المثال، أن ر.م. بريل وعباس كليدار[٥٦] يشككان جدياً في استعداد تلك الانظمة لتأييد خط متشدد يتخذه السادات، وذلك نظراً لاعتمادها الكبير على الاقتصاد الامريكي والغربي من جهة، ولتخوفها من أن تنفذ الولايات المتحدة تهديدها باحتلال حقول النفط من جهة أخرى.

وعلى الرغم من صعوبة التحقق من جدية التهديد الأمريكي للاقطار المنتجة للنفط، فمن السهل عليّ دحض حجة كليدار لأنها لا تتفق مع ما يتوافر لدينا من أدلة. فعلى سبيل المثال، كان رد الفعل المتمثل بتصريحات الاقطار العربية المنتجة للنفط بشأن التهديد الأمريكي قوياً بشكل لا يقبل المناقشة، ويعبّر عن استعداد تلك الاقطار لنسف آبار النفط في حالة وقوع غزو أمريكي[٥٧]. كذلك هدد كيسنجر السعوديين بأنه، ما لم يرفعوا الحظر سينشر قسماً من مراسلاتهم السابقة مع الولايات المتحدة، مما قد يحرجهم امام العرب الآخرين. وقد أجاب السعوديون على ذلك بالتهديد بنشر مراسلات قد تحرج الولايات المتحدة[٥٨]. ثم لو كانت تلك الأنظمة متخوفة حقاً من تهديدات الولايات المتحدة لبادرت هي قبل غيرها الى إنهاء الحظر النفطي، ولم يكن هذا هو الحال في واقع الأمر.

وبما أن إنهاء الحظر النفطي كان أحد الأهداف الرئيسة لدبلوماسية الولايات المتحدة في تلك الفترة[٥٩]، فإنه يمكن القول إن السادات بتخليه عن هذا العنصر (Leverage) لم يضيّع فقط على مصر وسوريا معاً إمكانية الاستفادة التامة منه في الضغط على اسرائيل للانسحاب الى حدود عام ١٩٦٧، بل إنه كذلك أنقذها من الكثير من الضغط من جانب أوروبا الغربية للانسحاب الى الحدود المذكورة.

ج ـ القدرة على التأثير في سياسات طرف ثالث

كان المنطق في استخدام هذه الأداة يقوم على تصور السادات لقدرة الولايات

---

(٥٦) Robert Michael Burrell and Abbas R. Kelidar, *Egypt: The Dilemmas of Nation, 1970-1977*, The Washington Papers; vol. 5, 48 (Washington, D.C.: Georgetown University, Center for Strategic and International Studies; Beverly Hills, Calif.: Sage Publications, 1977).

(٥٧) انظر تصريح وزير خارجية الإمارات في:
Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East.*

(٥٨) Sheehan, *The Arabs, Israelis and Kissinger: A Secret History of American Diplomacy in the Middle East*, p. 116.

(٥٩) Kissinger, *Years of Upheaval*, p. 116.

المتحدة على الضغط على اسرائيل من جهة، ولقدرة الاقطار العربية المنتجة للنفط على التأثير في اعمال الولايات المتحدة باستخدام النفط كسلاح سياسي من جهة أخرى. أما وقد رأى السادات أن الولايات المتحدة بدأت، نتيجة لحرب تشرين الأول/ اكتوبر، تقوم بدور إيجابي لحل النزاع، وإلى حدٍ لم يجد معه حاجة الى استمرار الحظر النفطي، فيمكن القول إذن ان هذه الأداة، بنظر السادات، قد استعملت تماماً ولم تعد هناك حاجة لاستمرار التمسك بها.

ويمكن القول كذلك إن السادات كان ينظر دائماً الى الاقطار العربية المحافظة، وبخاصة السعودية، على أنها جسره لإقامة علاقات طيبة مع الولايات المتحدة، وبما أنه نجح في إقامة تلك العلاقة خلال اجتماعه الأول بكيسنجر، ثم رسّخها بتوقيعه اتفاقية سيناء الأولى، فإن هذا الدور الذي كانت تقوم به تلك الاقطار العربية، يكون بنظره قد تحقق وفتح له الباب لعلاقات مباشرة بين الولايات المتحدة ومصر دون أية وساطة.

وإجمالاً للقول، لم تعد هناك حاجة لإقناع الاقطار العربية المحافظة بالتأثير في الولايات المتحدة لكي تضغط على اسرائيل، لأن الولايات المتحدة بنظر السادات قد تغيرت تماماً وأصبحت على استعداد للمضي في طريق السلام في المنطقة.

فلما وقّع السادات اتفاقية سيناء الثانية، لم يتلق تأييداً قوياً من الاقطار العربية المحافظة والمنتجة للنفط، وهذا أضعف قدرته في التأثير فيها. ففي حين واصل السعوديون دعمهم المالي لمصر، فقد كانوا متحفظين جداً في صياغة موقفهم إزاء اتفاقية سيناء الثانية. فوزير الدولة السعودي للشؤون الخارجية نظر الى الاتفاق على أنه «خطوة نحو تسوية نهائية». ومع هذا قال إن الخطوة التالية نحو السلام «لا بد لها أن تضم الفلسطينيين»[٦٠]. وقد ذهب أحد الصحفيين السعوديين الى أبعد من ذلك فكتب منددًا يقول: «إن وعد الولايات المتحدة بالعمل حثيثاً من أجل سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط قد ذهب مع الريح»[٦١].

ويمكن فهم الموقف السعودي في ضوء الحقيقة التي مفادها أنهم لم يشاءوا أن يوقع بهم بين السوريين والمصريين. فمن جهة، نجد السوريين يشنون حملة ضد اتفاقية سيناء الثانية على أساس أنها تؤلف معاهدة سلام منفصلة بين مصر وإسرائيل، وتجعل السادات بالتالي خائناً بنظر الجماهير العربية، ومن شأن هذا أن يقيد حرية السعوديين في تأييد السادات. ومن جهة أخرى، كانت رغبة السعوديين في تشجيع

---

(٦٠) W.H. Dubberstein, «Sinai II: In Retrospect,» *Strategic Review*, no. 2 (1977), p. 27.

(٦١) المصدر نفسه.

توجه السادات الغربي منسجمة مع هدفهم في المنطقة. فقرروا بالتالي اتخاذ موقف هادىء محايد وإيجابي[٦٢].

د ـ الاستعداد لتغيير نمط العلاقات

أما منطق استخدام هذه الأداة فيقوم على قدرة السادات في أن يضرب دولة عظمى بأخرى. فهو بإظهاره استعداده للأمريكيين بإقامة علاقات صداقة معهم، كان في الواقع يمارس بعض الضغط على السوفيات لتلبية مطالبه، وإن لم يقصد السادات هذا أبداً. ثم إنه بتحسينه العلاقات مع الروس كان بإمكانه أن يظهر للولايات المتحدة أنه، ما لم تضغط على إسرائيل لتحقيق تسوية شاملة في المنطقة، فسيعود الى السوفيات مرة أخرى.

كان السادات ناجحاً في استخدامه لهذه الأداة إزاء الولايات المتحدة. فهو بإظهاره الاهتمام بتغيير علاقة مصر مع الولايات المتحدة وإسرائيل معاً قد أدخل الأولى في عملية السلام، وانقذ الجيش الثالث من التدمير، وزوّد مصر بالمعونة الاقتصادية. مع هذا، ومن جراء انفصاله التام عن السوفيات دون الإصرار على إحراز مكاسب للاقطار العربية الأخرى، فإنه قد حرم نفسه من القدرة على الحصول على المزيد من الأمريكيين لأنه أظهر لهم ببساطة أن ليس لديه خيار آخر.

والواقع ان سياسة السادات بعد تشرين الأول/ اكتوبر تدل على تحول تام في التحالفات المصرية. فمع أنه صرح بعد الحرب ان على مصر ان تكون على علاقات طيبة مع كلتا الدولتين الأعظم، فإننا نجد علاقات مصر مع الولايات المتحدة قد ترسخت في حين تردت علاقاتها مع الاتحاد السوفياتي. فإذا نظرنا الى الاتفاقات الثنائية بين مصر وبين الأقطار الغربية والاشتراكية نجد ما يلي (كما يشير الجدول رقم ٦ ـ ٣) : (أ) بلغ مجموع الاتفاقيات (العسكرية والثقافية والاقتصادية والدبلوماسية) المعقودة في الفترة ١٩٧١ ـ ١٩٧٧ بين مصر والغرب إحدى وخمسين اتفاقية، في حين بلغ مجموعها مع الشرق عشر اتفاقيات فقط؛ (ب) بينما كان المعدل في ١٩٧١ بنسبة ١ الى ٤ ضد الغرب أصبح في ١٩٧٥ بنسبة ١ الى ١٢ لصالح الغرب، وتزايدت هذه النسبة لصالحه حتى بلغت في ١٩٧٧ ما معدله ١ الى ١٤.

---

(٦٢) للاطلاع على تفاصيل الموقف السعودي، انظر:
Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East.*

جدول رقم (٦ ـ ٣)
اتفاقيات مصر مع الشرق والغرب (١٩٧١ ـ ١٩٧٧)

السنة	الاتحاد السوفياتي والأقطار الاشتراكية الرئيسية	الولايات المتحدة والاقطار الغربية الرئيسية	المجموع
١٩٧١	٤	١	٥
١٩٧٢	١	٦	٧
١٩٧٣	–	١	١
١٩٧٤	٢	٦	٨
١٩٧٥	١	١٢	١٣
١٩٧٦	١	١١	١٢
١٩٧٧	١	١٤	١٥
المجموع	١٠	٥١	٦١

المصـدر: Bahgat Korany, «Egypt's Dependent Development, Pattern of Inter-Arab Politics, and the Making of Camp David Agreements,» paper presented at: Middle East Studies Association, 18th Annual Meeting, San Francisco, California, 28 November - 1 December 1984.

إن مـا ينطوي عليـه التحول في عـلاقات مصر مـع الولايـات المتحدة والاتحـاد السوفياتي كان بالنسبة لإسرائيل أمراً معقداً بعض الشيء. إذ يمكن القول، من جهة، أن السـادات احتفظ كنتيجـة لهـذا التحـول بعنصر(Leverage) تفاوضي قـوي إزاء اسرائيـل. فعلاقـات مصر الوديـة مع الـولايات المتحـدة ستكون حـافزاً لهـا لمساعـدة السادات اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً، على أسـاس ان مصر قد أصبحت حليفـاً آخر تنبغي حمايته. لهذا يمكن انتظار وقوع بعض الضغط من جانب الـولايات المتحـدة على اسرائيل لمساعدة الحليف المصري الجديد. وبالتالي ستنظر اسرائيـل الى السادات عـلى أنه قادر على التأثير في سياسة الولايات المتحدة، وهذا يضعف علاقاتها مع اسرائيل.

ومن جهـة أخرى، يمكن القـول أيضاً ان مصر، وقـد اعتمدت بـالكامـل عـلى الولايات المتحدة دون الاحتفاظ بخط الرجعة، لن تتمتع بموقف اقوى في علاقتها إزاء اسرائيل. وقد عبّر كيسنجر عن ذلك خير تعبير إذ قال: «ستكون مصر بعلاقـات وثيقة مـع الولايات المتحدة مصدر نفع لها ولإسرائيل معاً. وستكون مصر، وقد توجهت توجهـاً أمريكيـاً، أمراً حسناً لإسرائيل ايضـا لأن بقاء اسرائيـل وأمنها من الأمـور الجوهـرية في سيـاسة الـولايات المتحـدة، وسيكـون على مصر أن تلتزم بهـذه الحقيقة من حقـائق الحياة، هـذا إن لم تكن قـد قبلت بهـا سلفـاً ـ

وبالتالي ستكون صورة النزاع قد خفّت حدتها فتستطيع القاهرة أن تركز بسهولة أكبر على حل مشاكلها الداخلية بمساعدة امريكية»[٦٣].

هذه الحجة، في رأيي، هي أكثر قبولاً للمنطق إذا أخذنا بنظر الاعتبار تأثير اسرائيل الكبير في السياسة الداخلية الأمريكية، في حين لا تأثير يذكر لمصر فيها. لذلك تبرز صورتان للموقف التفاوضي. الأولى تعكس اعتماد مصر الكلي على الولايات المتحدة دون ان تكون في يدها أية أدوات تساوم بها. والثانية تمثل علاقات اسرائيلية ـ امريكية، وفيها تملك اسرائيل أدوات خاصة بها للضغط على الولايات المتحدة أو على الأقل مواجهة محاولات امريكا للضغط عليها على الرغم من اعتمادها على المساعدة الاقتصادية والعسكرية الأمريكية.

لذلك أقول إن نتيجة تحطيم السادات لهذه الأداة ستكون تحسين مركز إسرائيل إزاء مصر، لأن مصر، بدلاً من أن تكون قادرة على ممارسة سياسة الضغط، قد أصبحت هي ذاتها هدفاً مكشوفاً لتلك السياسة.

٢ ـ العناصر الكامنة

أ ـ إدراك امكانية حدوث عدم استقرار سياسي أو اقتصادي

بالنظر لإدراك السادات لصعوبات مصر الاقتصادية، فقد كان ميالاً الى أن ينظر الى المصالحة الأمريكية ـ المصرية كمخرج للمشاكل الاقتصادية في مصر. أما كيسنجر فقد نظر الى استعداد السادات للتعاون مع الولايات المتحدة واسرائيل كعامل حاسم في إنهاء مواجهة مصر مع اسرائيل، وتحقيق الاستقرار في المنطقة على أسس (Pax Americana)، وهذا معناه أن للولايات المتحدة مصلحة في بقاء السادات في الحكم. وبما أنها رأت أن استقرار نظام السادات يعتمد بالأساس على قدرة حكومته في تلبية المطالب الاقتصادية للشعب المصري، فقد كان عليها ان تقدم لمصر مساعدة اقتصادية، وذلك لدعم استقرار النظام فيها، وللحصول على مزيد من التنازلات والتعاون من جانب السادات. (انظر الجدول رقم ٦ ـ ٤) .

وعلى سبيل المثال قدمت الولايات المتحدة، بعد التوقيع على اتفاقية سيناء الأولى، مبلغ ٨٥ مليون دولار الى مصر لإعادة بناء مدن القناة المهدمة. ويمكن النظر الى هذه المساعدة على أنها مكافأة للسادات لحثه على توقيع اتفاقيات اخرى، ووسيلة

(٦٣) Shlomo Aronson, *Conflict and Bargaining in the Middle East: An Israeli Perspective* (Baltimore, Maryland: Johns Hopkins University Press, 1978), p. 200.

جدول رقم (٦ - ٤)

المساعدات الاقتصادية الامريكية لمصر خلال السنوات، ١٩٧٥ - ١٩٨١
(بملايين الدولارات)

المساعدة	١٩٧٥	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠	١٩٨١
١ - مساعدة اقتصادية عامة بضمنها استيراد سلع وتخصيصات السلام (بند ١)	٢٥٠,٠	٥١٨,١	٦٤٧,١	٥٠٠,٨	٥٦٤,٤	٧٠٢,٨	٥٨٨,٠
قروض	٢٤٨,١	٥٠١,١	٦٢٠,٧	٤٧٦,٥	٤٦٢,١	٦٠٥,٠	٣٤٥,٠
منح	١,٩	١٧,٠	٢٦,٤	٢٤,٣	١٠٢,٥	٩٧,٨	٢٤٣,٠
٢ - البنية الأساسية	٣٠,٠	١٧٣,٠	١٢٣,١	٢٢١,٠	٣٠٥,٨	١٩٣,١	١٩٧,٠
قروض	—	٧٤,٠	٨١,١	١٤٦,٠	—	—	—
منح	٣٠,٠	٩٩,٠	٤٢,٠	٧٥,٠	٣٠٥,٨	١٩٣,١	١٩٧,٠
٣ - اللامركزية	—	—	—	١,٤	٢,٥	١٢٧,٣	٥٥,٠
٤ - نقل، صناعة، تجارة، تمويل	٧٩,٣	٢٥٥,٦	٦٣,٠	١٨٠,٩	٥٤,٠	٧٠,٨	٨٠,٥
قروض	٤٤,٣	١٥٩,٠	٤٢,٠	١٧٩,٤	—	—	—
منح	٣٥,٠	٩٦,٦	٢١,٠	٩,٥	٥٤,٠	٧٠,٨	٨٠,٥
٥ - غذاء وزراعة	—	٣٢,٥	٤١,٨	١٣,٨	١٠٥,٥	٧٨,٠	٦٤,٠
قروض	—	٣١,٠	٣٧,٠	—	—	—	—
منح	—	١,٥	٤,٨	١٣,٨	١٠٥,٥	٧٨,٠	٦٤,٠
٦ - خدمات اجتماعية بضمنها تخصيصات السلام (بند ٢)	١٢,٦	٧,٤	١٧,٠	١٧,٢	٣٣,٧	١١٢,٨	١٤٣,٧
المجموع من دون ت. س.	٢١٦,٢	٧٩٤,٩٠	٦٩٩,٢	٧٥٠,٧	٨٣٥,٠(*)	٨٦٥,٠(*)	٨٢٩,٠
برنامج السلام	١١٠,٧	١٩١,٧	١٩٢,٧	١٨٣,٠	٢٢٦,١	٣٤٠,٠	٣٢٨,٩
مجموع المنح	٣٧١,٩	٩٨٦,٦	٨٩١,٩	٩٣٣,٧	١,٠٦١,١	١٢٠٥,٠	١,١٨٢,٦

(*) ضمنها تخصيصات السلام الإضافية.

المصدر: U.S. Agency for International Development, Cairo, Egypt, February 1981, adopted from M. Weinbaum, «Politics and Development,» *Middle East Journal* (Autumn 1983), p. 683.

لتنفيذ اتفاقية سيناء بتطمين الإسرائيليين عن نوايا مصر السلمية[٦٤]. ويمكن كذلك النظر اليها على أنها وسيلة تظهر للمصريين التزام الولايات المتحدة «الإيجابي» بالسلام في المنطقة. كما أعلن نيكسون خلال زيارته لمصر في حزيران/ يونيو ١٩٧٤، أنه طلب من الكونغرس رصد مبلغ ٢٥٠ مليون دولار لأغراض التنمية الاقتصادية في مصر. وبعد التوقيع على اتفاقية سيناء الثانية في ١٩٧٥، زادت إدارة فورد المساعدة الاقتصادية لمصر الى حوالى مليار دولار سنوياً ابتداءً من السنة المالية ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧[٦٥].

وهكذا كلما عمّق السادات من اعتماده على الولايات المتحدة، وتمسكت هذه بالمفهوم القاضي بأن دور السادات مرغوب فيه، كانت الفائدة الناتجة عن استخدام هذا العنصر أو الأداة (leverage) في يد السادات، لأن بوسعه دائماً ان يطلب مزيداً من المساعدة الاقتصادية. ولكن هذه الأداة يمكن ان تعطي كذلك مفعولاً معاكساً: فاعتماد السادات المتزايد على الولايات المتحدة سياسياً وإقتصادياً من شأنه ان يقيد حريته في العمل كلما تعارضت مصالح مصر مع مصالح الولايات المتحدة. أما وان السادات قد تماهى كلياً مع امريكا ومع اهدافها الاستراتيجية في المنطقة، فإنه كان من المستبعد جداً ان يتم تصادم بينه وبينها.

ب ـ إدراك علاقة اعتماد متبادل

إن الاعتماد المتبادل بين الاتحاد السوفياتي ومصر قد تبدد بانفصال السادات عن السوفيات. وكانت طريقة الخطوة ـ خطوة، التي لعبت فيها الولايات المتحدة الدور الرئيس في حل النزاع، واستعداد مصر لاتباع هذا الدرب حتى نهايته، من العوامل الحاسمة في تقويض أداة الضغط المذكورة آنفاً.

ومع أن الاتحاد السوفياتي قدم العون والمساعدة لمصر خلال الحرب، ولكن السادات لم يعامله كحليف أبداً. فقد كان من المعروف على نطاق واسع أن السادات لم يخبر السوفيات فوراً بالجيب الاسرائيلي في الدفرسوار بحجة احتمال اتخاذه ذريعة للاستهزاء من ادارة السادات العسكرية للحرب. وقد تحدث الفريق الشاذلي عن ذلك قائلاً: «لم يكن العدو هو وحده الذي حاولنا تضليله، بل ضللنا الروس أيضاً». كما أن «الرئيس أوصانا بألا نقدم للسوفيات إلا اكثر الصور غموضاً عما كان يجري»[٦٦]. ولم يكتفِ السادات

(٦٤) للاطلاع على تحليل لأهداف المعونة الاقتصادية الامريكية لمصر، انظر:

G. Weinbaum, «Politics and Development in Foreign Aid: U.S. Economic Assistance to Egypt, 1975-82,» *Middle East Journal* (Autumn 1983), pp. 636-655.

(٦٥) المصدر نفسه.

(٦٦) el-Shazly, *The Crossing of Suez: The October War 1973*, p. 212.

بالاحجام عن إخبار السوفيات بما جرى في الحرب، بل أحجم كذلك عن إخبارهم والتنسيق معهم بشأن خطة السلام. وقد تحدث السفير السوفياتي في مصر آنئذٍ معبراً عن امتعاضه المرير فقال: «كان الاتحاد السوفياتي متلهفاً كذلك لتقديم العون السياسي ولكنه غالباً ما ادهشته تحركات وأحداث يمكن أن تضعف قوة المصريين في المفاوضة كما حدث حين أرسل مشروع السلام المصري الى موسكو بعد أن أعلنته واشنطن»(٦٧).

وبعد أن وقّع السادات اتفاقية سيناء الثانية ورسخ علاقاته مع الولايات المتحدة، قام بشن أعنف هجوم له على السوفيات. ففي خطابه الذي ألقاه في الرابع من أيلول/ سبتمبر ١٩٧٥، قال السادات انه بما أن السوفيات قد رفضوا بيعه تقنية متقدمة، فقد اضطر أن يطلب من الامريكيين تزويده بمحطة إنذار مبكر في سيناء(٦٨). وفي الثامن من الشهر المذكور، أجرت جريدة كويتية مقابلة معه بحث فيها مشاكله مع السوفيات. ومع أنه أوضح أنه لن يقطع علاقاته معهم، لكنه شدّد على القول: «بأننا خضنا حربنا بأسلحة سوفياتية، إلا أن نصرنا لا يرجع الى اسلحتنا بل الى اولئك الذين عرفوا كيف يستعملونها»(٦٩). كذلك اشتكى من موقف السوفيات بشأن تسليم الاسلحة الى مصر، وإلغائهم زيارة بريجنيف لها. وانتهى قائلاً: «لا يمكن لرجل يحترم نفسه أن يوافق على الطرق التي استعملها السوفيات في تعاملهم معي»(٧٠). وفي ٢٢ تشرين الأول/ اكتوبر تحدث السادات عن علاقاته معهم فقال: «إن الاتحاد السوفياتي مستاء لأنني لم أشأ أن أطلب الإذن منهم. لا قبل اتفاقية فك الارتباط الأولى ولا قبل الاتفاقية الثانية. لذلك فهم يحركون السوريين والفلسطينيين وفق توجيهاتهم»(٧١).

وبحلول عام ١٩٧٦ بلغ السادات حد القطيعة التامة مع السوفيات بانهاء معاهدة الصداقة معهم. وبهذا العمل لم يقتصر فقط على تقويض أداة من أدوات الضغط وحرمان نفسه من «بديل»، بل أضعف كذلك موقفه إزاء إسرائيل. إنه بقطيعته مع السوفيات صرف في واقع الأمر عن إسرائيل أي خوف من احتمال تأييدٍ روسيّ لعمل تقوم به مصر ضدها، أو احتمال دعمٍ له.

وعلى خلاف مصر التي انفصلت كلياً عن حليفها الأساسي، نجد أن إسرائيل قد حافظت على علاقة الاعتماد المتبادل مع الولايات المتحدة، فكسبت نتيجة لذلك تأييدها العسكري والاقتصادي والمالي. (انظر الجدول رقم ٦ ـ ٥) .

---

(٦٧) Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East*, p. 268.

(٦٨) خطاب السادات في مجلس الشعب واللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي في ١٤ ايلول/ سبتمبر ١٩٧٥.

(٦٩) مقابلة السادات مع: **السياسة** (٨ ايلول/ سبتمبر ١٩٧٥).

(٧٠) المصدر نفسه.

(٧١) مقابلة السادات مع: **القبس** (٢٥ تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٧٥).

جدول رقم (٦ ـ ٥)

مجموع المساعدة الخارجية

البرنامج	١٩٦٢ ـ ١٩٧٤	١٩٧٥	١٩٧٦	فصل انتقالي	١٩٧٧	مجموع المساعدة الخارجية للفترة ١٩٦٢ ـ ١٩٧٧	مجموع القروض والمنح ١٩٤٦ ـ ١٩٧٧	تسديد وفوائد ١٩٤٦ ـ ١٩٧٧	المجموع ناقصاً تسديد وفوائد ١٩٤٦ ـ ١٩٧٧
مجموع المساعدة الإقتصادية	٧١٣٧	٣٥٣١	٧١٤٤	٧٨٦	٧٤٢٠	٢٦٠١٨	٣٢١٧٦	٥٥٢٩	٢٦٦٤٧
قروض	٥٣٥٢	٨٦	٢٣٩٤	٢٨٦	٢٥٢٠	١٠٦٣٨	١٢٨٦٢	٥٥٢٩	٧٣٣٣
منح	١٧٨٥	٣٤٤٥	٤٧٥٠	٥٠٠	٤٩٠٠	١٥٣٨٠	١٩٣١٤		١٩٣١٤
مجموع المساعدة العسكرية	٣٩١١٦	٣٠٠٠	١٥٠٠٠	٢٠٠٠	١٠٠٠٠	٦٩١١٦	٦٩٠٤٢	٨٠٢٢	٦١٠٢٠
قروض	٢٤١١٦	٢٠٠٠	٧٥٠٠	١٠٠٠	٥٠٠٠	٣٩٦١٦	٣٩٥٤٢	٨٠٢٢	٣١٥٢٠
منح	١٥٠٠٠	١٠٠٠	٧٥٠٠	١٠٠٠	٥٠٠٠	٢٩٥٠٠	٢٩٥٠٠		٢٩٥٠٠
مجموع المساعدتين	٤٦٢٥٣	٦٥٣١	٢٢١٤٤	٢٧٨٦	١٧٤٢٠	٩٥١٣٤	١٠١٢١٨	١٣٥٥١	٨٧٦٦٧
قروض	٢٩٤٦٨	٢٠٨٦	٩٨٩٤	١٢٨٦	٧٥٢٠	٥٠٢٥٤	٥٢٤٠٤	١٣٥٥١	٣٨٨٥٣
منح	١٦٧٨٥	٤٤٤٥	١٢٢٥٠	١٥٠٠	٩٩٠٠	٤٤٨٨٠	٤٨٨١٤		٤٨٨١٤

المصدر: المصدر نفسه.

ج ـ إدراك امكانية حدوث تغييرات محتملة في توازن القوى

لا يقوم هذا العنصر من عناصر الضغط فقط على قوة العرب المادية (النفط، البترو دولارات، القوة البشرية. . . الخ) بل، أيضاً، على قدرتهم في تعبئة هذه الإمكانية وتحويلها الى نفوذ من طريق التضامن العربي. مع هذا فإن نظرة واحدة في السياسة بين العرب بعد اتفاقية سيناء الثانية تكشف عن العكس، أو عن تقويض هذه الأداة إزاء إسرائيل. فقد ترددت علاقات مصر مع أكثرية الأقطار العربية. وإتحاد الجمهوريات العربية، «قاعدة قوة» السادات كما كان يحلو له أن يقول، قد تبدد بسبب الخصومات بين الأعضاء الثلاثة، مصر وسوريا وليبيا. والعلاقات المصرية ـ الليبية استمرت في التردي بعد حرب تشرين الأول/ اكتوبر، فوصلت في النهاية الى مستوى النزاع المكشوف حين تصادم القطران عسكرياً في تموز/ يوليو ١٩٧٧. والتحالف المصري ـ السوري قد تمزق إرباً نتيجة لانعدام التنسيق الدبلوماسي بين القطرين، ولطريقة كيسنجر في إتباع سياسة الخطوة ـ خطوة. على الرغم من أن الأسد والسادات قد وافقا على استراتيجية موحدة في مؤتمر جنيف، وذلك خلال اجتماعهما في القاهرة في الحادي عشر من كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٤، إن أعمالهما إزاء المؤتمر كانت على اختلاف تام[٧٢]. فعلى سبيل المثال قام الأسد بإخبار كيسنجر بأنه «ما لم يجر توضيح غرض المؤتمر منذ البداية، ألا وهو أنه يستند الى تحقيق انسحاب اسرائيلي من جميع الأراضي العربية المحتلة، فإن سوريا لا ترى ما يدعوها للحضور»[٧٣]. أما السادات فقد وافق من جهته على الذهاب الى المؤتمر دون أية شروط.

وأضافت دبلوماسية الخطوة ـ خطوة، حيث تبدأ الخطوة الأولى دائماً من مصر، الى التوتر بين القطرين. كذلك كان من شأن رؤية السادات للحكومة السورية كدمية في يد الروس، تعميق جذور الشك وعدم الثقة بينهم. وخلاصة الأمر انه بينما اضاف التضامن العربي في فترة حرب تشرين الأول/ اكتوبر الكثير إلى عناصر قوة العرب، فإن دبلوماسية ما بعد الحرب أدت الى تشرذم العرب وإضعافهم.

د ـ إدراك امكانية إشراك الدول العظمى في الصراع

كان من شأن الوضع المتأزم والخوف من وقوع حرب عرضية بسبب حرب تشرين الأول/ اكتوبر، أن دفعت الدول العظمى نحو محاولة حل النزاع، وخلقت مصدراً جديداً لمجال الفعالية الضاغطة. مع هذا فإن خيار السادات بحل النزاع في

---

(٧٢) Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East*, pp. 269-270.

(٧٣) المصدر نفسه، ص ٢٧٠.

وضع هادىء يخلو من التوتر، كالحصار النفطي أو التهديد باللجوء الى القوة من جهة، واستبعاده للسوفيات عن القيام بدور فعال في عملية السلام من جهة أخرى، قد خرّب هذه الفعالية تماماً، وهذا بلا ريب في صالح اسرائيل.

رابعاً: منظومة عناصر الموقف التفاوضي المصري - صورة ديناميكية

إن مقارنة موجزة بين عناصر الموقف التفاوضي المصري بعد الحرب (تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٣) وبين تلك التي جرت بعد توقيع اتفاقية سيناء الثانية في ايلول/ سبتمبر ١٩٧٣ تبين الضرر الذي أصاب الموقف التفاوضي. ولا ينكر أن قدرة مصر على اللجوء الى القوة قد تزايدت نتيجة للحرب، إضافة الى أن تأييد الرأي العام العربي وصداقة السادات مع زعماء العرب المحافظين أتاحا له أن يؤثر في سياستهم ويلزمهم باستخدام النفط كأداة للضغط. على أن توقيعه لاتفاقية سيناء الثانية جعله بنظر الشعوب العربية خائناً للقضية العربية، مما أضعف قدرته على التأثير في سياسات الأقطار العربية المحافظة من مركز قوة. وجاء انفصاله عن الاتحاد السوفياتي ليؤدي ليس فقط الى تقويض قدرته على اللجوء الى الحرب بل الى تقويض تصور إسرائيل كذلك عن قدرته على التأثير في سياسة السوفيات. وبتحويل السادات لتحالفه تحويلاً كاملاً عن الروس الى الأمريكيين دون الاصرار على أية مكاسب يجنيها العرب، يكون قد بدّد تماماً الصورة القوية التي حققتها مصر لنفسها في شهر تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٣. إن صورة مصر كزعيمة للعرب حلت محلها صورة قطر ضعيف، فقير، ذي عدد كبير من السكان بدون مصادر ثروة في البلاد. وبالتالي فإن أداة الضغط الوحيدة التي تركت في يد السادات كانت أداة مهينة للغاية، وأعني بذلك نقطة إدراك إمكانية حدوث عدم استقرار سياسي واقتصادي في مصر. وقد أصبح السادات، بسبب استعداده للتنازل، عنصراً مهماً في سياسة الولايات المتحدة في النزاع، الأمر الذي ألزم الولايات المتحدة بحماية مصر ودعمها اقتصادياً لمجرد إبقاء السادات في الحكم.

بعد أن تناولنا تحديد السادات للموقف وبحثنا أهدافه، وبيّنا الضرر الذي لحق بالموقف التفاوضي المصري، سنحاول الآن النظر إلى تأثير المتغيرات الشخصية، والعوامل الموضوعية المتعلقة بالموقف، في سلوك السادات. إن هذين النوعين من المتغيرات قد أثرا في تحديد السادات للموقف وفي استراتيجيته. فمن الناحية المتعلقة بالموقف، نجد أن الجيب الاسرائيلي وحصار الجيش الثالث كان لهما أكبر تأثير في بلورة تشخيص معين من السادات للموقف. كما نجد أنه من الناحية الشخصية قد راهن على الولايات المتحدة وعلى قدرتها على حل النزاع. وهذه الثقة بالولايات المتحدة قد

حرمته من خيارٍ ثانٍ، ونعني به استعمال موقفه التفاوضي القوي في محاولة لحل المشكلة، وذلك بالابقاء على عناصر الأزمة في الموقف (الحظر النفطي، التهديد باستعمال القوة) وذلك للضغط على الولايات المتحدة، وتحقيق حل من طريق التعاون مع الاتحاد السوفياتي وأوروبا الغربية. وقد تجلت هذه الحقيقة خلال المفاوضات لعقد اتفاقية سيناء الثانية. فقد وصف السادات الاتفاقية بأنها مقامرة على المستقبل، ولكنه كان عليه أن يقوم بها لعدم وجود خيار آخر. إن الصورة الإيجابية التي يحملها عن الولايات المتحدة أباحت له أن يتجاهل مساعدتها لإسرائيل خلال الحرب.

جدول رقم (٦ - ٦)
منظومة عناصر الموقف التفاوضي المصري

أدوات المساومة المصرية إزاء اسرائيل	تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٣	ايلول/ سبتمبر ١٩٧٥
الاستعداد للجوء الى الحرب	↑	↓
القدرة على التأثير في أعمال قطر ثالث	↑	↓
الاستعداد لتغيير نمط العلاقة	↑	↓
القدرة على حجب فرص اقتصادية	↑	↓
إمكانية إشراك الدول العظمى	↑	↓
إدراك الاعتماد المتبادل	↑	↓
التغيرات بعيدة المدى في درجة إمكانيات القوة	↑	↓
نقطة الضعف الاقتصادية	↑	↑
المواقف العامة	↑	↓

كما أن هذه الصورة قد أضحت عاملاً رئيساً في تقويم السادات لدور الولايات المتحدة في عملية السلام. إنه، وقد غمره الفرح بتوقيع اتفاقية سيناء الأولى، مع كل الضرر الذي ألحقته بالموقف التفاوضي المصري، أخذ يعانق كيسنجر بسرور ويقول له: «إنك لست صديقي فقط، بل إنك أخي»[٧٤]. ولم يمض على الجسر الجوي الامريكي الى اسرائيل إلا سبعة أشهر فقط، حتى استقبل نيكسون في مصر استقبال الأبطال، وأضاف السادات اسماً أمريكياً آخر الى قائمة «صديقي العزيز». وهذه القائمة ستضم فورد فيما بعد، فهو «شخص أمين وصريح، ورجل سلام، ومقاتل من أجل السلام»[٧٥]. وستضم ايضاً غيره من الرؤساء الامريكيين.

(٧٤) Kissinger, *Years of Upheaval,* and David Hirst and Irene Beeson, *Sadat* (London: Faber and Faber, 1981), p. 185.

(٧٥) المؤتمر الصحفي المشترك للسادات وجيرالد فورد في سالزبورغ في ٢ حزيران/ يونيو ١٩٧٥.

والـواقع إن اعـمال السـادات تعـبّر، في رأيي، عن تصـوره للسيـاسـة عمـومـاً وللاستراتيجية خصوصاً. لقد كان ينظر الى العلاقة الامريكية ـ المصرية على انها تقـوم اساساً على العلاقات الخاصة والصداقة الشخصية. لـذا كان عـلى استعداد للتضحيـة بمصالح مصر (تحطيم موقفها التفاوضي) لمجرد ان يقوي من صداقة مصر مع الولايات المتحدة. أما كيسنجر فقد كان، على عكس السادات، مدركـاً كل الإدراك لخيـاراته، كما كان ينظر الى السياسة على أنها مصالح بـالدرجـة الأولى، لذلـك فكلما كان يـواجه بموقف متشدد من إسرائيل كان يجـد خياره الـوحيد في زيـادة الضغط على السـادات، مستغلاً في ذلك حبه للمديح وانبهاره بمواقف الولايات المتحدة.

ويمكن القول كذلـك إن الصورة الإيجـابية التي يحملهـا السادات عن الـولايات المتحدة جعلته ينظر الى الاتحاد السوفياتي نظرة عدائية باعتبـاره كيانـاً شريراً يتحكم في سياسات حلفائه من الاقطار العربية «الراديكالية» وجبهة الرفض. وبالتالي جعلته هذه الصورة السلبية التي يحملها عن الاتحاد السوفياتي يتجاهل مساعدته لمصر خلال حـرب تشرين الأول/ اكتوبر.

أما فيما يتعلق باسرائيل، فإن تحديد السادات للمـوقف، وبخاصـة الصورة التي يحملها عنها، جعلته يفسر موقف إسرائيل التفاوضي المتشدد لا باعتباره انعكاسـاً لعدم قبولها للحلول الوسط وعدم استعدادها لتحقيق السلام، بل انعكـاساً لعـدم شعورهـا بالأمن وافتقارها للثقة، مما جعل السادات يميل الى تقـديم التنازلات اكـثر مما يميـل الى التشدد.

وكان تصور السادات لذاته، وأسلوبه حيال مستشاريه، من العوامـل الحاسمـة جداً في التأثير في سلوكه. فثقته بكيسنجر جعلته يقبل بأي اقتراح منـه، ولو كـان ضد رغبة مستشاريه ووزير خارجيته اسماعيل فهمي. ومن الأدلة على ذلـك موقف الفـريق الجمسي من اتفاقية سيناء الأولى ومحادثـات الكيلومتر ١٠١ (كـما تم شرحه في الفصـل الخامس). إن تصور السادات لنفسه على أنه أكثر خبرة من مستشاريه جعله يستبعدهم من المفاوضات. وفي حين كانت إسرائيل تتفاوض بواسطة فـريق يتألف من أربعـة الى ستة أعضاء، كان السادات بذاته يؤلف وحـده «الفريق» المصري في أغلب الحـالات. وقد لعب كيسنجر على هذا الوتر بمهـارة. فكلما اصطدم بـالجمسي أو فهمي ذهب الى السادات مباشرة، فينقض هذا رأي مستشاريه، متذرّعاً بأنهم ليسـوا سياسيـين بل هم فنيون.

ومن الانصاف أن نستنتج، في النهاية، بأنه على الرغم مما كان للعوامل المتعلقـة بالموقف ولخصائص السادات الشخصية، من تأثير في الطريقة التي حدد بها الموقف وفي

استراتيجيته الى حدٍ لم يجد معه بديلاً سوى استمراره في الاعتماد على الولايات المتحدة، فإن التحليل يظهر أن صفات السادات الشخصية (تصوره لذاته وأسلوبه الخاص في اتخاذ القرارات) كانت أكثر تأثيراً من العوامل المتعلقة بالموقف (معطيات الموقف).

الفَصْلُ السَّابع

خلاصة ونتائج وخاتمة

ركّـز هذا البحث عـلى الدور الـذي لعبه الـرئيس السادات قبـل حرب تشرين الأول/ اكتـوبر ١٩٧٣ وبعـدها. وفي خـلال هذه الفـترة انتقل السـادات من مـوقف تفاوضي ضعيف جداً الى آخر قويّ كنتيجة للحرب. ومع هذا فـإنه في دبلومـاسية مـا بعد تشرين الأول/ اكتوبر أضاع دبلوماسياً ما أحرزه على أرض المعركـة. إنه بتـوقيعه اتفـاقيتي سيناء الأولى والثـانية قـد استبدل مـوقفاً تفـاوضياً ضعيفـاً بـالمـوقف القـوي السابق. وقد اهتمت هذه الدراسة بالسبب الذي حدا السادات لأن يقوم بما قام بـه، وعلاقة ذلك بدوره كزعيم.

لقد أظهر التحليل حتى الآن ان حرب تشرين الأول/ اكتوبر قـد غيّرت صـورة مصر بشكل درامي من دولة مهـزومة الى دولـة نجحت في استعادة شرفهـا وكرامتهـا، وليس هـذا فقط بل نجحت كـذلك في خلق مـوقف تفاوضي قـوي. وكـان من شـأن الهجوم الأول الناجح واستخدام النفط كسلاح سياسي، أن اضطرت الدولتان الأعظم الى زيـادة جهودهمـا وتكثيفها في محـاولة لنـزع فتيل المـوقف المتفجر وذلـك عن طـريق العمل لحل النزاع. يضاف الى هذا أن السادات نجح أخيراً في جذب انتباه الـولايات المتحدة والحفاظ في الوقت ذاته على دعم الاتحاد السوفياتي. إضافة الى ان الـرأي العام العالمي عموماً كان يضغط من أجل الوصول الى تسوية وفق شروط العرب.

مع هذا أظهر التحليل أن دبلوماسية ما بعد الحرب الحقت ضرراً كبيراً بالموقف التفـاوضي المصري. لقد مثـل الاجتماع الأول بـين السـادات وكيسنجـر، ومن خـلال دبلومـاسية الخـطوة ـ خطوة، الأسـاس في تقويض المـوقف التفاوضي المصري. وجـاء تحول السادات من الاتحاد السوفيـاتي الى الولايـات لمتحدة ليحـرم مصر من مصدرهـا الرئيس للسلاح، مما حطّم قدرتها على اللجوء الى الحـرب. وليس هذا فقط بـل، دمّر

كذلك الاعتماد المتبادل بين مصر والاتحاد السوفياتي، وبالتالي قدرة مصر على التأثير في تحركات دولة عظمى كالاتحاد السوفياتي. كذلك أضعف التحول قدرة مصر على أن تضرب إحدى الدولتين الأعظم بالأخرى، فحرمها بذلك من بديل تساوم به.

كما شقّت دبلوماسية ما بعد الحرب، والتي اتبعها السادات، صفوف العرب وأحدثت تصدعاً بين حلفاء الحرب. وبالتالي، وهن التضامن العربي، وقد كان العامل الذي رفع من القوة العربية وإدراك الآخرين لدرجة قوة الامكانيات العربية (انظر الجدول رقم ٧ ـ ١) . ولو أجرينا تقويماً شاملاً للموقف لقلنا إن ضرراً بالغاً قد لحق بالموقف التفاوضي المصري، وذلك مقابل اتفاقيتين كانتا في واقع الأمر أسوأ من لا شيء. ومع هذا فلا يزال المرء يتساءل لماذا حطّم السادات ذلك الموقف التفاوضي القوي؟

جدول رقم (٧ ـ ١)

التغييرات في عناصر منظومة الموقف التفاوضي المصري
(ايلول/ سبتمبر ١٩٧٣، تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٣، ايلول/ سبتمبر ١٩٧٥)

الأدوات	ايلول/سبتمبر ١٩٧٣	تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٣	ايلول/سبتمبر ١٩٧٥
القدرة على اللجوء الى الحرب	–	+	–
القدرة على التأثير في سياسات قطر ثالث	–	+	–
القدرة على منع فرص تجارية		+	–
إمكانية إشراك الدول الكبرى في النزاع		+	–
إدراك علاقات اعتماد متبادل		+	–
الاستعداد لتغيير نمط العلاقة		+	–
التغييرات المحتملة بعيدة المدى في درجة توازن القوة		+	–
عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي	+	+	+ +
الاتجاهات العامة		+	–
احتمال اندلاع حرب بطريق الخطأ		+	–

ملاحظة عامة: تعني العلامة (+) علاقة إيجابية.

إجابة عن هذا التساؤل يمكن تقديم ثلاثة تفسيرات افتراضية: الأول، ان السادات لم يكن مدركاً لفائدة الموقف التفاوضي القوي الذي برز كنتيجة لحرب تشرين الأول/ اكتوبر. لذا لم يستخدمه قط. والثاني، أن الموقف التفاوضي المصري بعد الحرب إنما هو تعبير عن وضع مصر العسكري في الحرب. وبما أن مصر، وفق هذا الرأي، قد هزمت عسكرياً في الحرب، لذا فإن ما تحقق على مائدة المفاوضات كان أفضل ما تستطيع مصر أن تحصل عليه في مثل هذا الظرف. والثالث، أن السادات، مع أنه كان على إدراك تام للموقف التفاوضي المصري القوي لكنه كان على قناعة تامة بأنه لن يتوصل الى تسوية إلا من طريق الولايات المتحدة. لذا كان على استعداد للتخلي عن ذلك الموقف التفاوضي إذا ضمن ذلك حلاً أمريكياً.

إذا قبلنا التفسير الأول فذلك ينطوي على مشكلة معلومات، بمعنى أن الموقف التفاوضي القوى كان موجوداً ولكن السادات لم يدرك وجوده قط. غير أن خطب السادات تدحض هذه الحجة، بل إن التصريحات التي أدلى بها السادات بعد تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٧٣ قد حددت مراراً وتكراراً كل عنصر من عناصر ذلك الموقف التفاوضي، وفسرت التغيير في صورة مصر كنتيجة للحرب.

.... وعلى عكس التفسير الأول الذي يقول بوجود موقف تفاوضي قوي، فإن التفسير الثاني ينفي ضمنياً وجود هذا الموقف التفاوضي القوي. فالفرضية الأساسية لهذا التفسير هي أن القدرة العسكرية لأية دولة هي التي تقرر موقفها في المفاوضات. وفي رأيي أن الدولة، وعلى الرغم من أهمية قدرتها العسكرية خلال المفاوضات، إنما يكون موقفها التفاوضي انعكاساً لقدرتها العامة على التأثير في سياسات الدول الأخرى. وهذه القدرة العامة لا يمكن أن تؤخذ على أنها القدرة العسكرية وحدها، بل يجب ان تأخذ عوامل أخرى بعين الاعتبار، كالتفاعل الاستراتيجي بين الدول مثلاً (مثل الوضع الدولي ونمط العلاقة... الخ).

وإذا قبلنا بهذا التفسير أيضاً، يكون من الصعب جداً علينا أن نفسر لماذا نجح قطر مهزوم كمصر سنة ١٩٥٦ في طرد جيوش ثلاث (هي المملكة المتحدة وفرنسا وإسرائيل) من أراضيها. إذن ومن دون أخذ عوامل أخرى في الحسبان غير قدرة مصر العسكرية، يكون من المستحيل فعلاً تفسير ما حدث.

إن الموقف العسكري في نهاية حرب تشرين الأول/ اكتوبر لم يعكس نصراً للعرب، ولكنه لم يكن من السوء كما كان الوضع في عام ١٩٥٦. والواقع ان مصر كانت لديها القدرة على تغيير الموقف قبل بدء المفاوضات، بل وحتى بعد القرار السياسي بعدم تصفية الجيب الاسرائيلي. لقد كان امام مصر، في نظر أغلب المراقبين،

ومن ضمنهم كيسنجر، فرصة لاستغلال الموقف الدولي والتوتر الذي خلقته الحرب، وذلك للضغط من أجل تسوية شاملة. لذلك فأنا أميل الى دحض التفسير الثاني.

أما التفسير الثالث، فهو، في نظري، أكثر التفسيرات إقناعاً. فكل الأدلة التي تجمعت خلال دراسة هذا الموضوع وبحثه، تشير الى اقتناع السادات بأنه ليس أمامه فرصة لحل مشاكل مصر واسترداد الأراضي إلا من طريق الولايات المتحدة وحدها. إن السادات، كما رأينا، لم يخض حرب تشرين الأول/ اكتوبر بهدف تحرير الأراضي، بل لجذب انتباه الولايات المتحدة بالدرجة الأولى. لذا كان من المنطقي بالنسبة له، بعد أن حقق هدفه المباشر، أن يعتقد أن الموقف التفاوضي المصري وعناصره قد استنفد أغراضه. قد يقول البعض إن السادات اضطر للعمل من خلال الولايات المتحدة كنتيجة للجيب الاسرائيلي وتطويق الجيش الثالث[1]. ولكن تحليلنا أظهر أن السادات كان على استعداد للعمل مع الولايات المتحدة، أو الاعتماد عليها، لتحقيق تسوية وذلك منذ عام ١٩٧٠. وعلى الرغم من تسليمي بأن تطويق الجيش الثالث قد خلق للسادات مشكلة كبيرة الى درجة قارب معها على الانهيار العصبي، إلاّ أن ذلك الحصار لم يضيق دائرة خياراته أو يضطره الى التعاون مع الولايات المتحدة، وذلك لسبب بسيط وهو أن السادات كان، كما قلت، مهيأً وميالاً إلى دور للولايات المتحدة في النزاع قبل حرب تشرين الأول/ اكتوبر بأمدٍ بعيد.

مع هذا يمكن القول إن حصار الجيش الثالث، كان عاملاً من جملة عوامل أخرى ربما خلقت لدى السادات انطباعاً بأن انسحاباً إسرائيلياً كاملاً الى حدود عام ١٩٦٧ إنما هو أمر بعيد جداً عن التحقيق في ذلك الموقف.

وعلى المستوى النظري، اعتمدت هذه الدراسة في تحليلاتها على استخدام إطار مرجعي للبحث ينظم دراسة المواد والبيانات التي كانت محل البحث. وقد انطلقت الدراسة من فرضية مفادها أن الزعماء إنما يعملون وفق تحديدهم للموقف وتشخيصهم له. وتحديدهم للموقف إنما هو نتاج متغيرات عديدة: شخصية (تصورهم لذاتهم Self Image)، وتنظيمية (Organizational) (أسلوب اتخاذ القرارات) وأخرى تتعلق بالموقف. وقد كانت نتائج هذه الفرضيات كما يلي:

١ - فيما يتعلق بالخصائص الشخصية والتنظيمية، أكدت الدراسة وجود ترابط ديناميكي بين تصور السادات لذاته وبين أسلوبه في اتخاذ القرارات. لقد كان لتصوره

(١) Robert Michael Burrell and Abbas R. Kelidar, *Egypt: The Dilemmas of a Nation, 1970-1977,* The Washington Papers; vol. 5, 48 (Washington, D.C.: Georgetown University, Center for Strategic and International Studies; Beverly Hills, Calif.: Sage Publications, 1977).

لذاته كأب للبلاد، وكرجل أكثر خبرة من مواطنيه الأشبه بالقاصرين، وكزعيم ذي دور تاريخي في قيادة بلاده، أثر كبير في علاقته الاستبدادية بمستشاريه، وفي هيكل اتخاذ القرارات المحيطة به، وفي نمط المعلومات التي يطلبها (درجة بساطتها وطريقة رفعها إليه). (انظر الجدول رقم ٧ ـ ٢) .

جدول رقم (٧ ـ ٢)

خلاصة للعلاقة بين تصور السادات لذاته وأسلوبه في اتخاذ القرارات

تصور الذات	أسلوب اتخاذ القرارات			
	هيكل اتخاذ القرار	نمط المعلومات	علاقة الزعيم بمستشاريه	الاتساق الاستراتيجي
الهوية	لا علاقة	لا علاقة	لا علاقة	لا علاقة
الدور التاريخي	+	+	+	لا علاقة
الزعيم ـ الأتباع	+	+	+	لا علاقة

ملاحظة عامة: تعني العلامة (+) علاقة إيجابية.

٢ ـ فيما يتعلق بالعلاقة بين صفات السادات الشخصية والتنظيمية (تصوره لذاته وأسلوبه في اتخاذ القرارات) من جهة وبين الموقف من جهة أخرى، فإن الدراسة قد أعطت حيّزاً متساوياً من البحث لكلا العاملين. وكما ذكرت في بداية الدراسة، فإن الزعماء لا يعملون في فراغ، وإنما يتفاعلون مع موقف معين. وفي دراستي لهذه العوامل، وضعت لنفسي، كهدف أساسي، أن أقوم أولاً بتغيير التفاعل بين هذه العوامل وبحثه، وأن أرى ثانياً أي العوامل أكثر تأثيراً من الأخرى. وكنت أسأل بالتالي متى كان هذا العامل أكثر تأثيراً من غيره، ولماذا؟

وفي هذا كنت مدركة لكل ما كتب عن المواقف الافتراضية التي تطغى فيها صفات الزعيم الشخصية على غيرها. يقول هولستي في عرضه لأدبيات الموضوع، إن ثمة سبعة مواقف تطغى فيها صفات الزعيم الشخصية[٢]: (أ) مواقف غير روتينية تتطلب أكثر من مجرد تطبيق إجراءات معتادة وقواعد ثابتة تختص باتخاذ القرارات؛

(٢) Ole Holsti, «Foreign Policy Formation Viewed Congnitively,» in: Robert Axelrod, ed., *Structure of Decision* (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1976), p. 30.

كالقرار ببدء المهمات الدولية الرئيسة أو إنهائها كالحروب، والتدخل في المنازعات، والأحلاف، وبرامج المعونة وما شابه ذلك. (ب) القرارت التي تتخذ في قمة الهرم السلطوي من زعماء متحررين نسبياً من القيود التنظيمية وغيرها، أو الذين يحددون على الأقل أدوارهم بطرق من شأنها أن تزيد من حريتهم في الاختيار. (ج) التخطيط السياسي البعيد المدى، وهو مهمة تنطوي بطبيعتها على كثير من الأمور غير المعروفة، كما أن فيها من الأسئلة مثل «ما هو الأمر؟»، «ما هو المهم؟»، «ما هو المحتمل؟»، «ما هو المرغوب فيه؟»، «وماذا يتصل بماذا؟»، وذلك كله في صلب العملية السياسية بالطبع. وفي الإجابة عن هذه الاسئلة وما يتصل بها لنا أن نتوقع اختلافاً كبيراً بين صانعي السياسة. (د) أوضاع غامضة جداً، لذا فهي قابلة لشتى التأويلات. وتسبب هذه الأوضاع شكاً من جراء ندرة المعلومات أو نوعيتها الرديئة أو صحتها غير الأكيدة، أو تناقضها أو عدم توافقها، بحيث يكون لها تفسيران مختلفان جداً، أو أكثر من تفسيرين، مع عدم وجود طريقة موثوق بها للاختيار من بينها. (هـ) ظروف تراكم المعلومات، فيضطر صانعو القرار الى استخدام استراتيجيات شتى (مثل وضع تسلسل للمعلومات، وتنقيحها، وحذف بعضها، واختزال معايير التمييز وغير ذلك) وذلك لمواجهة المشكلة. (و) أحداث غير متوقعة وفيها يحتمل أن تعكس ردود الفعل الأولى في مواقف إدراكية بحتة. (ز) وأخيراً الظروف التي تتأثر فيها عمليات إدراك الموقف المصاحبة لاتخاذ القرارات، وتشخيصه، وذلك بالضغوط والتوترات النفسية التي يتعرض لها كبار شخصيات صناع القرارات.

إذا نظرنا الى تحديد السادات للموقف وتشخيصه له والى استراتيجيته في المرحلتين (من عام ١٩٧٠ حتى تشرين الأول/ اكتوبر وتشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٣؛ ومن نهاية عام ١٩٧٣ وحتى عام ١٩٧٥، والتي انتهت بتوقيع اتفاقية سيناء الثانية) نجد من الواضح أن المرحلة الأولى تميزت بالصفات الأنفة الذكر. ولذا يفترض أن تحديد السادات للموقف، وبالتالي استراتيجيته، يعكس تصوره لذاته وأسلوبه في اتخاذ القرارات أكثر مما يعكس العوامل المتعلقة بالموقف.

ومن ناحية أخرى، وعلى رغم أن التحليل يظهر أن السادات عمل وفقاً لرؤيته للموقف، وما يعنيه ذلك من تأثير العوامل الشخصية وعوامل الموقف ذاته في رؤيته للموقف وبالتالي في تحركه، فإن هذا لا يثبت أن العوامل الشخصية قد طغت على القيود التي فرضها عليه الموقف ذاته. ولعله مما يثير الاهتمام أن نجد العوامل المتعلقة بالموقف (سياسة الوفاق، حاجة مصر للأسلحة السوفياتية، حاجتها للموارد العربية لأسباب مالية وسياسية) أكثر تأثيراً في خياراته من العوامل الشخصية، مما اضطره ليس فقط الى دخول الحرب بل أيضاً الى إخفاء العناصر السلبية التي يراها في العرب، والى

الابقاء على العلاقات المصرية ـ السوفياتية، ولو في أدنى مستوى ممكن.

أما المرحلة الثانية، فقد تميزت كذلك بتأثير العوامل المذكورة آنفاً، حيث ان السادات كان يعمل ايضاً وفقاً لتحديده للموقف الذي تأثر بتفاعل العوامل الشخصية وتلك المتعلقة بالموقف، وإن صفاته الشخصية وأسلوبه كانا اكثر تأثيراً من العوامل المتعلقة بالموقف ذاته الى حدٍ جعله يفضل سلوك الخيار الأمريكي دون أن يستخدم عناصر موقفه ـ التفاوضي القوي، ويضغط من أجل تحقيق تسوية شاملة.

الدروس النظرية المستفادة لأية دراسات مستقبلية

إن السؤال المحيِّر الذي يواجه الباحث في نهاية دراسة كهذه هو: لماذا كانت صفات السادات الشخصية (تصوره لذاته، واسلوبه في اتخاذ القرارات) أقل تأثيراً في المرحلة الأولى منها في المرحلة الثانية، هذا على الرغم من أن المرحلتين تمثلان «مواقف غير واضحة المعالم أو العناصر (structural Uncertainity) حيث يفترض، كما تقول أدبيات الموضوع، ان يكون للصفات الشخصية للزعيم التأثير الأكبر على تحديده وتشخيصه للموقف؟ وعلى الرغم من أن إجابة عن مثل هذا التساؤل ومستندة الى بحث علمي مستفيض تعتبر خارج دائرة هذا البحث، إلا ان ذلك لا يمنع محاولة تقديم تفسير مبدئي من منطلق منطقي بحت، لتكون موضوعاً مفتوحاً لأبحاث مستقبلية في هذا الخصوص.

لو قلت إن نتائج تحليلات هذه الدراسة تناقض أدبيات الموضوع المشار اليها اعلاه وترفضها، وانها بذلك تكون اكثر انسجاماً مع الحجج التي قدمها جرفيس (Jervis) وفيربا (Verba) من أنه في المواقف الغامضة تكون العوامل الموضوعية (معطيات الموقف ذاته) اكثر تأثيراً من العوامل الشخصية (صفات الزعيم الشخصية) في تحديد الزعيم للموقف وسلوكه، لو قلت ذلك سأجد نفسي مطالبة بتفسير نتائج المرحلة الثانية حيث كان تأثير العوامل الشخصية أكثر بكثير من تأثير العوامل الموضوعية (معطيات الموقف). لذا لن أحاول تأسيس إجابتي وبناء حججي من هذا المنطلق.

وبدلاً من ذلك يمكن القول إنه طبقاً لتشخيص السادات نفسه للموقف، فإنه كان سيدفع ثمناً باهظاً مقابل تركه لمشاعره ونظرته للعرب وللسوفيات، تؤثر في سياسته وسلوكه. بمعنى ان تأثير تلك المشاعر قد تكون نتيجته العداء للعرب والسوفيات، وبالتالي عدم قدرته على خوض حرب ناجحة او هزيمة محققة في حالة خوضها. . إضافة الى ذلك، فإن السادات لن يتمكن من إظهار نفسه بمظهر الزعيم الذي يستطيع التأثير في سياسات وتحركات اقطار اخرى (الاقطار العربية المصدرة

للنفط) ومن ثم فلن يستطيع جذب انتباه الولايات المتحدة اليه، وذلك بالطبع الهدف الأساسي للسادات.

وبالتالي، فالمنطق كان يدعو الى السيطرة على مشاعره وتصوره الحقيقي للعرب والسوفيات حتى يستفيد منهم لتحقيق هدفه الأساسي (خوض الحرب وجذب انتباه الولايات المتحدة)، ثم الابتعاد عنهم واظهار مشاعره الحقيقية تجاههم، بمجرد تحقق الهدف الذي يسعى اليه. ذلك في اعتقادي هو ما حدث في المرحلة الأولى، أما في المرحلة الثانية، فإن ثمن تحطيم موقفه التفاوضي القوي، الذي خلقته حرب تشرين الأول/ اكتوبر، كان يعتبر في نظره ثمناً رخيصاً إذا قورن بالمنفعة التي حققها والمتمثلة في جذبه لانتباه الولايات المتحدة وتحالفه الكامل معها.

إن هذا التفسير القائم على صيغة «التكلفة ـ المنفعة» يعتمد أساساً على تحديد الزعيم بنفسه للموقف، حيث في مثل هذه الظروف يكون تمسك الزعيم بالخيارات الأكثر تعبيراً عن مشاعره ونظرته الذاتية للأمور مضراً بتحقيقه لاهدافه الاساسية.

... وفي ختام هذه الدراسة يمكن الإشارة الآن الى بعض النقاط التي يمكن اعتبارها إضافات أو إسهامات تحققت من خلال نتائج هذا البحث:

أولاً: حاولت هذه الدراسة ان تحدث مزجاً وتكاملاً بين إتجاهين رئيسين في أدبيات التفاوض الدولي، وهما اتجاه القيادة السياسية (Leadership Approach) واتجاه اتخاذ القرارات (Decision-Making Approach). فتطبيق ما يعرف بمنظومة عناصر الموقف التفاوضي (Bargainig leverage System) قد زاد في رأيي من فائدة هذه الدراسة ونتائجها. حيث إن استخدام هذه المنظومة كأداة للتحليل يمكن الباحث ليس فقط من تشخيص مؤطر نظري للموقف التفاوضي المصري، بل ويمكنه ايضاً من رصد التغييرات التي تحدث لذلك الموقف عبر فترات زمنية متعاقبة، ومقارنتها.

ثانياً: هذه الدراسة ايضا يمكن ان تعتبر ذات أهمية خاصة بالنسبة لدراسات القيادة السياسية وادبياتها، حيث انها من ناحية تعتبر مثالاً حياً لما يسميه ليبهارت (Lijphart)[٣] حالة دراسية مؤكدة للنظرية (Theory - Confirming)، كما انها من ناحية أخرى تعتبرا مثالاً واضحاً لحالة دراسية مخالفة للنظرية (Devient Case - Study). بمعنى ان الدراسة أثبتت من ناحية أن الزعماء يتصرفون طبقاً لتحديدهم وتشخيصهم للموقف والذي هو حصيلة تفاعل الزعيم مع معطيات الموقف، إلا انها من ناحيةأخرى اثارت تساؤلات مهمة حول حقيقة تأثير صفات الزعيم الشخصية في

---

(٣) Lijphart, «Comparative Politics and Comparative Methods,» *Comparative Political Studies* (8 July 1975), pp. 685-691.

تصرفاته، وذلك عندما اثبتت ان ذلك التأثير كان مختلفاً في مواقف متشابهـة. ولذلـك يمكن القول إن هذه التساؤلات قد ألقت ظلالاً من الشك عـلى مصداقيـة صحة تيـار بأكمله في أدبيات القيادة السياسية، ومداه، ليس هـذا فقط بل إن الأمـر الأكثر أهميـة هو أن الدراسة بذلك تكون قـد طرحت سؤالاً مهمـاً يحمل في طيـاته دلالات نـظرية غاية في الأهمية لأية دراسات مستقبلية في هذا الصدد.

المـــراجع

١ ـ العربية

كتب

امام، عبدالله. **انقلاب ١٥ مايو**. القاهرة: دار الموقف العربي، ١٩٨٣.

حسين، عادل. **الاقتصاد المصري من الاستقلال الى التبعية، ١٩٧٤ ـ ١٩٧٩**. القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٢.

خطب ومقابلات الرئيس السادات. القاهرة: وزارة الاعلام، ١٩٧٠ ـ ١٩٨١.

دستور جمهورية مصر العربية. القاهرة: وزارة الاعلام، ايلول/ سبتمبر ١٩٧١.

راغب، نبيل. **السادات: رائد الاصلاح الفكري**. القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٥.

صبري، موسى. **وثائق حرب اكتوبر**. ط ٢. القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٩٧٤.

ـــــ. **وثائق ١٥ مايو**. القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٩٧٧.

الطاهري، حمدي. **خمسة أعوام في السياسة**. القاهرة: مكتبة مصر، ١٩٨٢.

فوزي، محمد. **حرب الثلاث سنوات، ١٩٦٧ ـ ١٩٧٠**. القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٤.

قال الرئيس السادات. القاهرة: مطبعة سكرتارية رئيس الجمهورية، ١٩٧٦.

كامل محمد ابراهيم. **السلام المفقود في اتفاقيات كمب ديفيد**. السعودية: الشركة السعودية، ١٩٨٢.

هيكل، محمد حسنين. **في مفترق الطرق**. بيروت: شركة المطبوعات، ١٩٨٣.

دوريات

الاتحاد: ١٩/٤/١٩٨٣.

كروان، ابراهيم. «الموقف العربي والتحرك نحو السلام.» **السياسة الدولية**: السنة ١٠، العدد ٣٦، نيسان/ ابريل ١٩٧٤.

٢ ـ الأجنبية

Books

Al Roy, Gil Carl. *The Kissinger Experience: American Policy in the Middle East.* New York: Horizon Press, 1975.

Allison, Graham T. *Essence of Decision: Explaining the Cuban Missile Crisis.* Boston: Little, Brown, 1971.

Armesto, Felipe Fernandez. *Sadat and His Statecraft.* London: Kensal Press, 1982.

Aronson, Shlomo. *Conflict and Bargaining in the Middle East: An Israeli Perspective.* Baltimore, Maryland: Johns Hopkins University Press, 1978.

Axelrod, Robert (ed.). *Structure of Decision.* Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1976.

Baker, Raymond William. *Egypt's Uncertain Revolution under Nasser and Sadat.* Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1978.

Barber, James. *The Presidential Character: Predicting Performance in the White House.* Englewood Cliffs, N.J.: Prentice Hall, 1972.

Beling, Willard A. (ed.). *The Middle East: Quest for an American Policy.* Albany, N.Y.: State University of New York Press, 1973.

Bendix, Reinhard. *Max Weber: An Intellectual Portrait.* New York: Doubleday, 1969.

Berger, Morroe. *Bureaucracy and Society in Modern Egypt: A Study of the Higher Civil Service.* Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1957.

Boulding, Kenneth. *The Image.* Ann Arbor: University of Michigan Press, 1956.

Brecher, Michael. *Decisions in Israel's Foreign Policy.* London: Oxford University Press, 1974.

Brezinski, Z. *Power and Principle.* New York: Farrar, Straus, Ginoux, 1983.

Burns, James MacGregor. *Leadership.* New York: Harper and Row, 1978.

Burrell, Robert Michael and Abbas R. Kelidar. *Egypt: The Dilemmas of a Nation, 1970-1977.* Washington, D.C.: Georgetown University, Center for Strategic and International Studies; Beverly Hills, Calif.: Sage Publications, 1977. (The Washington Papers; vol. 5, 48)

Carter, Jimmy. *Keeping Face.* New York: Bantam Books, 1982.

Congressional Quarterly, Inc. *The Middle East: U.S. Policy, Israel, Oil and the Arabs.* Edited by Mark A. Bruzonsky. 3rd ed. Washington, D.C.: Congressional Quarterly, 1977.

Cooper, Mark. *The Transformation of Egypt.* Baltimore, Maryland: Johns Hopkins University Press, 1982.

Coplin, William D. *Introduction to International Politics: A Theoretical Overview.* Chicago, Ill.: Markham Publishing Company, 1971.

Cottam, Richard W. *Competitive Interference and Twentieth Century Diplomacy.* Pittsburgh: University of Pittsburgh Press, 1967.

Dawisha, Adeed I. *Egypt in the Arab World: The Elements of Foreign Policy.* London: Macmillan; New York: Distributed by Halsted Press, 1976.

Dawisha, Karen. *Soviet Foreign Policy toward Egypt.* London: Macmillan, 1979.

Dayan, Moshe. *Story of My Life.* New York: William Morrow, 1976.

Dekmejian, Richard Hrair. *Political Leadership: Egypt, Israel, Lebanon.* Albany,

N.Y.: State University of New York Press, 1975.
Dessouki, Ali E. Hillal (ed.). *Democracy in Egypt.* Cairo: American University in Cairo, 1978. (Cairo Papers in Social Sciences, Monograph 2)
East, Maurice A., Stephen A. Salmore and Charles Hermann (eds.). *Why Nations Act.* Beverly Hills, Calif.: Sage Publications, 1978.
Eidelberg, Paul. *Sadat's Strategy.* Quebec: Dawn Publishing Company, 1979.
Eldridge, Albert. *Images of Conflict.* New York: St. Martin's Press, 1979.
Fahmy, Ismail. *Negotiating for Peace in the Middle East.* Baltimore, Maryland: Johns Hopkins University Press, 1983.
Falkowski, L. (ed.). *Psychological Models in International Politics.* Boulder, Colo.: Westview Press, 1979.
Fenerwerger, M. *Congress and Israel.*
Finley, David J., Ole Holsti and Richard Fagen. *Enemies in Politics.* Chicago, Ill.: Rand McNally Company, 1967.
Freedman, Robert Owen. *Soviet Policy toward the Middle East since 1970.* New York: Praeger, 1982.
—— (ed.). *World Politics and the Arab-Israeli Conflict.* New York: Pergamon, 1979. (Pergamon Policy Series, 31)
George, Alexänder. *Presidential Decision-Making in Foreign Policy.* Boulder, Colo.: Westview Press, 1980.
—— and Juliette George. *Woodrow Wilson and Colonel House: A Personality Study.* New York: John Day, 1956.
Golan, Matti. *The Secret Conversations of Henry Kissinger: Step by Step Diplomacy in the Middle East.* Translated by Ruth Geyra Stern and Sol Stern. New York: Quadrangle, 1976.
Granbard, Stephen. *Kissinger: Portrait of a Mind.* New York: W. W. Norton, 1973.
Greenstein, Fred I. *Personality and Politics.* Chicago, Ill.: Markham, 1969.
Haber, E., S. Zeef and Y. Ehid. *The Year of the Dove.* New York: Bantam Books, 1979.
Hammond, Paul Y. and Sidney S. Alexander (eds.). *Political Dynamics in the Middle East.* New York: American Elsevier, 1972.
Handel, Michael. *The Diplomacy of Surprise.*
Heikal, Mohammed Hasanayn. *Autumn of Fury: The Assassination of Sadat.* New York: Random House, 1983.
——. *The Road to Ramadan.* London: Collins; New York: Quadrangle; New York Times Book Co., 1975.
——. *Sphinx and Commissar: The Rise and Fall of Soviet Influence in the Arab World.* London: Collins; New York: Harper and Row, 1978.
Hermann, Margaret (ed.). *A Psychological Examination of Political Leaders.* New York: Free Press, 1979.
Hirst, David and Irene Beeson. *Sadat.* London: Faber and Faber, 1981.
Hook, Sidney. *The Hero in History.* New York: John Day, 1943.
Insight Team of the London Sunday Times. *The Yom Kippur War.* New York: Doubleday, 1974.
Jervis, Robert. *Perception and Misperception in International Politics.* Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1976.

Kalb, Marvin and Bernard Kalb. *Kissinger.* Boston: Little, Brown, 1974.
Kelman, Herbert (ed.). *International Behavior: A Social Psychological Analysis.* New York: Holt, Rinehart and Winston, 1965.
Kerr, Malcolm H. *The Arab Cold War: Gamal Abd al-Nasir and His Rivals, 1958-1970.* London: Oxford University Press for the Royal Institute of International Affairs, 1970.
—— and Sayed Yassin (eds.). *Rich and Poor States in the Middle East.* Boulder, Colo.: Westview Press, 1982.
Khadduri, Majid. *Arab Personalities in Politics.* Washington, D.C.: Middle East Institute, 1981.
Kissinger, Henri. *Years of Upheaval.* Boston: Little, Brown, 1982.
Lacouture, Jean. *Nasser.* Paris: Seuil, 1971.
Laqueur , Walter Zéev. *Confrontation: The Middle East and World Politics.* New York: New York Times Book Co., 1979.
Lenczowski, George (ed.). *Political Elites in the Middle East.* Washington, D.C.: American Enterprise Institute for Public Policy Research, 1975. (Foreign Affairs Study, 19)
Meir, Golda. *My Life.* London: Weidenfeld and Nicolson, 1975.
Middle East Research and Information Project. *Middle East and the Oil Crisis.* Washington, D.C.: MERIP, 1974. (MERIP Reports, no. 21).
Morgan, Patrick. *Theories and Approaches to International Politics.* New Brunswick, N.J.: Transaction Books, 1981.
Putnam, Robert. *The Comparative Study of Political Elites.* Englewood Cliffs, N.J.: Prentice Hall, 1976.
Quandt, William Baur. *Decade of Decisions: American Policy toward the Arab-Israeli Conflict, 1967-1976.* Berkeley, Calif.: University of California Press, 1977.
Rabin, Yitzhak. *The Rabin Memoirs.* Boston: Little, Brown, 1979.
Rabinovich, Itamar and Haim Shaked (eds.). *From June to October: The Middle East between 1967 and 1973.* New Brunswick, N.J.: Transaction Books, 1978.
Riad, Mahmoud. *The Struggle for Peace in the Middle East.* New York: Quartet Books, 1981.
Rockman, Bert. *The Question of Leadership.* Pittsburgh: University of Pittsburgh Press, 1984.
Rosenau, James N. (ed.). *International Politics and Foreign Policy.* New York: Free Press, 1969.
Rubinstein, Alvin Z. *Red Star on the Nile: The Soviet-Egyptian Influence Relationship since the June War.* Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1977.
el-Sadat, Anwar. *In Search of Identity: An Autobiography.* New York: Harper and Row, 1978.
—— . *Revolt on the Nile.* With a foreword by the President Nasser. Translated by Thomas Graham. London: Wingate; New York: John Day, 1957.
al-Sayyid-Marsot, Afaf Lutfi. *Egypt and Cromer: A Study in Anglo-Egyptian Relations.* New York: Praeger, 1969.
Schelling, T. *The Strategy of Conflict.* New York: Galaxy Books, 1963.
el-Shazly, Saadeldine. *The Crossing of Suez: The October War 1973.* London: Third

World Center for Research and Publishing, 1980.
Sheehan, Edward R. *The Arabs, Israelis and Kissinger: A Secret History of American Diplomacy in the Middle East.* New York: Reader's Digest Press, 1976.
Sherbiny, Naiem A. and Mark A. Tessler (eds.). *Arab Oil: Impact on the Arab Countries and Global Implications.* New York: Praeger, 1976.
Shoukri, Ghali. *Egypt: Portrait of a President.* London: Zed Press, 1981.
Singer, J.D. (ed.). *Quantitative International Politics.* New York: Free Press, 1968.
Snyder, R., H. Bruck and B. Spain (eds.). *Foreign Policy Decision-Making.* New York: Free Press, 1962.
Sobel, Lester A. (ed.). *Israel and the Arabs: The October War 1973.* New York: Facts on File, Inc., 1974.
Steinbruner, J.D. *The Cybernetic Theory of Decision.* Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1976.
Szyliowicz, Joseph S. and Bard O'Neil (eds.). *The Energy Crisis and U.S. Foreign Policy.* New York: Praeger, 1975.
Treverton, G. *Crisis Management and the Super Powers in the Middle East.* England: Gower Publishing Company, 1981.
Tucker, Robert. *Politics as Leadership.* Columbia: University of Missouri Press, 1981.
United States. Congress. House. Committee on Foreign Affairs. Subcommittee on the Near East and South Asia. *The Middle East, 1974: New Hopes, New Challenges.* Hearings before the Subcommittee on the Near East and South Asia of the Committee on Foreign Affairs, House of Representatives, Ninety-Third Congress, Second Session. Washington, D.C.: U.S. Govt. Print. Off., 1974.
—— Department of State. *Communist States and Developing Countries Aid and Trade in 1972.* Washington, D.C.: U.S. Govt. Print. Off., 1972.
—— Joint Economic Committee. *The Political Economy of the Middle East, 1973-1978.* Edited by Richard F. Kaufman and James Wooten. Washington, D.C.: The Committee, 1980.
—— Library of Congress. Congressional Research Service. Foreign Affairs and National Defense Division. *The Search for Peace in the Middle East, Documents and Statements, 1967-1979.* Washington, D.C.: U.S. Govt. Print. Off., 1979.
Waterbury, John. *Egypt of Nasser and Sadat.* Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1983.
Weber, Max. *From Max Weber: Essays in Sociology.* Translated, edited and with introduction by H.H. Gerth and C. Wright Mills. New York: Oxford University Press, 1958.

Whetten, Lawrence L. *The Canal War: Four-Power Conflict in the Middle East.* Cambridge, Mass.: MIT Press, 1974.

Periodicals

Beeley, Howard (Sir). «Sadat's Unpopular Choice.» *Middle East International:* no. 52, October 1975.
«The Beginning of the End of Imperialism.» *Race and Class:* vol. 17, no. 3, 1976.

Brecher, Michael, Blema Steinberg and Janice Stein. «A Framework for Research on Foreign Policy Behavior.» *Journal of Conflict Resolution:* vol. 13, no. 1, March 1969.

Dimbleby, J. «Sadat's Solitary Hand.» *New Statesman:* 12 August 1977.

Dubberstein, W.H. «Sinai II: In Retrospect.» *Strategic Review:* no. 2, 1977.

Etheredge, Lloyd. «Personality Effects on American Foreign Policy, 1898-1968: A Test of Interpersonal Generalization Theory.» *American Political Science Review:* vol. 72, no. 3, September 1978.

Heikal, Mohammed Hasanayn. «October War and the New Realities.» *Race and Class:* vol. 17, no. 3, 1976.

Hermann, Margaret. «Explaining Foreign Policy Behavior Using the Personal Characteristics of Political Leaders.» *International Studies Quarterly:* vol. 24, March 1980.

Hinnebusch, Raymond. «Egypt under Sadat: Elites, Powers, Structure and Political Change in Egypt in a Post Populist State.» *Social Problems:* vol. 28, no. 4, April 1982.

Holsti, Ole. «The Belief System and National Images: A Case Study.» *Journal of Conflict Resolution:* vol. 6, 1962.

Itayim, Fuad. «Arab Oil: The Political Dimension.» *Journal of Palestine Studies:* vol. 3, no. 2, Winter 1974.

Keesing's Contemporary Archives: 31 October-7 November 1970.

Lijphart. «Comparative Politics and Comparative Method.» *Comparative Political Studies:* 8 July 1975.

McDermott, Anthony. «Sadat: The Art of Survival.» *Middle East International:* no. 53, November 1975.

——. «Sadat Shakes off the Past.» *Middle East International:* January 1974.

Rubinstein, Alvin Z. «Egypt Since the October War.» *Current History:* vol. 70, no. 412, January 1976.

Safran, Nadav. «Arab Politics, Peace and War.» *Orbis:* vol. 18, no. 2, 1974.

Sancton, Thomas. «He Changed the Tide of History.» *Time Magazine:* 19 October 1981.

Searing, Donald. «Models and Images of Man and Society in Leadership Theory.» *Journal of Politics:* vol. 31, 1969.

Tauner, Henry. «Some in Cairo Feel Kissinger Misled Them.» *New York Times:* 27 September 1975.

Tucker, Robert. «Personality and Political Leadership.» *Political Science Quarterly:* no. 92, Fall 1977.

Walker, S. «The Interface between Beliefs and Behavior: Henry Kissinger's Operational Code and the Vietnam War.» *Journal of Conflict Resolution:* no. 21, March 1971.

Weinbaum, G. «Politics and Development in Foreign Aid: U.S. Economic Assistance to Egypt, 1975-82.» *Middle East Journal:* Autumn 1983.

Zion, Sidney and Uri Dann. «Untold Story of the Mideast Talks.» *New York Times Magazine:* 21 January 1979.

Meetings

Middle East Studies Association. 18th Annual Meeting, San Francisco, California, 28 November-1 December 1984.

The 1983 Meeting of the International Studies Association, Mexico City, April 1983.

فهرس

(ب)

(ت)

(ث)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

■ الوطن العربي: الجغرافية الطبيعية والبشرية (٣) (١٨٤ ص ـ ٢ $)................ ناجي علوش
■ جامعة الدول العربية ١٩٤٥ ـ ١٩٨٥: دراسة تاريخية (٤) (١٢٨ ص ـ ١,٥٠ $)........ احمد فارس عبد المنعم
■ الجماعة الاوروبية: تجربة التكامل والوحدة (٥) (٢٨٨ ص ـ ٣ $)................ د. عبد المنعم سعيد
■ التعريب والقومية العربية في المغرب العربي (٦) (٢٠٠ ص ـ ٢ $)........... د. نازلي معوض احمد
■ الوحدة النقدية العربية (٧) (١٦٨ ص ـ ١,٥٠ $)................ د. عبد المنعم السيد علي
■ اوروبا والوطن العربي (سلسلة الثقافة القومية (٨)) (٣٦٨ ص ـ ٢,٥٠ $)............ د. نادية محمود محمد مصطفى
■ المثقفون والبحث عن مسار: دور المثقفين في اقطار الخليج العربية في التنمية (٩)
(٢٤٤ ص ـ ٢,٥٠ $)................ د. اسامة عبد الرحمن
■ نحو عقد اجتماعي عربي جديد: بحث في الشرعية الدستورية (١٠) (١٠٨ ص ـ دولار واحد)........... د. غسان سلامة
■ السياسة الامريكية تجاه الصراع العربي ـ الاسرائيلي ١٩٧٣ ـ ١٩٧٥
(١١) (١٤٤ ص ـ ١,٥٠ $)................ د. محمد الاطرش
■ معوقات العمل العربي المشترك (١٢) (١٥٦ ص ـ ٢ $)................ د. وليد عبد الحي
■ رحّل في أرض العرب: عن الهجرة للعمل في الوطن العربي (١٣) (١١٦ ص ـ ١,٥٠ $)........... د. نادر فرجاني
■ التجزئة العربية كيف تحققت تاريخياً؟ (سلسلة الثقافة القومية (١٤)) (٣٢٤ ص ـ ٤ $))........... د. احمد طربين

■ موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية ١٩١٩ ـ ١٩٤٥ (١) (٥٤٠ ص ـ ١١ $)............ د. علي محافظة
■ تطور الوعي القومي في المغرب العربي (سلسلة كتب المستقبل العربي (٨)) (٣٦٠ ص ـ ٧ $).......... مجموعة من الباحثين
■ الوحدة الاقتصادية العربية: تجاربها وتوقعاتها (جزءان).
(١٢٩٦ ص ـ تجليد عادي ٢٦ $/ تجليد فني ٣٠ $)................ د. محمد لبيب شقير
■ تطور الفكر القومي العربي (٤٠٨ ص ـ ٨ $)................ ندوة فكرية
■ نحو علم اجتماع عربي: علم الاجتماع والمشكلات العربية الراهنة.
(سلسلة كتب المستقبل العربي (٧) (٤٠٨ ص ـ ٨ $)................ مجموعة من الباحثين
■ تهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي (٥٤٨ ص ـ ١١ $)................ ندوة فكرية
■ التصحر في الوطن العربي (١٧٦ ص ـ ٣,٥٠ $)................ د. محمد رضوان الخولي
■ كيف يصنع القرار في الوطن العربي (٢٦٠ ص ـ ٥ $)................ د. ابراهيم سعد الدين وآخرون
■ صناعة الانشاءات العربية (٢٩٢ ص ـ ٨ $)................ د. انطوان زحلان
■ التراث وتحديات العصر في الوطن العربي: الاصالة والمعاصرة (٨٧٢ ص ـ ١٧,٥٠ $) ... طبعة ثانية........... ندوة فكرية
■ السياسات التكنولوجية في الأقطار العربية (٥٢٨ ص ـ ١٠,٥٠ $)................ ندوة فكرية
■ الفلسفة في الوطن العربي المعاصر (٢٣٦ ص ـ ٦,٥٠ $) ... طبعة ثانية................ ندوة فكرية
■ نحو استراتيجية بديلة للتنمية الشاملة... طبعة ثانية (١٩٦ ص ـ ٤ $)................ د. علي خليفة الكواري
■ الاعلام العربي المشترك: دراسة في الاعلام الدولي العربي... طبعة ثانية (١٦٤ ص ـ ٣,٥٠ $)........... د. راسم محمد الجمال
■ صورة العرب في صحافة ألمانيا الاتحادية... طبعة ثانية (سلسلة اطروحات الدكتوراه (٨))
(٢٢٠ ص ـ ٤,٥٠ $)................ د. سامي مسلّم
■ ازمة الديمقراطية في الوطن العربي (٩٢٨ ص ـ ١٨,٥٠ $) ... طبعة ثانية................ ندوة فكرية
■ التنمية العربية: الواقع الراهن والمستقبل.. طبعة ثانية.
(سلسلة كتب المستقبل العربي (٦)) (٣٦٠ ص ـ ٧ $)................ مجموعة من الباحثين
■ التكوين التاريخي للأمة العربية: دراسة في الهوية والوعي... طبعة ثالثة (٢٣٦ ص ـ ٦,٥٠ $)........... د. عبد العزيز الدوري
■ دراسات في القومية العربية والوحدة (سلسلة كتب المستقبل العربي (٥)) (٣٨٤ ص ـ ٧,٥٠ $)........... مجموعة من الباحثين
■ الثروة المعدنية العربية: امكانات التنمية في اطار وحدوي.. طبعة ثانية (١٥٢ ص ـ ٣ $)........... د. محمد رضا محرم
■ البحر الاحمر والصراع العربي ـ الاسرائيلي: التنافس بين استراتيجيتين.
طبعة ثانية (سلسلة اطروحات الدكتوراه (٧)) (٣٦٠ ص ـ ٧ $)................ د. عبد الله عبد المحسن السلطان
■ التعاون الانمائي بين اقطار مجلس التعاون العربي الخليجي:
المنهاج المقترح والأسس المضمونية والعملية (سلسلة اطروحات الدكتوراه (٦)) (٤٩٢ ص ـ ١٠ $)........ د. فؤاد حمدي بسيسو
■ المجتمع العربي المعاصر: بحث استطلاعي اجتماعي... طبعة ثانية (٥١٦ ص ـ ١٠,٥٠ $)........... د. حليم بركات
■ مصر والصراع العربي ـ الاسرائيلي: من الصراع المحتوم... الى التسوية المستحيلة
... طبعة ثانية (٢٥٦ ص ـ ٥ $)................ د. حسن نافعة
■ اللغة العربية والوعي القومي... طبعة ثانية (٤٨٤ ص ـ ٩,٥٠ $)................ ندوة فكرية
■ الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق...طبعة ثالثة
(سلسلة اطروحات الدكتوراه (٥)) (٤٨٦ ص ـ ٩,٥٠ $)................ د. وميض جمال عمر نظمي
■ السياسة الامريكية تجاه الصراع العربي ـ الاسرائيلي ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣
(سلسلة اطروحات الدكتوراه (٤))... طبعة ثانية (٣٤٤ ص ـ ٧ $)................ د. هالة ابو بكر سعودي

■ الهجرة الى النفط... طبعة ثالثة (٢٤٠ ص ـ ٥ $) .... د. نادر فرجاني
■ العرب وافريقيا... طبعة ثانية (٨٢٤ ص ـ ١٦,٥٠ $) .... ندوة فكرية
■ الطاقة النووية العربية: عامل بقاء جديد... طبعة ثانية (١٥٦ ص ـ ٣ $) .... د. عدنان مصطفى
■ الديمقراطية وحقوق الانسان في الوطن العربي... طبعة ثالثة
(سلسلة كتب المستقبل العربي (٤)) (٣٥٢ ص ـ ٧,٥٠ $) .... مجموعة من الباحثين
■ الحياة الفكرية في المشرق العربي ١٨٩٠ ـ ١٩٣٩ (٢٣٦ ص ـ ٤,٥٠ $) .... اعداد مروان بحيري
■ التحليل السياسي الناصري: دراسة في العقائد والسياسة الخارجية ... طبعة ثانية
(سلسلة اطروحات الدكتوراه (٣)) (٣٩٦ ص ـ ٨ $) .... د. محمد السيد سليم
■ العمالة الأجنبية في اقطار الخليج العربي (٧١٢ ص ـ ١٤ $) .... ندوة فكرية
■ انتقال العمالة العربية: المشاكل ـ الآثار ـ السياسات (٣١٢ ص ـ ٦ $) .... د. ابراهيم سعد الدين
ود. محمود عبد الفضيل
■ جامعة الدول العربية: الواقع والطموح (١٠٠٤ ص ـ ٢٠ $) .... ندوة فكرية
■ الصراع العربي ـ الاسرائيلي: بين الرادع التقليدي والرادع النووي (٢٤٨ ص ـ ٥ $) ... طبعة ثانية .... امين حامد هويدي
■ ببليوغرافيا الوحدة العربية ١٩٠٨ ـ ١٩٨٠ ـ المجلد الأول: المؤلفون ـ القسم الأول: بالعربية
(١٠٦٠ ص ـ ٢١ $) .... مركز دراسات الوحدة العربية
■ ببليوغرافيا الوحدة العربية ١٩٠٨ ـ ١٩٨٠ ـ المجلد الاول: المؤلفون ـ
القسم الثاني: بالانكليزية والافرنسية (١٠٩٦ ص ـ ٢٢ $) .... مركز دراسات الوحدة العربية
■ ببليوغرافيا الوحدة العربية ١٩٠٨ ـ ١٩٨٠ ـ المجلد الثاني: العناوين
ـ القسم الأول: بالعربية (٤٠٠ ص ـ ٨ $) .... مركز دراسات الوحدة العربية
■ ببليوغرافيا الوحدة العربية ١٩٠٨ ـ ١٩٨٠ ـ المجلد الثاني: العناوين
ـ القسم الثاني: بالانكليزية والافرنسية (٣٦٨ ص ـ ٧,٥٠ $) .... مركز دراسات الوحدة العربية
■ ببليوغرافيا الوحدة العربية ١٩٠٨ ـ ١٩٨٠ ـ المجلد الثالث:
الموضوعات (ثلاثة اقسام) (٢٢٧٢ ص ـ ٦٥ $) .... مركز دراسات الوحدة العربية
■ النظام الاقليمي العربي... طبعة خامسة جديدة ومطورة (٣٢٤ ص ـ ٦,٥٠ $) .... جميل مطر ود. علي الدين هلال
■ التطور التاريخي للأنظمة النقدية في الاقطار العربية... طبعة ثالثة (٤٧٢ ص ـ ٩,٥٠ $) .... د. عبد المنعم السيد علي
■ مصر والعروبة وثورة يوليو (سلسلة كتب المستقبل العربي (٣)) (٤٠٠ ص ـ ٨ $) .... مجموعة من الباحثين
■ الفكر الاقتصادي العربي وقضايا التحرر والتنمية والوحدة... طبعة ثانية (٢٤٨ ص ـ ٥ $) .... د. محمود عبد الفضيل
■ المواصلات في الوطن العربي... طبعة ثانية (٤٠٤ ص ـ ٨ $) .... ندوة فكرية
■ السياسة الامريكية والعرب... طبعة ثانية مزيدة ومنقحة (سلسلة كتب المستقبل العربي (٢))
(٣٦٨ ص ـ ٧,٥٠ $) .... مجموعة من الباحثين
■ دراسات في التنمية والتكامل الاقتصادي العربي... طبعة ثالثة
(سلسلة كتب المستقبل العربي (١)) (٤٧٦ ص ـ ٩,٥٠ $) .... مجموعة من الباحثين
■ التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية... طبعة ثانية (٥٢٨ ص ـ ١٠,٥٠ $) .... ندوة فكرية
■ المرأة ودورها في حركة الوحدة العربية... طبعة ثانية (٥٥٦ ص ـ ١١ $) .... ندوة فكرية
■ الامكانات العربية... طبعة ثانية (١٣٦ ص ـ ٣ $) .... د. علي نصار
■ صور المستقبل العربي... طبعة ثانية (٢١٢ ص ـ ٤ $) .... د. ابراهيم سعد الدين وآخرون
■ النظام الاجتماعي العربي الجديد... طبعة ثالثة (٣٠٤ ص ـ ٦ $) .... د. سعد الدين ابراهيم
■ تجربة دولة الإمارات العربية المتحدة... طبعة ثالثة (٨١٦ ص ـ ١٦,٥٠ $) .... ندوة فكرية
■ التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر ١٩٥٢ ـ ١٩٧٠... طبعة ثالثة
(سلسلة اطروحات الدكتوراه (٢)) (٤١٦ ص ـ ٨,٥٠ $) .... د. مارلين نصر
■ البعد التكنولوجي للوحدة العربية... طبعة ثالثة (١١٦ ص ـ ٢,٥٠ $) .... د. انطوان زحلان
■ القومية العربية والاسلام... طبعة ثانية (٧٨٠ ص ـ ١٥,٥٠ $) .... ندوة فكرية
■ التكامل النقدي العربي: المبررات ـ المشاكل ـ الوسائل... طبعة ثالثة (٧٤٠ ص ـ ١٥ $) .... ندوة فكرية
■ سلسلة التراث القومي: الأعمال القومية لساطع الحصري /٣ مجلدات
(٣١٢٤ ص ـ ٦٢,٥٠ $) ....
■ مجلة المستقبل العربي: المجلدات السنوية ٩ سنوات (ثمن مجلات السنة الواحدة ٤٠ $) .... مركز دراسات الوحدة العربية

سلاسل الناشئة

■ سلسلة «ربوع بلادي»، ٨ اجزاء... طبعة ثانية (دولار واحد لكل جزء) .... شريف الراس
■ سلسلة «فتى العرب»، ٧ اجزاء... طبعة ثانية (دولار واحد لكل جزء) .... شريف الراس



من منشورات
مركز دراسات الوحدة العربية

- **الصراعات العربية ـ العربية ١٩٤٥ ـ ١٩٨١: دراسة استطلاعية. (٢٣٦ ص ـ ٤,٥٠ $)** .... د. أحمد يوسف أحمد
- **تكوين العقل العربي (نقد العقل العربي (١))... طبعة ثالثة (٣٨٨ ص ـ ٨ $)** .... د. محمد عابد الجابري
- **ما بعد الرأسمالية** (سلسلة كتب المستقبل العربي (٩)) (٢٦٠ ص ـ ٥ $) .... د. سمير أمين
- **مستقبل الصراع العربي ـ الاسرائيلي (٢٤٤ ـ ص ٥ $)** .... د. أسامة الغزالي حرب
- **القوى الخمس الكبرى والوطن العربي ـ دراسة مستقبلية ـ**
  (٢٢٤ ص ـ ٤,٥٠ $) .... د. ناصيف يوسف حتي
- **المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية (من منظور مختلف)**
  (٢١٦ ص ـ ٤,٥٠ $) .... د. خلدون حسن النقيب
- **المجتمع والدولة في المشرق العربي(٣٢٠ ص ـ ٦,٥٠ $)** .... د. غسان سلامة
- **المجتمع والدولة في المغرب العربي (١٥٦ ص ـ ٣ $)** .... د. محمد عبد الباقي الهرماسي
- **الحركات الاسلامية المعاصرة في الوطن العربي (٤٢٤ ص ـ ٨,٥٠ $)** .... ندوة فكرية
- **العرب ومستقبل النظام العالمي (٢٩٢ ص ـ ٦ $)** .... د. عبد المنعم سعيد
- **العرب ودول الجوار الجغرافي (٦٣٦ ص ـ ٤,٥٠ $)** .... د. عبد المنعم سعيد
- **الاقباط والقومية العربية ـ دراسة استطلاعية ـ (٢٣٦ ص ـ ٥ $)** .... د. أبو سيف يوسف
- **يوميات ووثائق الوحدة العربية ١٩٨٦ (٨٦٤ ص ـ ١٧,٥٠ $)** .... مركز دراسات الوحدة العربية
- **دراسات في الحركة التقدمية العربية (٢٨٠ ص ـ ٧,٥٠ $)** .... ندوة فكرية
- **العسكريون العرب وقضية الوحدة (٤٨٦ ص ـ ٩,٥٠ $)** .... د. مجدي حماد
- **البعد القومي للقضية الفلسطينية: فلسطين بين القومية العربية والوطنية الفلسطينية**
  (سلسلة اطروحات الدكتوراه (١٠) (٢٧٦ ص ـ ٥,٥٠ $) .... د. ابراهيم ابراش
- **صورة العرب في عقول الامريكيين (٢٦٨ ص ـ ٥,٥٠ $)** .... د. ميخائيل سليمان
- **السياسة الخارجية الفرنسية إزاء الوطن العربي منذ عام ١٩٦٧**
  (سلسلة اطروحات الدكتوراه (٩) (٢٦٨ ص ـ ٥,٥٠ $) .... د. بو قنطار الحسان
- **الأدب العربي: تعبيره عن الوحدة والتنوع ـ بحوث تمهيدية (٤٤٠ ص ـ ٩ $)** .... مجموعة من الباحثين
- **حيازة التكنولوجيا المستوردة من اجل التنمية الصناعية:**
  مشكلات الاستراتيجية والادارة في الوطن العربي (٢٥٢ ص ـ ٥ $) .... ندوة فكرية
- **وحدة المغرب العربي (٢٥٤ ص ـ ٥ $)** .... ندوة فكرية
- **التنمية المستقلة في الوطن العربي (١٠٠٢ ص ـ ٢٢ $)** .... ندوة فكرية
- **الهوية القومية في السينما العربية (٢٧٦ ص ـ ٥,٥٠ $)** .... مجموعة من الباحثين
- **العقد العربي القادم: المستقبلات البديلة (٤٦٨ ص ـ ٩,٥٠ $)** .... ندوة فكرية
- **تجديد الحديث عن القومية العربية والوحدة (٢٧٢ ص ـ ٥,٥٠ $)** .... د. سعدون حمادي
- **الأبعاد التربوية للصراع العربي ـ الاسرائيلي (٥٢٤ ص ـ ١٠,٥٠ $)** .... ندوة فكرية
- **بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية.**
  (نقد العقل العربي (٢)) (٦٠٠ ص ـ ١٢ $) ... طبعة ثانية .... د. محمد عابد الجابري

سلسلة الثقافة القومية

- **حقوق الانسان في الوطن العربي (١) (١٨٠ ص ـ ٢ $)**........................ حسين جميل
- **عن العروبة والاسلام (٢) (٤٧٦ ص ـ ٥ $)**........................ د. عصمت سيف الدولة

د. سلوى شعراوي جمعة

- ولدت بمصر
- حاصلة على بكالوريوس اقتصاد وعلوم سياسية - شعبة علوم سياسية من جامعة القاهرة عام ١٩٧٥
- حاصلة على ماجستير في العلوم السياسية - جامعة بتسبرغ - ولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨٠
- حاصلة على دكتوراه في العلوم السياسية - من جامعة بتسبرغ - بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨٦
- لها أبحاث في أنماط القيادة والسياسات العامة، التغير والاستمرارية في مؤسسة الرئاسة، تفسير السلوك الانتخابي بمصر
- تقوم حالياً بالتدريس بالجامعة الأمريكية بالقاهرة.

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور» شارع ليون
ص.ب : ٦٠٠١ - ١١٣ - بيروت - لبنان
تلفون: ٨٠١٥٨٢ - ٨٠١٥٨٧ - ٨٠٢٢٣٤
برقياً: «مرعربي»
تلكس: ٢٣١١٤ مارابي. فاكسيملي: ٨٠٢٢٣٣

الثمن: دولارات
أو ما يعادلها